

عبد النبي بلخير

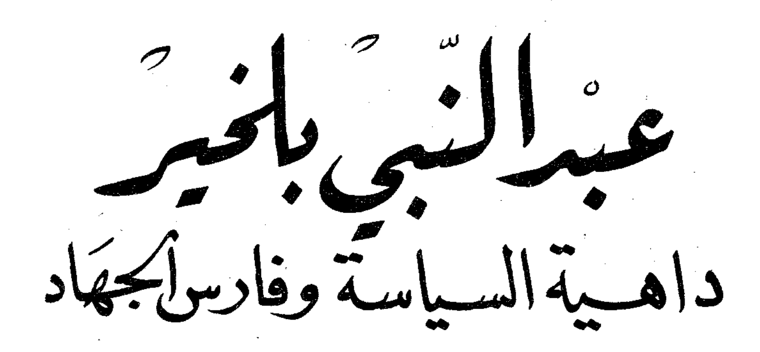
داهية السياسة، وفارس الجهاد

محمد المرزوقي

الدار العربية للكتاب



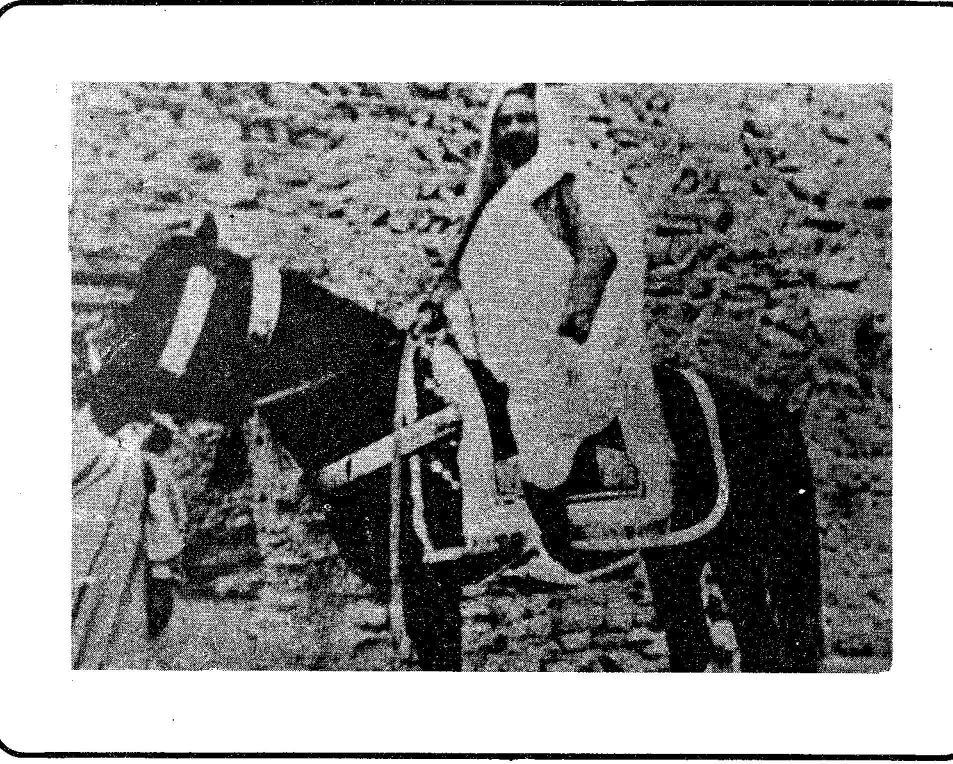

محمد المرزوقي



التحرير الالكتروني : تبارك الرحمن علي الفتلاوي

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس





الزعيم عبد النبي بلخير على جواده ، وظهر أمام الجواد حارسه الخاص (مرسال) .



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

مقدمة

كان عمري لا يتجاوز الثامنة حين بلغنا نبأ استشهاد « الدغباجي » في (سوق الحامة) ، بلد آبائه واجداده ، التي كانت مطوقة من الخارج بالجيوش الفرنسية ومحتلة من الداخل بدباباتهم ومصفحاتهم ، وافواه المدافع والرشاشات موجهة الى كل ركن ، وكل باب ، وكل منفذ في القرية ، وكان السكان قد حشدتهم السلطة العسكرية تحت التهديد بالسلاح في بطحاء السوق لزرع الرعب في القلوب حتى لا يتجرأ أقارب الدغباجي - في المستقبل - على اتباع سبيله في الثورة والتمرد ، فينالهم ما نال الدغباجي .

كنا في بادية (المرازيق) الشرقية ، وفي اوائل ايام الربيع من سنة 1924 (1) حين بلغنا النبأ الفاجع الذي تاثر له كافة قبائل الجنوب ، فزادها حقدا على (الرومي) (2) وكرها له ولاعوانه من اهل البلاد .

كنت أقترب من مجالس الرجال الليلية لاستمع الى ما يدور في

1) اعدم محمد الدغباجي يوم 1 مارس 1924 انظر ترجمته ووقائعه في كتاب (الدغباجي) الصادر عن مكتبة المنار 1969 .

2) الرومي : كل مسيحي والمقصود هنا : الفرنسي .

سمرهم من حكايات عن الدغباجي وصاحبه المرحوم (خليفه بن عسكر النالوتي) ، الذي قتله الايطاليون شنقا سنة 1922 ، وعن زعماء ليبيا وبطولاتهم في مقاومة الايطاليين ، وكانت الاسماء التي تتردد كثيرا على ألسنتهم من أبطال الحرب هي : خليفة بن عسكر ، وسليمان الباروني ، ورمضان السويلحي وعبد النبي بلخير وحمد المريض وسوف المحمودي الخ . وكنت التقط هذه الاسماء فأحفظها ، وأقص حكاياتهم في فخر واعتزاز على الاطفال أمثالي ، وبقيت هذه الاسماء مسجلة في حافظتي الى اليوم .

لكني لم أدرك اذ ذاك السبب الذي كانت تتردد فيه الحكايات عن خليفة بن عسكر وسوف المحمودي أكثر من الاخرين حتى كبرت وعرفت السبب الذي يرجع الى اتصال هذين الشخصين بأهلنا ، ومشاركة (الفلاقة) (3) منا في الحرب جنبا الى جنب مع الشخصين المذكورين .

ومرت الايام ، وامتدت بي الاعوام ولم يبق معي من تلك الاحداث الا قصيد شعري لابن خالي الشاعر (عمر بن العربي) رثى به الدغباجي وخليفة بن عسكر ورفاقهما في ربيع 1924 كنت تلقفته منه اثر انتهائه من نظمه وظللت أردده كلما مرت بي حكاية من حكايات بطولات تلك الايام ، وطالع القصيد :

بعد الدغباجي وخليفه	وفت هجرة الاسلام
سنين شده والناس ضعيفه	باي مسبح تنقام (4)

غير ان ذكرى احداث طرابلس وأبطالها ظهرت من جديد على ألسنة الناس في سنة 1932 ، اذ وصلت الانباء بوصول زعيم الرجبان المرحوم الحاج محمد فكيني (5) الى تونس من طريق صحراء الجزائر ، كما وصلت جموع من قبيلة ورفلة من نفس الطريق ومعها أخبار زعيمها

---

3) الفلاقة : الثوار .

4) انظر كامل القصيد في كتاب (الدغباجي) ص 199 وما بعدها .

5) محمد بن خليفة فكيني من الرجبان جاهد من 1911 الى 1923 وفي هذه السنة انتقل الى فزان ومنها هاجر الى الجزائر 1929 ومنها الى تونس حيث استقرت عائلته بين قبلي وقابس 1934 وتوفي بقابس في مارس 1950 ورجعت اسرته الى الوطن 1953 م .

المرحوم عبد النبي بلخير الذي مات عطشا في الصحراء ، وترددت أخبار بطولات هذا الزعيم ، واكتسح اسمه المجالس والمنتديات ، وان أنس لا أنس ما تحدث به المثقفون في تونس ـ وقد كنت اذ ذاك تلميذا بالعاصمة ـ عن دهاء هذا الرجل ، وانساع افق تفكيره ، ومهارته في الحيل السياسية التي تمثلت في تلاعبه بالايطاليين وخداعهم المرات العديدة ، ثم عن مهارته في العمليات الحربية الخ .

ومرت الايام ، وتطاولت الاعوام ، واختفت تلك الاحداث في ذاكرتي الى حين ، لتظهر من جديد بشكل يدعو الى التفكير والاعتبار ، اذ كنت في اواخر 1974 بصدد جمع مواد كتابي (دماء على الحدود) فتحولت الى منطقة (نطاوين) للاتصال بالاحياء ممن شاركوا في ثورة 1915 من قبائل الجنوب ، وفي أثناء تصريحاتهم ترددت أسماء أبطال حرب طرابلس واحداثها ، فأثارت ما كان كامنا في ذاكرتي قديما ، وأرجعتني الى مراجعة ما كتب عن تلك الاحداث ، وتراقصت أمام مخيلتي أسماء خليفة بن عسكر وسليمان الباروني ومحمد سوف ، من غرب طرابلس ورمضان السويحلي من مصراتة ، وعبد النبي بلخير من ورفلة ، وهمس في أذني شيطان الكتابة : انهم يستحقون التأليف ، يستأهلون تحرير تراجم مفصلة تخلد ذكرهم الى جانب اخوانهم من أبطال العرب في كل مكان .

ولماذا لا أكتب عن هؤلاء ؟ انهم الاشقاء القريبون ، وان أحداث المقاومة للمستعمر كانت مشتركة في الغالب ، بين التونسيين والليبيين منذ القديم ، وقد شارك الليبيون في اصطداماتنا مع الفرنسيين ، خاصة في ثورة 1915 ، وشاركناهم في اصطداماتهم مع الايطاليين من 1911 الى 1930 ، ومن الحدود الغربية الى الساحل ، ثم الى فزان ، ثم بعد هذا كله ، ان ابطال ليبيا هم من أبطال امتنا العربية .

أصبحت أفكر جديا في اهتبال الفرص لجمع أخبارهم ، وكم كان فرحي عظيما حين عثرت على كتب متعددة ألفت في الحرب الليبية الايطالية ، وكتب أخرى خاصة بتراجم مفصلة ومختصرة للبطل رمضان السويحلي ، وترجمة مفصلة للمرحوم سليمان باشا الباروني

للشيخ أبي القاسم الباروني ، وصدر ديوان الشيخ سوف الحمودي للصديق الاستاذ محمد سعيد القشاط ، وبه ترجمة مختصرة لصاحبه ، وازداد فرحي حين أعلمني الصديق القشاط أنه بصدد جمع المواد لترجمة مفصلة للبطل خليفة بن عسكر ، واطلعت بعد ذلك على جزئين من مذكرات الشيخ سليمان الباروني سهرت على تنظيمهما ابنته المرحومة (زعيمة الباروني) ، وكنت لانتظر ان يمد الله في أنفاسها حتى تتم نشر ما خلفه والدها من وثائق ومعلومات .

فلم يبق أمامي الان من هو أولى بالكتابة عنه سوى عبد النبي بلخير الذي أصبح شأنه يعظم في نفسي ويثير اهتمامي جديا بعد ما اطلعت على وثيقة هامة من دار المحفوظات بطرابلس (6) ممضاة من نحو 250 شخصا ، وكان عبد النبي هو المحرر للوثيقة والداعي لها حسبما يقوله بعض الرواة ، يحذر فيها الحكام الاتراك من ايطاليا ومطامعها في طرابلس ، وذلك يدل بوضوح على بعد تفكيره وتنبئه بالمستقبل واخلاصه لوطنه . ثم اطلعت على ما كتبه (قرازياني) في كتابه (نحو فزان) عن عبد النبي (7) الذي يصفه بالمكر والدهاء ، ويجعل منه اكبر عدو مراوغ للاستعمار الايطالي ، واخيرا قدر لي أن اطلع على ما كتبه (بيلرد ينيللي) في كتابه (القبلة) عن عبد النبي ايضا (8) حيث يصفه (بشدة الباس والطموح والاتزان وكمال النضج) الخ .

وشرعت في جمع الوثائق والاخبار عن هذا الشخص الذي حير الجيش الايطالي وقواده ، والذي دبر لهم مكائد كادت تقضي على الاستعمار الايطالي ، لو كانت بين زعماء المقاومة لحمة حقيقية تستهدف مصلحة البلاد قبل أي غرض آخر ، والذي بقي يواصل الجهاد حتى خرج من فزان سنة 1930 ، والذي استنكر الامضاء على وثيقة الصلح مع ايطاليا سنة 1919 ، ونبه الى عواقبها الوخيمة ونعتها بانها مجرد مهلة

---

6) ستاتي صورتها وترجمتها في مكانها من الكتاب .

7) سنثبت نص فقرات من الكتاب عن عبد النبي في فصول آتية .

8) سنثبت نص ما قاله في صفحة 193 من كتابه ، في مكانه .

لايطاليا تستعيد فيها تنظيم قواتها ، وتستعد من جديد لاسترداد ما خسرته ، وانفرد وحده دون اعضاء السمهورية بالامتناع عن الامضاء عليها ، مما يدل على صفاء نظرته للسياسة وتعمق تفكيره في عواقب الامور وخوانمها .

والغريب أن مثل هذا الرجل لا نجد عنه في الكتب المؤلفة عن تاريخ تلك الفترة الا تراجم مقتضبة ، بل أن بعضهم ـ وجه اليه تهما معينة لا تقوم على حجة او دليل ـ وهو صنيع ما أظنه الا بدافع ترات قديمة ، أو تعصب قبلي مقيت ، كان أولى به ان يدفنه تحت قدميه في عصر التفتح والعلم والتقارب البشري والالتحام الانساني وقبل ذلك كله عصر التكتل العربي ، وبذلك ظلم عبد النبي بلخير ظلما فادحا يحتاج لمن يمسحه عنه من اخوانه المخلصين ، وهو واجد من الحجج والوثائق ما يساعده على اقرار الحق في نصابه . انه لا ينكر أحد أن المقاومة الليبية قد صاحبها كثير من المظاهر الؤلمة المتمثلة في عصبية قبلية سخيفة كان لها الاثر الفعال في فشل المقاومة الليبية ، وتعبيد الطريق أمام الايطاليين للانتصار ، بعد أن أوشكت المقاومة على طرحهم في البحر ، وتطهير البلاد منهم اثر واقعة القرضابية ، ولكن ما شاء الله كان والامر لله من قبل ومن بعد ، بل ان المؤرخ نفسه ليقف أمام بعض الاحداث حائرا متبرما ، يتمنى أن لو يستطيع تجاوزها وغض الطرف عنها لو لا الامانة التاريخية التي توجب عليه أن لا يتغافل حتى عن الجزئيات التي لها صلة بالاحداث ، وان بعضهم ليعمد الى الاشارة ، واللطف في العبارة ، مما يقلل أهمية الحدث ، حتى لا يثير بعض الحساسيات والعواطف المرهفة وقل ان يوجد في الشرق اليوم المؤرخ الجريء الذي يضع الاحداث في نصابها ، ويعطيها ما تستحق من الدرس والتحليل .

وهكذا اصبح تاريخنا هدفا لصائب الغلط والتضليل والعصبيات ، قال الكاتب الكبير الاستاذ خليفة التليسي في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا) (9) .

---

9) مقدمة المعجم ص 14 .

« لقد عانى تاريخنا من ظروف وعوامل ، واسباب جعلت عملية دراسته ضربا من المغامرة ، ونوعا من المجازفة غير المأمونة ، اذ أحيط بحساسيات جعلت التعرض له بالكشف والدراسة مجلبة للمتاعب والمشاكل التي يحرص الانسان على ان يتجنبها ويبتعد عنها ، وهكذا تحجب الحقيقة ويموت التاريخ ، ولا تبقى منه سوى اصداء خافتة ترددها ذاكرة عبث بها الزمن » .

وقال لي الشيخ علي ثامر احد اعيان ورفلة :

« ان ما كتب عن المقاومة فيه أغراض كثيرة وأغلاط أو مغالطات كبيرة »

واذا كنا لا نلوم رجال ذلك العصر على نزعة املتها الحياة شبه البدائية التي كانت تحياها ليبيا ، الا اننا نلوم الذين كتبوا عن تلك الفترة بروح نشتم منها رائحة القبلية القديمة ، وهم قليل والحمد لله .

فالكتابة عن زيد ومحاولة رفعه في اعين القراء بما فيه وبما ليس فيه ، وتبرير غلطاته واقحامها في مجموعة الحسنات ، شيء لا اعتبره من السيئات ، فالعواطف البشرية لا يخلو منها انسان ، ولكن الاستطراد الى ذكر عمرو بما يسيء الى سمعته ، وبما يجعل الناس يتشككون في اخلاصه ، وقيمته الشخصية ، ذلك هو محل اللوم وموطن الاستنكار ، اذ لا يليق برجل يكتب للتاريخ ان يحاول مسخ التاريخ فيجعل من احداثه البيضاء سوداء ، والسوداء بيضاء ، واذا كانت هناك سيئات لبعض الرجال اثناء الاحداث التاريخية فيجب ان تذكر الى جانب الحجج والوثائق المؤيدة والاستنباط المنطقي السليم .

نحن في حاجة اليوم الى البحث عن تاريخنا الضائع وجمع احداثه وتمحيصها مما علق بها من اثار القبلية والعواطف الجامحة وفي حاجة اوكد الى القضاء على كل مظهر من مظاهر القبلية والوطنيات الضيقة حتى نمهد السبيل الى وحدة حقيقية بين أجزاء الوطن العربي ، بل بين اجزاء الوطن الاسلامي الكبير حتى نستطيع الوقوف في صف واحد ملتحم امام غزوات الدول الكبرى والمذاهب الهدامة التي تريد ان تستعمرنا

من جديد بافكارها وصناعاتها وثرواتها الطائلة واسلحتها الفتاكة ، فمن البديهي حينئذ ان نتخلى عن جميع مخلفات الماضي فلا نحاول ان نسيء الى فرد أو قبيلة ، قد تجرنا تلك الاساءة الى مهاترات ما اغنانا عنها ، واذا كتبنا فيجب ان يكون مشعل الحق هو الذي يهدينا في مسالكنا ، والوثيقة هي التي تسيرنا في حديثنا .

ان المقاومة الليبية للاستعمار الايطالي لم تأخذ حظها الى اليوم من كتاب التاريخ العربي ، فهي مقاومة بطولية لم نر لها مثيلا في تاريخنا .

ان شعبا فقيرا ضعيفا جائعا يكاد يكون أعزل من السلاح ، يقف امام دولة كبرى كايطاليا بجيوشها الكثيفة وأسلحتها الفتاكة طيلة عشرين عاما ، يكافح ويناضل دون هوادة ، وكثيرا ما أكتسح فرسانه الاشاوس الصفوف المتراصة لجيوش العدو واسلحته العصرية ، لهو شعب يستأهل التمجيد ، ويستحق الاعجاب والتخليد ، ويستوجب قادته أن تصنع لهم تماثيل تنصب في كل بلد عربي الذكرى والاعتبار .

لقد كتب عن احداث ليبيا كثير من المؤرخين فلم يستطيعوا الالمام بالتفاصيل ، ولا وصلوا الى كثير من الحقائق لانهم ـ حسب رايي ـ اعتمدوا على ما سجلته الوكالات الاخبارية ، وما كتبته صحافة ذلك العصر ، وما سطره الايطاليون الذين لا نرجو منهم أن يقولوا الحقائق الصريحة .

ان التاريخ الليبي أو على الخصوص تاريخ الفترة بين 1911 و 1931 في حاجة الى مراجعة وتأمل في الكتب المؤلفة ، وفي الوثائق المحفوظة : عربية وتركية وايطالية وتجميع روايات الاحياء ممن حضروا تلك الوقائع كتجميع ما خلفه لنا شعراء ذلك العهد من ملاحم ، ثم اعادة كتابة تاريخ ليبيا من جديد على ضوء ذلك كله .

اقتراح : وكم أكون سعيدا لو تعمد حكومة الثورة في ليبيا الشقيقة ، ولها الامكانيات الكافية لتنفيذ هذا المقترح ـ أن تجمع لجنة أو لجانا من المؤرخين والكتاب الليبيين ، وهم كثير والحمد لله ، لتتولى

مراجعة تاريخ تلك الفترة على ضوء الحقائق المجردة فتجمع كل ما يمت بصلة الى الموضوع من صحف ووثائق ومذكرات ورسائل وكتب وخاصة الملاحم الشعرية الشعبية ، وما كتبه عنها المؤرخون والكتاب الليبيون والاجانب في جميع اللغات ، واستخراج الحقيقة من جميع ذلك ، وما ذلك بعزيز على المخلصين .

الكتب الايطالية : ان ما كتبه الايطاليون وحدهم ليدعو الى الوقوف وقفة المتأمل ، اذ فيه كثير من الحقائق التي تستحق التأييد ، وكثير من المغالطات التي تستحق التفنيد .

واني لمعجب كل الاعجاب بما يبذله صديقنا الاستاذ (خليفة التليسي) من جهود في ترجمة الكتب الايطالية الهامة الخاصة بليبيا التي اضاءت لنا كثيرا مما كان غامضا من احوال ليبيا ، فهذا الرجل (خليفة التليسي) قد قدم بعمله هذا لبلاده احسن الخدمات التي يستحق عنها الاكبار والتقدير.

بداية العمل : في جوان (يونيو) 1974 كنت بالعاصمة (طرابلس) وطلبت من احد الاصدقاء من (ورفلة) ان يحاول امدادي بما امكن من الوثائق عن (عبد النبي بلخير) دون ان اذكر له شيئا عن هذا التاليف ، فتعرفت بواسطته على جماعة حدثوني عن نصيب من سيرة الرجل ، وفي مقدمتهم ابنه (يونس عبد النبي) فانفتح لي الباب على مصراعيه ، اذ عثرت عند هذا الاخير على وثائق هامة جدا وهمست له : اني انوي الكتابة في هذا الموضوع ، وطلبت منه ان يحصل لي على كل ما يتصل من قريب أو من بعيد بوالده ، فلبى الطلب مشكورا .

وفي فيفري (فبراير) 1976 رجعت الى طرابلس فوجدت لدى السيد (يونس) مجموعة من الكتب ومن الوثائق سلمها لي مشكورا ، واتصلت من جهتي بمجموعة من الرجال الذين كان لهم اتصال مباشر بعبد النبي ، فسجلت تصريحاتهم ، وانتقلت الى بلده (بني وليد) حيث اتصلت بمجموعة ثانية من الرجال الذين كانوا على اتصال مباشر به ، سواء في مركز حكمه ببني وليد ، او في وقائعه الحربية ضد الايطاليين في الساحل ، وفي ورفلة وفزان ، ومنهم من رافقه الى الصحراء الجزائرية

حتى وفاته ، سجلت احاديثهم ورواياتهم ، ورجعت مزودا باكثر مما أؤمل من المعلومات لاعداد هذا الكتاب .

قسمت هذا الكتاب الى عشرة فصول خصصت اولها بالحديث عن حياة البلاد قبل الاحتلال الايطالي ، وثانيها : بالحديث عن بلد عبد النبي (بني وليد) وثالثها : بالحديث عن طفولة عبد النبي وشبابه ، ورابعها : بالحديث عن جهاده قبل صلح 1919 وخامسها : عن موقفه من ذلك الصلح ، وسادسها عن تصادمه مع صديقه رمضان السويحلي ، وسابعها : عن مواجهته لقراسياني واحتلال بني وليد ، وثامنها تحدثت فيه عن حياة عبد النبي في فزان ، وتحدثت في الفصل التاسع عن نهاية عبد النبي بصحراء الجزائر ، اما العاشر والاخير فقد خصصته بصفات عبد النبي واخلاقه واقوال المؤرخين والرواة فيه ، وشعره ورسائله .
وعززت كل ذلك بصور للوثائق المعتمدة وصور الرواة وبعض الخرائط الموضحة ، واؤمل ان يكون هذا العمل باعثا غيري على كتابة تراجم مفصلة لابطال ليبيا الكثيرين ، فيثروا بذلك خزانة التاريخ العربي المليء بالبطولات .

ولا يفوتني في خاتمة هذه المقدمة ان اتوجه بالشكر والامتنان لجميع من ساعدوني في انجاز هذا الكتاب ، سواء منهم رواة الاحداث ، او الذين قدموا لي الوثائق والصور والخرائط ، او ارشدوني الى مكان المعلومات واخص بالذكر منهم الصديق الامين : (عمران علي الامين) الذي يرجع له الفضل الاكبر في اتمام هذا المشروع بفضل ما قدمه لي من خدمات وما تحمل من أتعاب ، وما اظهر من حيوية ونشاط ، كم اتمنى ان ينحلى بهما جميع شباب العرب .

والله الموفق والمستعان ..

تونس في ذي الحجة 1977/1397
محمد المرزوقي

الفصل الاول

قبـل الاحتـلال الايطـالـى

الحيـــاة السياسيـــة ، والاقتصاديـــة ، والثقافيـــة

لكي نفهـم وضعيـة طرابلس على حقيقتها أيـام المقـاومـة البطوليـة للاحتـلال الايطالي ، وندرك قيمـة تلك المقاومة الشعبيـة الرائعـة ، ونـزن أبطالهـا المغاويـر بالميـزان الصحيح ، يجب أن نعـرف قبـل ذلك امكانيـات البـلاد سياسيـا واقتصاديا وثقافيا في العهـد الذي سبق الاحتـلال .

الحـالـة السيـاسيـة

قضت تركيـا نهائيا على عائلـة القرمانلي التي توارثت حكم طرابلس مستقلـة استقلالا داخليـا من 1711 الى 1835 ، وحكمت البلاد حكمـا مباشرا بواسطة (بـاشا) تعينـه الاستانـة .

وبالرغم من محاولة بعض هؤلاء الباشوات المعينين تنظيم البلاد وتطويرها اقتصاديـا وثقافيـا ، فان سرعة نقلهم من وظيفتهـم وتعـويضهـم ، جعـل أعمالهم غيـر منتجـة وغير ذات فائـدة ، وتعرضت باشويـة طـرابلس الى المساومـة والـرشوة ، وأصبح بعض الباشوات لا هـم لهم الا استـرداد مـا خسروه من أجـل المنصب في أقرب فـرصة ، وقبل نقلهم او عـزلهم ، نتيجـة الفسـاد الذي يغمـر دواوين وزراء الاستـانـة .

ومن هنا فتحت الطرق للدول الاستعمارية ، فوضعت طرابلس موضع المساومات فيما بينها ، وقر قرارها على تقسيم تركة الرجل المريض (تركيا) ، فوضعت بريطانيا يدها على مصر والسودان في الشرق ، ومدت فرنسا نفوذها الى الجزائر وتونس ، وبقيت طرابلس من نصيب ايطاليا ، ومحط انظارها ، لا تنتظر غير فض مشاكلها الداخلية لتبعث باساطيلها لاحتلالها باتفاق مع حكومة جارتها فرنسا .

مطامع فرنسا

لكن بالرغم عن موافقة حكومة باريس على ترك طرابلس من نصيب ايطاليا مقابل سكوتها سابقا عن احتلال فرنسا لتونس واحتلالها مستقبلا للمغرب الاقصى ، فان الضباط الفرنسيين بتونس كانوا يمدون أعينهم لطرابلس أيضا ، أو الى اقتطاع الجزء الغربي منها على الاقل . وأحدثت اطماعهم مشاكل لحكومتهم في باريس مع الجارة ايطاليا .

فلم يكد القواد الفرنسيون يصلون الى حدود تونس الشرقية سنة 1882 م ، حتى تحلب لعابهم على المراكز القريبة منهم من التراب الطرابلسي ، فهذه قرى وزان ، ونالوت ، وغدامس ، وما جاورها من الارياف والدواوير ، كالصيعان ، والنوائل ، واولاد محمود ، والحوامد ، اصبحت أمام اعينهم كانها تحرضهم على التقدم اليها على الاقل ، بادعاء أن مائة واربعين الفا من التونسيين نزلوا في تلك الاماكن ، ويخشى انقضاضهم على الحدود من جديد ، وأمن البلاد يستوجب تتبعهم واحتلال الاماكن التي لجأوا اليها ، ما دامت حكومة باشا طرابلس تسكت عن وجودهم هناك ، وربما أطمعتهم بالمساعدة على محاربة الفرنسيين .

وتظهر مطامع الفرنسيين جلية في طرابلس ، في حادثة (المركيز دي موريس) سنة 1896 (1) ، اذ أشارت بعض الصحف الفرنسية ، اثر مقتله مسالة مطاردة قاتليه ومحاكمتهم ، فذكرت : أن اليهود والانقليز هم السبب في هذه الفاجعة بواسطة تحريضات قنصل انقلترا (عربيب)

---

1) انظر تفاصيلها في (صراع مع الحماية) للمؤلف ص 359 وما بعدها .

اليهودي ، فيجب اذن القيام بحرب صليبية (كذا) ضد انقلترا من جهة ومن جهة اخرى يجب احتلال غدامس بصفتها تابعة لتونس ، وقتل اكثر عدد ممكن من التوارق العصاة ، واحداث وكالة تجارية كبرى بغدامس (2) .

وطلبت بعض الصحف القيام حالا ببحث دقيق وتتبع المجرمين في كل مكان ، حتى في غدامس نفسها ، ويجب أن تقوم بهذا البحث السلط التونسية (3) ، لان الواقعة حدثت في الوطية ، وهي أرض تابعة لتونس ، وان غدامس نفسها تابعة لتونس ، وان تركيا تحتلها بدون حق (4) .

ومما ذكرناه من لهجة الصحف في ذلك العهد يتبين ان الضباط الفرنسيين والصحف الناطقة باسمهم ، كانوا يتطلعون الى غدامس وما جاورها ، كمقدمة لابتلاع طرابلس ايضا (لقربها من تونس ومن السودان والتشاد) (5) وذلك ما دعا الصحف الايطالية الى اطلاق صرخة فزع في حملة محمومة حذرت فيها حكومتها من قيام فرنسا باحتلال غدامس ، وادعت ان هناك مفاهمات بين فرنسا وتركيا ربما افضت الى تسليم غدامس الى فرنسا .

واضطرت حكومة باريس أمام هذه الحملة الى تطمين ايطاليا بانها لم تفكر يوما في احتلال غدامس (6) وذلك وفاء بالاتفاق على ترك طرابلس في دائرة نفوذ ايطاليا .

ورغم احتلال ايطاليا لطرابلس سنة 1911 ، واعتراف الدول الاوروبية بالامر الواقع فان الضباط الفرنسيين تحركت مطامعهم من جديد في الحرب العالمية الاولى ، حيث تغلبت المقاومة الطرابلسية على الايطاليين سنة 1915 وحصرتهم في شواطىء طرابلس والخمس وزوا ، فقد الف قائد مركز ذهيبة بالجنوب التونسي حملة عسكرية لاحتلال رية وازن في سبتمبر 1915 ،

---

2) صراع مع الحماية ص 383 .

3) تعني : السلط الفرنسية ، واستعملت كلمة التونسية للتغطية .

4) صراع مع الحماية ص 383 .

5) المختار في مراجع تاريخ ليبيا ج 2 ص 288 نقلا عن فيفيان هربرت .

6) صراع مع الحماية ص 383 .

بدعوى القضاء على الثوار التونسيين النازلين فيها في الظاهر ، ولكن الحملة فشلت وتحطمت في الطريق ، اذ اعترض سبيلها المرحوم خليفة بن عسكر بواسطة المجاهدين الليبيين والتونسيين (7) وأدرك الفرنسيون ان اللقمة غير سائغة .

مطامع بريطانيا : ولم تكد بريطانيا تمد نفوذها الى مالطة ، ثم الى مصر والسودان ، حتى امتدت مطامعها الى القطر الليبي المجاور لها ، وربما احتجت بروابط تاريخية بين مالطة وطرابلس ، اذ كان فرسان مالطة احتلوا طرابلس وحكموها بين 1530 م و 1551 م وهو منطق استعماري سخيف اعتمده اليهود في احتلال فلسطين ، اذ لو كانت هذه الحجة التاريخية صحيحة دوليا لاستعملها العرب في استرداد اسبانيا التي دامت تحت حكمهم ثمانية قرون ، وصقلية التي حكموها اكثر من قرنين (8) .

على ان برودة الدم الانقليزي وانشغال حكومتهم بمصارعة الانتفاضات في مستعمراتها الواسعة في آسيا وافريقيا ، جعلها لا تظهر على ساحة المطامع ظهورا مكشوفا ، كما ظهرت فرنسا والمانيا .

مطامع المانيا : افتتحت المانيا قنصلية في طرابلس وربطتها بخط بحري مع المانيا ، وبدأت الاموال الالمانية تمارس نشاطها الاستغلالي في المشروعات المحلية بليبيا ، وعلمت ايطاليا ان جماعة من الالمان كانوا في طريقهم للحصول على بعض الامتيازات الاقتصادية من السلطات العثمانية (9) ، فبادرت باحتلال ليبيا 1911 .

مطامع ايطاليا : جاء في المختار في مراجع تاريخ ليبيا (10) ، أن اطماع ايطاليا في ليبيا تعود الى ما قبل تحقيق الوحدة الايطالية ، اي الى حوالي 1838 بعد نهاية الحكم القرمانلي في ليبيا ، وعودة ليبيا

---

7) دماء على الحدود ، للمؤلف ص 54/53 .

8) المختار في مراجع تاريخ ليبيا ج 2 ص 288 نقلا عن فبفيان هربرت .

9) نفس المرجع ص 291 .

9) نفس المرجع ص 291 .

10) ج 2 ص 290 .

الى الحكم العثماني المباشر ، في ذلك الوقت كان الزعيم الايطالي مازيني (11) مؤسس جمعية (ايطاليا الفتاة) وبعض زملائه من الايطاليين المغالين في الوطنية ، ينادون بضرورة بسط السيادة الايطالية على ليبيا . وفي سنة 1886 نجد الزعيم الالماني (بسمارك) (12) يكتب الى مازيني مشجعا له على الاهتمام باحياء الامبراطورية الايطالية القديمة في البحر الابيض المتوسط .

وقد عرف كيف يثير في رسالته عواطف الايطاليين ، وكيف يضرب لهم على الوتر الحساس قاصدا اثارة البغضاء بين ايطاليا وفرنسا .

وفي نفس الكتاب (13) ان الوزير الايطالي (كريسبي) (14) تحول بانظاره الى ليبيا بعد فشله في تحقيق مشروع التوسع الايطالي في الحبشة ، وأخذ كريسبي يخطط لتحقيق سياسته في ليبيا بالعمل على كسب صداقة رؤساء العشائر في ليبيا ، وفي مقدمتهم حسونة باشا القرمانلي (15) الذي عرفت ايطاليا كيف تستفيد من خدماته فيما بعد ، عند ما بدات تنفيذ مشروعها التوسعي في ليبيا في خريف 1911 .

وكان كريسبي قد قام بالاتصال ببعض المواطنين في ليبيا حتى يكونوا عونا لايطاليا في تحقيق اطماعها ... وكان حسونة القرمانلي في مقدمة هؤلاء الليبيين الذين اتصل بهم (16) .

وجهد كريسبي في المفاهمة مع بريطانيا في تحقيق مشروعه ، الا أنه نحي عن الحكم اثر انهزام جيوش ايطاليا في الحبشة 1896 ، لكن

---

(11) مازيني Mazzini 1805 — 1882

(12) بسمارك Bismark 1815 — 1898 م .

(13) المختار ج 2 ص 288 نقلا عن والاس ولیام کاي .

(14) كريسبي Crispi 1819/1901 .

(15) من اسرة القرمانلي التي أزاحها الاتراك عن الحكم سنة 1835 ، كانت له اليد الطولى في تثبيت الاستعمار الايطالي بليبيا .

(16) المختار ج 2 ص 290

استيلاء فرنسا على تونس 1881 وبريطانيا على مصر 1882 ، ترك الامل حيا في قلوب الايطاليين .

وبذلت ايطاليا جهودا كبيرة للحصول على موافقة فرنسا على توسع ايطاليا في ليبيا ، مقابل موافقة ايطاليا على احتلال فرنسا للمغرب .

وبادرت ايطاليا بالاحتلال 1911 خوفا من سبق المانيا التي علمت انها اصبحت تهتم بليبيا (17) .

بدأت ايطاليا في اهتمامها الجدي بليبيا ، وفي العمل لتحقيق احتلالها اقتصاديا ، قبل كل شيء فأسست بطرابلس بنك رومة الذي لم يكن في الواقع مصرفا ماليا كبقية المصارف ولكنه كان قاعدة لمساعدة الايطاليين على الاستقرار بليبيا والاستيلاء على الموارد التجارية الضخمة ، ولشراء ذمم بعض المواطنين لاعانة ايطاليا على تركيز نفوذها بالبلاد ، في مقدمة هؤلاء حسونة باشا القرمانلي ، وهو من بقايا اسرة القرمانلي المشهورة التي حكمت ليبيا حوالي 120 سنة ، وازاحها الاتراك سنة 1835 عن الحكم ، فقد اشتهر هذا الرجل بانه من انصار ايطاليا المخلصين وهو الذي (صرح سنة 1890 م باستعداده لتوفير التسهيلات للاحتلال الايطالي اذا عمل هذا الاحتلال على ان يقيم بطرابلس الغرب حكما شبيها بالحكم القائم في تونس) (18) ، أي شبيها بالحماية الفرنسية .

ومن أجل نشر لغتها وثقافتها عمدت ايطاليا الى تاسيس المدارس في طرابلس ، فكانت لها في طرابلس (خمس مدارس : احداها تجارية ومدرسة مسائية ، ومدرسة خاصة بالارسالية الايطالية ، وفي الخمس مدرسة ابتدائية للذكور واخرى للاناث) (19) .

وكانت ايطاليا بصدد تعبئة قواها تعبئة تمكنها من احتلال البلاد بسهولة ـ حسب زعمها ـ وكانت هذه التعبئة متواصلة بصفة جدية اثر

---

17) نفس المرجع ص 291

18) ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني لفرانشيسكو كورو تعريب خليفة التليسي ص 18

19) نفس المرجع ص 120

انهزامها في الحبشة ، أواخر القرن التاسع عشر ، وكانت صحفها تكشف عن مطامعها بصفة واضحة صريحة الى جانب زعماء أحزابها خاصة منها اليمينية المتطرفة ، فماذا صنعت تركيا امام هذه المطامع لمجابهة الخطر ؟

لم تصنع تركيا شيئا ، بل ولم تعزز حتى وسائل دفاعها في طربلس وكانت مشغولة بمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تتخبط فيها .

لا نستطيع أن نقول : ان تركيا قد فاجأها الاحتلال الايطالي في غفلة لان ذلك الاحتلال كان متوقعا من جميع الدول ومن تركيا نفسها (فالبلاد كانت خالية أو شبه خالية من كل وسائل الدفاع ، والقوة التركية في ليبيا باسرها لا تزيد على اربعة الاف جندي موزعين على مختلف المواقع الداخلية والساحلية ، ويرابطون خلف بعض الحصون والقلاع العتيقة التي اسكتتها الاساطيل الايطالية منذ اللحظات الاولى للغزو ، وأدركت تركيا كما ادرك الوطنيون هذا النقص في وسائل الدفاع ، فارسلت الى ليبيا الباخرة (درنة) محملة ببعض العتاد الحربي الذي وزع على الاهالي ، وكان وصول هذه الباخرة من الاسباب التي اعتمدت عليها (ايطاليا) في التعجيل بالغزو) (20) .

وحتى الشعب الليبي نفسه لم يتغافل عن ذلك الاحتلال ، بل انه تنبأ به قبل وقوعه بزمان ، تدل على ذلك هذه المضبطة المضاة من نحو 250 شخصا من اعيان البلاد ، والمرفوعة الى مقام الولاية بطرابلس ، ينبهون فيها الحكومة التركية الى خطر الاحتلال الايطالي . وهذا نص تعريب المذكرة المشار اليها من التركية الى العربية بواسطة السيد (محمد الاسطى) المترجم الاول بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس (21) .

« الى مقام الولاية .

---

20) معجم المعارك ص 23

21) يؤكد بعض العارفين ان محرر المذكرة والمحرض عليها هو عبد النبي بلخير وذلك لا يستغرب من عبد النبي الذي اشتهر بذكائه وتنبئه باحداث المستقبل في كثير من تصرفاته

نشرت الصحف الاجنبية خبـرا استقته من برقيات واردة اليها من روما ان امتيـاز اعمـال بانشاء ميناء بطـرابلس ، ومـد خطـوط للسكـة

وليس من المستغرب أيضا ان يعيد التاريخ نفسه فنجد ابنه (يونس عبد النبي بلخير) الذي كان يقود المعارضة في البرلمان الليبي في عهد الملكية سنـة 1964 يعيد نفس العملية التي قام بها والده منذ سبعة وخمسين سنة فيذبه مع اصدقائه الملك للاخطار التي تستهدف البلاد .

واذا كان والده ومن معه نبهوا تركيا الى خطر الاستعمار الايطالي المكشوف فان الابـن يونس واصدقاءه نبهوا الملك الغافل او المتغافل الى خطـر الاستعمار الايطالي الخفـي الذي يسعى للتغلغل سريا في مسالك الدولة الليبية المستقلة كالجرثومة الفتاكة بواسطة حكومـات فاسدة تسعى لصالح اشخاص معينين وتضرب بمصالح الشعب عرض الحائط .

وكانت المذكرة الجديدة التي تعيد لنا ذكرى المذكرة القديمة اشد صراحة وأكثر جرأة من الاولـــى .

ونذكر فيما يلي نص مذكرة يونس عبد النبي واصدقائه للتاريخ ، فانها من الوثائق التي يجب أن يطلع عليها الشعب ، ويعرف للرجال مواقفهم المشرفة عند التقييم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مولانا الملك المعظم حفظه الله ورعاه .

بعد رفع اخلص الولاء الى مقامكم السامي يشرفنا ان نرفع الى مقامكم هذه المذكرة التي نشرح لكم فيها بعض النقاط التي أثارت القلق والتخوف حول العقد الذي ابرم مع الشركـة الايطالية بشان توسيع الطريق الساحلي والذي عبرنا عنه في البرقية التي رفعناها الى مقامكم السامـي .

هذا ولا نرى ضرورة في التوسع في شرح ما لايطاليا نحو هذا البلد من نوايا سيئـة وأطماع منذ ان خرجت منه الى غير رجعة بفضل كفاحكم وكفاح اسلافنا في سبيل تحرير هذا الوطن العزيز حتى حقق الله له نعمة الاستقلال التي نرجو من الله العلي القدير ان يوفقنـا في المحافظة عليها وحمايتها من أطماع المستعمرين وأصحاب النوايا السيئة .

على اثر اعلان الحكومة في الاذاعة والصحف المحلية عن عـزمها عطاء اعمال تـوسيع الطريق الساحلي لشركة ايطالية معروفة ، بطريقة غير سليمة على اثـر هذا قمنا بما نـراه يفرضه علينا الواجب الوطني بصفتنا كممثليـن للشعب ، وتجاوبا مع شعـور المواطنين ، وبدافع من شعور التخوف والقلق على مصير بلادنا العزيزة لكي لا تكون لقمة سائغة لاصحاب المطامع الاستعمارية الذين يتربصون بنا الدوائـر والمناسبات ، ولكي لا نقع مـرة اخرى في مـاساة سنة (1911) نتيجة لدخول الشركت الايطالية والبنوك للبلاد ، كمقدمة لتمهيد الطريق امام احتلال البلاد عسكريا ــ ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

على اثر هذا الخبر اتصلنا بالسيد وزير المواصلات للاستفسار منه عـن هذا الموضوع فلما لم نجد عنده ما يقنعنا طلبنا مقابلة السيد رئيس الحكومة الا اننا لم نوفق في الحصول على هذه المقابلة ، حيث ان مجلس النواب في شبه عطلة غير رسمية طلبنا من السيد رئيس مجلس النواب عقد جلسة مستعجلة لمناقشة هذا الموضوع ، فرد علينا بقوله :

ــ انه لا يرى في الامر ما يدعو الى عقد جلسة مستعجلة للمجلس ، واخيرا ، وبعد ان استنفدنا جميع الوسائل المكنة ابـرقنا الى السيد رئيس الحكومـة ، والى كل من رئيسي مجلس النواب والشيوخ ، وشرحنا لهم في هذه البرقيات ما يجـره التعامـل مع الشركات

الايطالية من توابع خطيرة غير خافية .

بعد كل هذا لم نر بدا من اللجوء الى مقامكم لنضع بين ايديكم حقيقة الموقف ، ولنعطيكم صورة واضحة عن كثير من الامور التي تدور في البلاد ولتكونوا على بينة من حقيقة الامر ، وفيما يلي نسجل لكم بعض النقاط المتعلقة بالموضوع .

1 ـــ في بلادنا اليوم جالية ايطالية كبيرة خليط من القديم والجديد ، وهي تشكل خلية خطرة من بقايا القلعة الاستعمارية التي تحكم البلاد ابان العهد الاستعماري الغاشم ، فمنهم بقايا كبار الاستعماريين من عسكريين ومدنيين ، ولهؤلاء نشاط واسع وخطير في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية ، ومن بلادهم يتلقون التوجيهات والتخطيطات الخطيرة من أجل توسع المطامع الايطالية في هذا البلد ، وقد ظهر الشعور في نشاطات هذه العناصر في كثير من المناسبات وبصورة واضحة فيها تحد سافر ، وعدم اكتراث بشعور اهل هذا البلد الذي يعيشون فيه ويتمتعون بخيراته ، ومما يلاحظ هذه الايام كثرة تردد وزيارات كثير من شخصياتهم الكبيرة والرسمية في فترات متعددة ، ومن بينهم أعضاء من مجالسهم النيابية وكبار رجال الاعمال ، وكبار الشخصيات الاستعمارية القديمة ، ومن ذلك الزيارة التي قام بها خلال المدة القريبة الماضية ابن رئيس الجمهورية الايطالية الاسبق (سيني) ، والذي نزل ضيفا على الحكومة الليبية وأقام بفندق ليبيا بالاص ، حيث كان في استقباله ومرافقته خلال اقامته رئيس امن الدولة .. وشوهد يتجول به في شوارع المدينة في سيارة رئيس الحكومة الرسمية ، هذه الزيارة التي أسفرت عن ابرام صفقة الطريق الساحلي .

2 ـــ يقوم الشباب الايطالي بالتدريب العسكري في بلادهم ، ويعودون الى ليبيا بعد تدريبهم عسكريا حديثا على استعمال الاسلحة المختلفة ، وهم يشكلون في البلاد قوة عسكرية مستترة ومنظمة تنظيما خطيرا ، هذا الى جانب وجود عدد كبير من بقايا قدماء العسكريين الايطاليين في البلاد لا زالوا في رتبهم العسكرية ويتلقون ترقياتهم من دولتهم بانتظام ، ومنهم من وصل الان الى رتب (جنرالات) ومن بينهم على سبيل المثال الضابط (جوزيبي زانسي ، ودياس الموجود بسباق الخيل ، وانجلو سابتارو وغيرهم) .

3 ـــ لوحظ في السنوات الماضية ان عددا كبيرا من المزارعين الايطاليين قام ببيع مزارعه للمواطنين الليبيين وأخذوا يخرجون من البلاد في مجموعات كبيرة ثم توقفوا عن ذلك وأمروا بالبقاء من قبل دولتهم من ناحية ، ونتيجة للسعادة والترف الذي يعيشونه في هذه البلاد ، الامر الذي لا يجدونه في بلادهم من ناحية إخرى .

4 ـــ وجود نوادي ايطالية في البلاد لها نشاط سياسي خطير وتعقد بداخلها اجتماعات مريبة وتزورها بين الحين والآخر الشخصيات السياسية القادمة من ايطاليا كما توجد بهذه النوادي تسجيلات قديمة لتوجيهات أسلافهم الغابرين ومن بينها خطب الدكتاتور موسليني التي كان يثير فيها حماس الجماهير الايطالية ضد المواطنين الليبيين ، ويعيدون الاستماع اليها اليوم من أجل احياء ذكريات الماضي البغيضة في نفوس ابنائهم ، هذا ما يلاحظ من بعض صور التحدي والغطرسة من قبل الايطاليين المقيمين بيننا ، وأما ما يقوم به الطليان في بلادهم على المستويين الشعبي والحكومي من الامور التي تكشف عن سوء نواياهم ومطامعهم الخيالية الخبيثة نحو هذا البلد وأهله ، فنبين منها ما يلي :

5 ـــ احتفل في ايطاليا سنة 1961 حكومة وشعبا ، بالذكرى الخمسين لاحتلالهم ليبيا ، ولم تراع الحكومة الايطالية شعور هذه الدولة التي تربطها بها علاقات دبلوماسية على أقل تقدير ، أو ما يفرضه واجب المجاملة في العرف الدولي ، أو (الصداقة والود على رأي البعض) .

6 ـــ وفي اواخر سنة 1960 ، وقبيل احياء الذكرى الخمسين بقليل عمدت الحكومة الايطالية الى تجهيز اسطولها البحري الحربي لزيارة الموانى الليبية ، وطلب سفيرنا في روما في ذلك الوقت من الحكومة الليبية الموافقة على هذه الزيارة التي عبر عنها بقوله ، بانها

زيارة ودية ، ووافقت الحكومة على هذه الزيارة ودخل الاسطول الايطالي ميناء طرابلس ، واصطفت قطعه على هيئة سهم موجهة الى شواطئنا ، وفي ذلك رمز الى سنة 1911 حيث كانت تهاجمنا سفنهم الحربية في ذلك الوقت ، تلك الزيارة التي قابلها الشعب بالمظاهرات والشجب ، وناقشها مجلس النواب وقرر فيها اللوم والتوبيخ للحكومة .

وهكذا نلمس ونلاحظ الكثير من صور التحدي ، وشعور العداء من قبل الايطاليين سواء بداخل البلد او خارجه ، الامر الذي يؤكد لنا سوء نواياهم والتربص بنا لانتهاز الفرص المناسبة ، وتذكرنا هذه الاعمال بما كانت عليه النوايا الايطالية نحو هذا البلد من سنة 1911 وما قبله ، حيث عمدت في ذلك الوقت الى ادخال بعض شركاتها وبنوكها الى البلاد كمقدمة لتهيئة الطريق امام تحقيق اهدافها العدوانية ، كما تذكرنا ايضا بالتخوفات التي أظهرها اسلافنا على مختلف طبقات الشعب في ذلك الوقت من الشركات والبنوك الايطالية التي غزت البلاد وقد عبروا عن شعورهم هذا في مذكرة قدموها لحاكم البلاد في العهد العثماني عبروا فيها عن شعور القلق والتخوف الذي انتاب اهل البلاد ، ومحذرين من مغبة الامر قبل وقوعه ، وقد وقع مع الاسف الشديد ، ما تخوفوا منه وتوقعوه ، وقد سلمنا مع هذه المذكرة صورة من المضبطة المذكورة الى السيد وكيل الديوان ليقوم بتسليمها اليكم .

نحن اليوم حين نبدي تخوفنا ، ونطالب باتخاذ الحيطة والحذر من ناحية الايطاليين ، ليس هذا بالشعور الجديد وليس معنى ذلك اننا مدفوعون بالعاطفة ، او لمجرد المحافظة على سلامة أموالنا وتسيير اقتصادياتنا بطريقة أفضل ، ولم يكن ايضا الباعث على القلق الذي أظهرناه انه لمجرد ان عطاء ما من بين العطاءات قد أعطي بطريقة غير سليمة ومخالفة للنظم المتبعة ، هذه الاشياء وغيرها لها طرقها العلاجية ويمكن بحثها داخل المجلس حسب الصلاحيات المخولة له ، ولكن الامر اخطر من ذلك بكثير وأبعد ، فمبعث جميع التخوفات والقلق في الامر يرجع الى الجانب السياسي في الموضوع ، ويبدو لكم ذلك جليا وواضحا فيما تقدم ذكره في النقاط التي وردت في هذه المذكـرة .

نحن اليوم في وقت نحكم فيه انفسنا بانفسنا ومصيرنا بايدينا ، يجب ان نعرف عدونا من صديقنا وليس هناك أي مانع يحول بيننا وبين التوسع في اتخاذ الحيطة والحذر من أي جانب نخشاه ، ولا نخضع لاي ظرف يحتم علينا مجاملة أي عنصر يكن لنـا العداء والنية السيئة ، خصوصا وان بلادنا اليوم محطة انظار العالم بفضل ما انعم اللـه به عليها من خيرات البترول التي عبرتم عنها في الكلمة التي وجهتموها للشعب والمسؤولين في الذكرى العاشرة للاستقلال حول الرخاء وما يجر وراءه من المشاكل .

وأخيرا فاننا نضع بين أيديكم هذه المذكرة بما احتوت عليه من التفصيلات والبيانات حول الاخطار التي تهدد بلادنا من الداخل والخارج ، نؤكد لكم ان ذلك ليس نتيجة لمجرد شعور فردي أو بدافع عاطفي ، بل هو تعبير صادق وحقيقي عما يشعر به كل فرد من ابناء شعبكم على مختلف طبقاته ، ولم يبق لنا أي مرجع نرجع اليه في معالجة الموقف وانقاذ البلاد من الاخطار التي تهددها سواكم ، راجين الله القدير ان يوفقكم الى ما فيه سعادة هذه الامة وخيرها حفظكم الله ملاذا لابناء هذا الشعب المجاهد .

التاريخ 10 رمضان 1384 هـ

الموافق 12 يناير 1964 م

التوقيعـات

الاعضاء الموقعون على هذه المذكرة وعلى البرقيات :

يونس عبد النبي بلخير ـ العارف محمد منا ـ محمد الشيباني محمد ـ سليمان العبدلي ـ محمد ابو نويرة ـ انور سليمان بن غرسة ـ شفيق ميلاد العرادي ـ عبد المجيد الهنشيري ـ علي عاشور الفرجاني ـ العربي خليل ـ بشير المكي الذيب ـ خليفة ذياب ـ عبد العاطي

الحديدية داخل الولاية قد اسندت الى شركة ايطالية وان سفــارة الدولة العثمانية بروما قد ايدت هذا الخبر .

وحيث ان نوايا ايطاليا ومخططاتها نحو هذه الولاية التي يخال لها انها متروكة ولا نصير لها من ابنائها معلومة لدينا ، فان اعطــاء مثل هذه المشاريع الهامة الى شركة ايطالية قد يسبب لنا مشاكل كثيرة في المستقبل، ويضر بمصالح التجار واصحاب رؤوس الاموال الوطنيين .

لذلك ، نطالب باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ المشاريع المفيدة على يد شركة وطنية براس مال محلي ، واذا رات الدولة ان الحاجــة ماسة للاستعانة برؤوس الاموال الاجنبية ، فلا يكون ذلك عن طريق المصــارف الايطالية التي تقرض فقــراء الفلاحين من الاهالـــي بشروط صعبــة لكي تستولى على اراضيهم بغرض كسب النفـــوذ في ولايتنا متبعـــة في ذلك سياسة استعمارية ، ولا من طريق اي دولة كبيرة اخرى ، بل نطـــالب الاستعانة برؤوس اموال الدول الصغرى التي ليست لها مطامع في بلادنا .

نتقدم بما ذكرنا باسم المصلحة العامة ، واننا على استعداد للتضحية في سبيل مصالح بلادنا والدفاع عن حقوقها بأموالنا وارواحنا .

الطيب — النايب النوري — سالم عمر المغربي — ابو القاسم الملاقي — علي رمضان الضبع — المزوغي محمد الفيه — علي الفيتوري القمودي — محمد جاهد بركة — الهادي العائب — عبد اللطيف الساقزلي — محمد الزلماط — ميلاد الترهوني — احمد المحيشي — علي بيالة — علي فوزي الســراج — عبد السلام الواعر — خليفة عكــرة — محمد الطبال — علي العقوري — كامــل اليعقوبــي .

وكانت نتيجة هذه المذكرة — حسبما علمت — ان حكومة ذلك الوقت حاولت ان تتجاهلها، ولكن المعارضة الحت واصرت على وجوب طرح المسالــة في البرلمان ، فنتـــج عن ذلك حل البرلمان ، ثم سقوط الحكومــة .

وهكذا تغافلت حكومة ذلك العهــد عما جاء في المذكرة مــن تخوفات وتركت الجالية الفاشيستية تصنع ما تشاء ، وابقت المظالم الايطالية على ما كانت عليه ، وتناست الاموال والارزاق المنهوبة من أهلها ظلما وعدوانا حتى قيض الله لهذه الامة ثورة الفاتح التي ارجعت الامور الى نصابها ، وحققت للشعب الليبي جميع أحلامه وعلى اثر الخطــاب الشهير الذي القاه العقيد معمر القذافي بمصراتة صدر قرار مجلس الثــورة في 18 جمادى الاولى 1890 الموافق 21 يوليه 1970 بارجاع الاملاك المغصوبة في ايام الحكم الايطالي الى اربابها ونفــذ الجلاء النهائي والتحرر الكامل يوم 7 اكتوبر من نفس السنة ، فكان ذلك القــرار من اعظــم حسنات ثورة الفاتــح ، ومن أبــرك الاعياد القوميـــة للشعب الليبــي وسمـــي هذا العيد (عيــد الثــار) .

ولا شك انه بالنظر الى التشكلات الطبيعية لطبقات أراضي ولايتنا انها تحتوي على ثروات معدنية عظيمة مدفونة ، ولدى اكتشاف هذه الثروة بطرق فنية واخراجها الى عالم الوجود يمكن الحصول على قروض على حساب هذه الثروة .

وعلى كل حال ، فاننا نرجو ـــ بكل اهتمام ـــ تحقيق مثل هذه المشاريع الحيوية على يد عثمانيين لعلاقة ذلك بمصالح ولايتنا ، والامر والفصل في هذا الباب لحضرة من له الامر » .

5 محرم 1325
9 فبراير 1908

التقسيم الاداري : بالاضافة الى اهمال تركيا لوسائل الدفاع العسكرى بالبلاد ، وحتى القليل الموجود منها كان متمثلا في مدافع وبنادق قديمة ، وحصون عتيقة تنهار امام طلقة مدفع ، بالاضافة الى ذلك كان النظام الاداري نفسه غير سليم لا يساعد على تنظيم الدفاع وسرعته .

فمقاطعة طرابلس كانت مقسمة الى اربع متصرفيات :

1 ـــ طرابلس ومركزها مدينة طرابلس

2 ـــ الخمس ومركزها مدينة الخمس

3 ـــ الجبل الغربي ومركزها مدينة يفرن

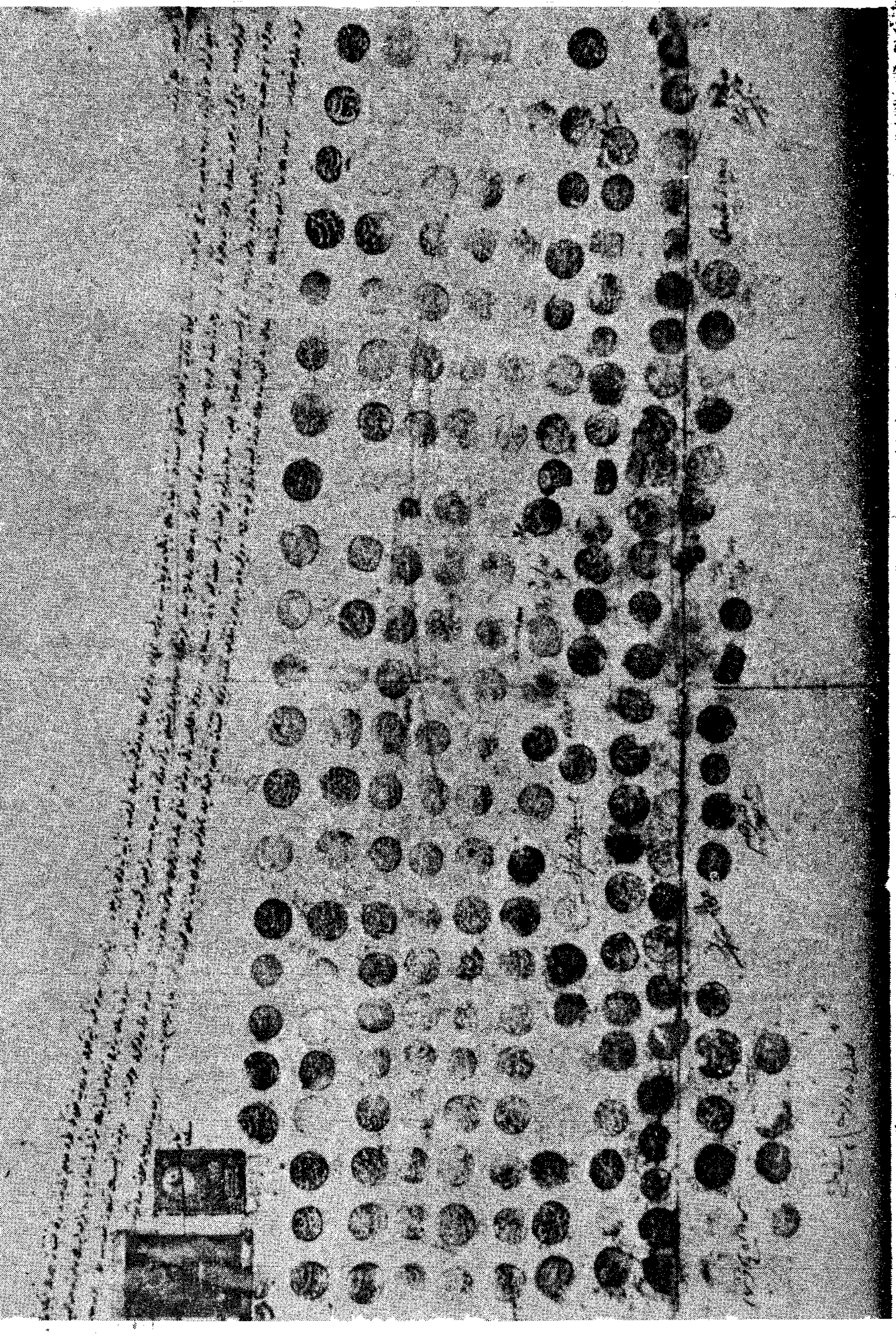
4 ـــ فزان ، ومركزها مدينة مرزق

ومقاطعة بنغازي متصرفية مستقلة في جميع شؤونها ، يحكمها حاكم مدني برتبة متصرف ، لا اتصال لها بطرابلس الا في الشؤون العسكرية ، والبريدية ، والجمركية والقضائية .

وتربط بين الاراضي الواسعة لمقاطعة طرابلس المترامية من البحر الى حدود التشاد مراكز للبرق لا تعدو العشرين مكتبا (22) .

---

22) انظر ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ص 31 وما بعدها .



وضعف النظام الاداري هذا مع قلة الحاميات العسكرية جعل القبائل تعتمد في دفاعها على فرسانها ، وفي حكمها على شيوخها ، ولولا المسحة الدينية السائدة في القبائل التي تربطها روحيا بمقـــام الخلافة العثمانيـة ، لما استطاع الاتراك ان يحكموا البلاد ، ولا ان ينفذوا فيها اي اجراء .

الحـــالة الاقتصـــادية

يعتمد اقتصاد طرابلس على ثلاث قواعد : التجـــارة ، والصناعة ، والزراعـــة .

التجارة : اذا تجاوزنا التجارة المحلية في اسواق المدن ودكاكين القرى في الارياف والمعروفة في كل بلد ، وفي كل قرية ، والخاصة بمواد الاستهلاك المحلي ، فان التجارة الهامة التي تفيد منها الدولـــة هي : التجارة في مواد التصدير والتوريد ، وهذا النوع من التجارة فـــي طرابلس قبل الاحتلال الايطالي له طرق برية وبحرية .

الطرق البرية : بواسطة القوافل التي كانت تسلك طرقا متعددة :

ـــ طريق قربط درنة بالاراضي المصريـــة ، ولم تكـــن آمنة من اغارات القبائل (23) .

ـــ طريق تربط زوارة بالاراضي التونسية ، واخرى تربط غـــدامس بنفس البلاد ، وكثيرا ما تكونان هدفا للاغارات ايضا .

ـــطريق تربط غدامس بالسودان الاوسط مارة بغات وتستغرق الرحلة فيها بين 8 او 9 اشهر ذهابا وايابا واغلب تجارها من الغدامسيين ، وهي طريق محفوفة بالاخطار اذ تتعرض فيها القوافل ـــ اذا لم تكن لها حماية قوية ـــ الى اغارات البدو من قبائل التوارق (24) .

ـــ طريق تربط طرابلس بافريقيا انوسطى مارة بمرزق وتستغرق رحلتها نحو ستة اشهر ذهابا وايابا (25) .

---

23) المختار في مراجع تاريخ ليبيا ج 2 ص 261 .

24) ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ص 103 وما بعدها .

25) نفس المـــرجع ص 106

ـــ طريق تربط بنغازي بوداي مارة بواحات أوجلة والكفرة وتستغرق رحلتها بين 8 و 10 أشهر ذهابا وايابا . وهي أسلم الطرق الــى افريقيا لسيطرة السنوسية عليها (26) ولكنها أصبحت (في نهاية 1891 تتعرض للخطر من هجمات القبائل الثائرة) (27) .

والطرق الثلاثة الاخيرة كانت أوسع تجارة واكثرها نفعا فالصادرات من طرابلس الى افريقيا تتكون من (المصنوعات الزجاجية والمرايا والطواقي والبرانيس والالحفة والمنسوجات الحريريـــة والقطنية والاردية والتوابل والخرز) .

والواردات من افريقيا ، تتكون من : (جلد الفيلالي والاشغال الجلدية المتنوعة ، والعاج ، وريش النعام ، والتبر) (28) .

تجارة العبيد : وكانت تـــجارة العبيد المجلوبين من افريقيا السوداء مزدهرة ورابحة ولكن الاتراك قاوموا هذه التجارة مقاومة نشيطة تمشيا مع المبادي الانسانية ، ورغم ذلك فان هذه التجارة استمرت بشكل محدود ، وللتوزيع المحلي فحسب ، وبطريقة سرية الى ما بعـــد الاحتلال الايطالي 1911 ، ولاحظت الرحالة (روزيتافوربيس) سنة 1921 بقايا هذه التجارة في الكفرة (29) .

على ان هذا المورد الكبير المتمثل في التجارة مع افريقيا السوداء قد تدهور تدهورا كبيرا ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر .

وقد وردت في الجزء الثاني من (المختار في مراجع تاريخ ليبيا) الذي اعتمدناه في كثير من هذه الصفحات احصائيات تقريبيـــة تثبت التدهور المشار اليه وعلل ذلك بان (تغلغل النفوذ الاوروبي في وسط افريقيا وعلى

26) نفس المـرجع ص 106

27) المختـــار ج 2 ص 261

28) ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ص 107 .

29) المختـــار ج 2 ص 280 .

سواحلها القريبة كان من أهم العوامل التـــي ساعدت على تدهور تجارة القوافل) (30) .

وكانت السلطات العثمانية تشجع التجارة مع جارات ليبيا ، وخاصة مع تونس ، فكانت القوافل التونسية تمتار من طرابلس وزوارة وغدامس ، ونالوت ما تريد في حرية تامة ، وحتى السلط الفرنسية لـــم تنصب مراكز جمركية في الحدود حتى لا تثير الاهالي الذين لا يعترفون بحدود بين طرابلس وتونس ، كما كانت القوافل الليبية تمتار ما تريد من تطاوين ومدنين وقابس ونفزاوة وقفصة الخ ، في حرية تامة ، ولم تعـــرف المضايقـــات الجمركية ورخص السفر ، إلا بعد تركيز الاحتلال الايطالي في ليبيا .

وكانت التجارة بين طرابلس وجارتيها تونس ومصر تتمثل في المواد الغذائية وفـــي الحيوانات والمنسوجات والمصنوعات الجلديـــة المختلفة ، والعبيد الذين كان التجار التونسيون من سكان الجنوب يوردونهم من غدامس بصفة سرية الى نهاية القرن التاسع عشر وتقتصر هذه التجارة على التوزيع المحلي الضيق .

الطرق البحرية : منها القصيرة التي تتصل بواسطتها ليبيا بالمواني التونسية والمصرية ومالطة ، ومنها الطويلة الواصلة الـــى مواني اوروبا ، والحركة البحرية الهامة تتمثل في مينائي طرابلس وبنغازي ، وهناك موان اخرى لارساء البواخر التجارية ، في مصراتة ، وسرت ، وزوارة ، وسوسة ودرنة .

ومن هذه المواني تصدر طرابلس : ريش النعام والعاج والتبر والجلود والاسفنج والصوف والبسط والحصر والملـــح والشعير والحناء والحوامض والتمور والنطرون والحيوانات كالخيل والبقر والضان والحلفاء (31) التي كانت موفورة بضواحي طرابلس والخمس وزليطن والجبل ، واصبحت مادة مطلوبة للتصدير منذ سنة 1868 . (32)

---

30) نفس المـــرجع ص 281

31) ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ص 90 والمختار ج 2 ص 258 .

32) ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ص 85

وتورد المنسوجات القطنية ، والحريرية ، والاقمشة ، والمواد الحديدية والفحم والسلك وأخشاب البناء والوقود والاثاث والزجاج والمصنوعات اليدوية المختلفة ، والارز والدقيق والنبيذ والكحول ، والجلود المصنوعة والاسلحة والبارود والتبغ والورق والسكر والقهوة والشاي .

والبلدان الرئيسية التي تتعامل معها ليبيا تصديرا وتوريدا هي : ايطاليا وانقلترا ، ومالطة ، ومصر ، وتونس ، وفرنسا ، والنمسا ، وهنغاريا ، والمانيا ، واليونان ، وكريت (33) وتمتاز ايطاليا من هذه البلدان بحصة الاسد ، توريدا وتصديرا .

الصناعة : الصناعات المختلفة منتشرة في كامل التراب الطرابلسي ، وهي متعددة واكثرها مما يحتاجه الاستهلاك المحلي واشهرها :

المنسوجات : بواسطة الانوال تكثر في مدن طرابلس ومصراته وبنغازي ، ودرنة وتتمثل في الاردية ذات الالوان المختلفة والزينة والرسوم .

فالصوفية منها تتمثل في الاردية الرجالية المعروفة (الحولي) وأهم مراكزه طرابلس ، والجبل في بلدان نالوت ويفرن وفساطو ، وفي مصراتة يصنع نوع (العباء) وهو يشبه (الوزرة) التونسية ، وانواع (المرقوم) و (الكليم) والاغطية المعروفة في تونس (بالبطانية) والافرشة المعروفة في تونس (بالفراشية) ، وصناعة الصوف منتشرة في القبائل البدوية ايضا حيث تنتشر صناعة الانسجة الشعرية والوبرية كالغرارة والفليج وغيرهما .

والانسجة الحريرية بمختلف انواعها موطنها مدينة طرابلس ، ومنها تصدر الانواع المخلوطة بالاسلاط الفضية والذهبية .

الحصير : وصناعة الحصير كانت مزدهرة بطرابلس ، ومراكزها المشهورة : تاورغا وتاجورا ، وهي صناعة مرغوبة للتصدر خاصة حصير تاورغا .

والحصر تصنع من الحلفاء ومن سعف (الكانابا) والنوع الاخير يلاقي اقبالا اكثر لدقة صناعته .

---

33) نفس المرجع ص 91 .

الصياغة : واشتهرت ليبيا ايضا بصياغة الذهب والفضة وصناعة الحلي كالاسورة والاقراط والخواتم ومراكزها المشهورة : طرابلس ويفرن وجادو وغدامس ومصراته وبنغازي ودرنة والمرج (34) .

وهناك صناعات اخرى مختلفة اقل اهمية ، كالدباغة على الطريقة العتيقة وصناعة الصابون . والاواني الفخارية والاحذية الوطنية (البلغة) والاحزمة الجلدية والرواحل (سروج المهارى) الخ واغلب هذه الصناعات معد للاستهلاك المحلي ويروج في الاسواق الداخلية الي تنقل اليها هذه الصناعات من مراكزها .

وكانت البلاد منتفعة بصناعاتها الرائجة في الاسواق الداخلية والخارجية قبل الاحتلال الايطالي الا ان مزاحمة الصناعات الاوروبية حددت من رواجها في الخارج وفي الداخل معا ، وقضى الاحتلال الايطالي على كثير منها ، وحد من رواج الباقي منها حتى في الاسواق الداخلية ليفسح المجال الى صناعات ايطاليا .

الزراعة : أحسن الزراعات التي تنتجها طرابلس القمح ، والشعير بكثرة ، اذ كانت هذه المادة معتمدة في عيش أغلب السكان خاصة في الارياف كما تصدر منه كميات هامة للخارج وخاصة الى بريطانيا حيث يصنع منه مشروب (البيرة) .

ومزارع الشعير واسعة ومنتشرة وموفورة المحصول خاصة في جهات ورفلة وترهونة وغريان ، والزيتون وهو متوفر في جهات مختلفة خاصة في مسلاتة ، وترهونة وجبل نفوسة واودية ورفلة الى جانب مزروعات اخرى كالتين الذي يدخر مجففا والتمر ، وأنواع الغلال والمقاثي والخضر .

ويتبع الزراعة الانتاج الحيواني من الابل والضان والمعز بكثرة ، والبقر والخيل والحمير (35) .

---

34) نفس المرجع ص 80 وما بعدها .
35) نفس المرجع ص 111 وما بعدها .

يمكن أن نقول ان الثقافة كانت مقصورة على التعليم ويتمثل في :

1 ـ **الكتاتيب القرآنية** : وكانت منتشرة في عموم البلاد الليبية في المدن والقرى ، وحتى في (الدواوير) البدوية ، وتعليمها يقتصر على تعليم القراءة والكتابة ، وتحفيظ القرآن العظيم ، وتعاليم المبادى الدينية .

2 ـ **المعاهد الدينية** : عرفت منها ثلاثة بطرابلس : مدرسة أحمد باشا القرمانلي ، ومدرسة محمد باشا ، ومدرسة الكاتب ، وتدرس فيها علوم التفسير والحديث والفقه وتؤهل الطالب بعد 3 سنوات للالتحاق بالجامع الازهر بمصر ، وجامع الزيتونة بتونس .

3 ـ **المدارس العصرية** : كانت توجد في المدن التالية :

في طرابلس : مدرسة ابتدائية للذكور تدرس فيها مواد اللغة العربية اللغة التركية ، القرآن الكريم والتجويد ، الفقه ، الحساب ، الجغرافيا ، التاريخ العثماني ، الخط ، ومدة الدراسة ثلاث سنوات .

ـ مدرسة ثانوية للذكور (الرشدية) وتدرس فيها اللغات : العربية، والتركية ، والفارسية والفرنسية ، والعلوم الدينية ، والحساب والهندسة والجغرافيا ، والتاريخ العثماني والتاريخ العام ، ومبادى الصحة والخط والرسم ، ومدة الدراسة فيها اربع سنوات (36) ـ مدرسة ابتدائية ثانوية للبنات ومنهجها مماثل لمنهج المدارس الاخرى يضاف اليها : الاعمال النسائية والتدبير المنزلي ومدة الدراسة فيها ست سنوات : 3 ابتدائي و 3 ثانوي .

مدرسة دار المعلمين ومنهجها منهج المدارس الثانوية ومدة الدراسة فيها سنتان .

ـ المدرسة العسكرية منهجها كالثانوية تضاف اليها الشؤون الحربية ومدة دراستها خمس سنوات .

---

36) هذه هي المدرسة التي تخرج منها عبد النبي بلخير كما سياتي

ــ مدرسة الفنون والصنائع : خاصة بتعليم الحرف لابناء الفقراء .

ــ مدرسة العرفان : ابتدائية بهـا قسم للذكور وقسم للاناث وهي مدرسة حرة لابناء الموظفين والعسكريين ومنهجها منهج المدارس العامة .

ــ مدرستان ابتدائيتان حرتان خاصتان بابنـاء الجالية اليهودية احداهما للذكور والاخرى للانـاث .

ــ خمس مدارس ايطالية : احداها تجارية ، وواحـدة مسائية ، واخرى خاصة بابنـاء الايطاليين ، وعـدا المدرسة الخـاصة الاخيرة ، فمدارسهم مفتوحة للجميع ، الا ان غالب المترددين على المدارس الايطالية هم ابناء اليهـود .

ــ مدرسة فرنسية عصرية ، كمدارس ايطاليا مفتوحة للجميع .

في الخمس : مدرستان ايطاليتان ابتـدائيتان واحـدة للـذكور والثانية للاناث .

في بنغازي : مدرستان ابتدائيتان تركيتان .

ــ مدرسة ثانوية تركية خاصة بابناء الموظفين والعسكريين .

ــ مدرستان فرنسيتان مفتوحتان للجميع .

هذه خلاصة عما كان في ليبيـا من مدارس للتعليـم قبل الاحتلال الايطالي لخصناه عن كتاب (ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني) (37) ومنه يتضح ان السلطة التركية كانت شرعت في نشر المدارس في المدن الكبرى وقد زاحمتها ايطاليا بنشر مدارسها في تلك المدن اعدادا للاحتلال السياسي وتمهيدا لنشر الثقافة الايطالية في البلاد .

---

37) ص 118 وما بعدهـا .

الفصل الثاني

بلد عبد النبى

بنووليـد ـ موقعهـا ـ معالمهـا ـ سكانهـا ـ اقتصادهـا

ما هي بنو وليد ، أو بني وليد كما ينطقها السكان اليوم ؟ هل هي مدينة أو قرية ؟ جبل أو واد ؟ سهل أو حزن ؟ واحـة في صحراء ، أو جنـة في حـرة ؟

بنو وليد هي هذا كلـه .

هي مدينة ان اعتبرت القرى العديدة التي تتألف منها كاحيـاء متفرقة من مدينـة .

وهي قرية اذا اعتبرت كل من قراها مستقلة بنفسها .

وهي جبل ، لان موقعها يتصل بمصبات غريان الشرقية .

وهي واد ، باعتبارها واقعـة على ضفتي واد يسمـى بهذا الاسم (وادي بني وليد) .

وهي سهل باعتبار السهول الممتدة في أطرافها .

وهي حزن لان أرضها حـزون حجرية ، ولا يـوجد الخصب الا في أوديتهـا .

وهي واحة في صحراء ، فالقادم اليها من الشمال أو من الجنـوب

لا يرى الا ارضا جرداء ، لا يظهر على وجهها الا الاحجار ، حتى ينحدر الى واديها فيفاجئه الاخضرار والازدهار ولفائف الاشجار .

وهي جنة في حرة ، فهي واد اخضر ساحر المنظر ، طيب المخبر ، تكتنفه من ضفتيه حرة ذات أحجار سوداء كانها بقايا براكين .

بنــو وليــد : من اين جاء هذا الاسم لهذا المكان ؟

يقص بعض السكان اسطورة لا تعتمد على اساس من المنطق ، خلاصتها : ان خالد بن الوليد رضي الله عنه كان نزل مع جيش اسلامي من جيوش الفتح بهذا الوادي اومر به ، فأخذ المكان هذا الاسم من (ابن الوليد) ، وهي اسطورة ملفقة ، اذ المعروف ان خالد بن الوليد رضي الله عنه شارك في فتح العراق والشام ومات بمدينة حمص الشامية ، ولم يدخل افريقيا في حياته .

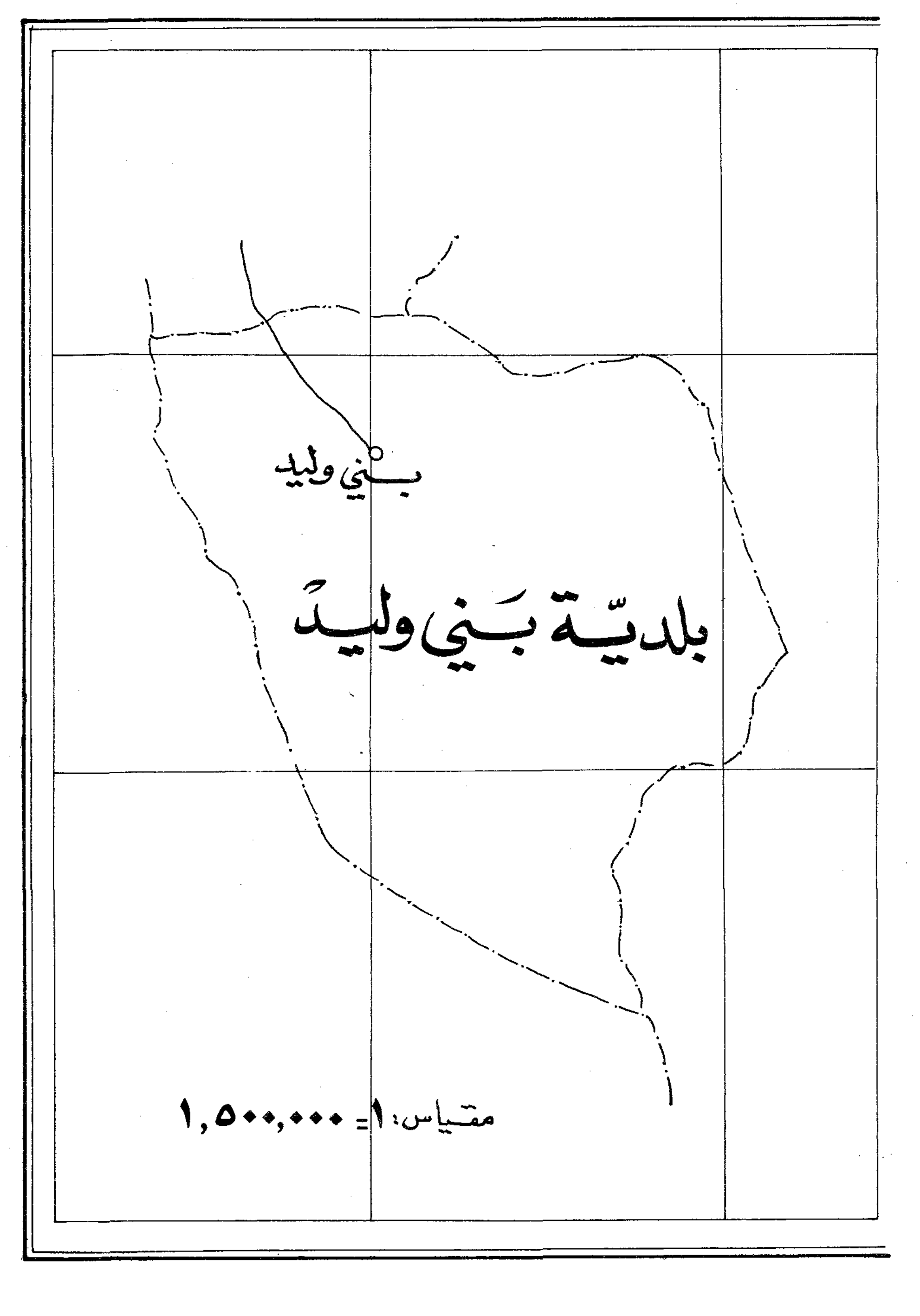
وهناك اسطورة أخرى شبيهة بهذه ، تقول ان قوافل الحجاج الواردة من بلدان المغرب كانت تمر بوادي بني وليد ذهابا وايابا ، وكانت تقيم به الايام المتعددة لاراحة حيواناتها الكثيرة تنعم بخصبه وبكثرة اشجاره وأثماره وأعشابه ، وقد تترك به بعض الحيوانات التعبة ، فتتوالد تلك الحيوانات بكثرة في الوادي فسمي من أجل ذلك (بني وليد) ؟

والظاهر أن قبيلة تحمل هذا الاسم (بني وليد) نزلت قديما بهذا المكان فاطلق اسمها عليها .

واسم (وليد) موجود ومعروف في ليبيا من ذلك (سيدي وليد) وهو المكان الكائن بين العزيزية وترهونة الذي وقعت فيه معركة ضد الايطاليين في 20 ماي 1915 (1)

موقع البلــد : انحدرنا بالسيارة من روابي ترهونة المخضرة الى سهول وحقول يتموج بها الزرع ، وينتشر في جوانبها الضرع ، وكانت

1) انظرها في معجم معارك الجهاد في ليبيا لخليفة التليسي ص 324 .



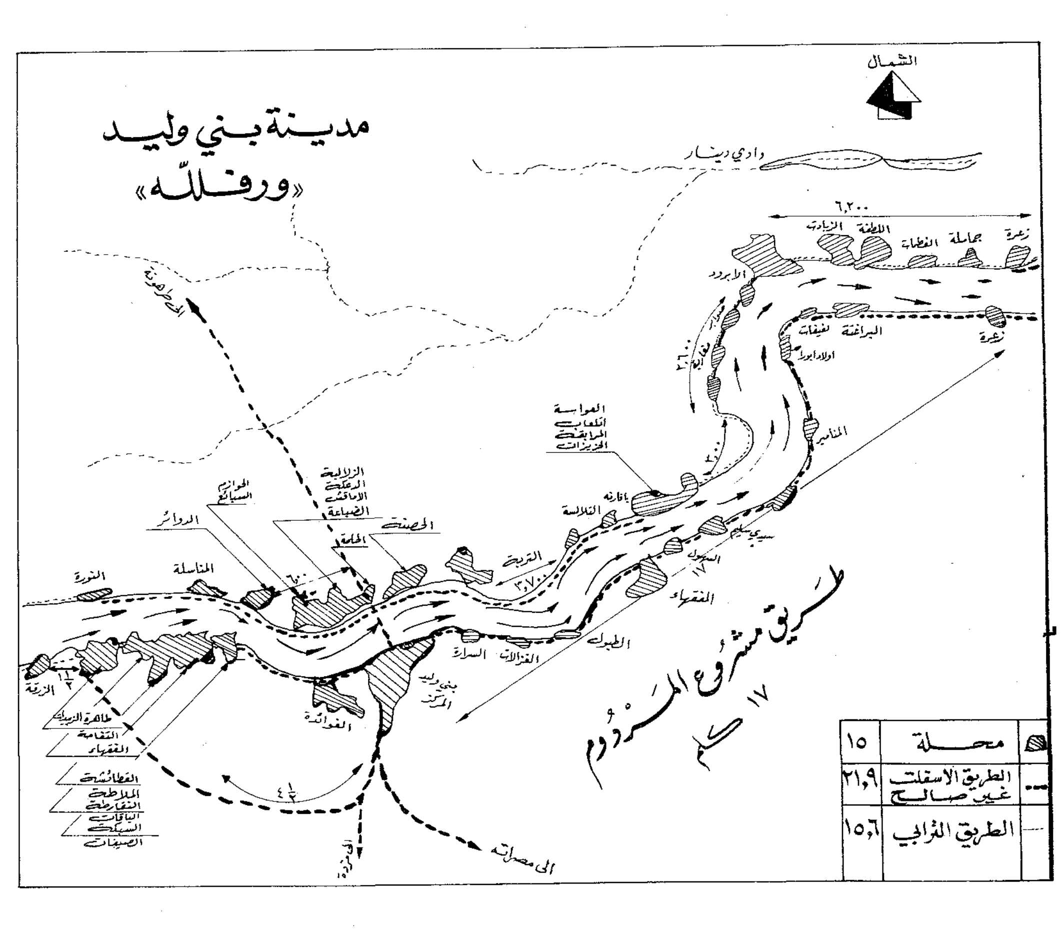
خريطة الدائرة البلدية لبني وليـد .

هذه السهول تدفعنا احيانا الى جبال عارية أو رواب كاسية هي بقايا جبل غريان المنحدرة نحو الشرق ، تدفع مياه الامطار الى أودية ترهونة وورفلة الحاملة للسيول نحو البحر ، وهذه تدفعنا الى اودية عميقة مخيفة تارة ، وعريضة ضاحكة تارة اخرى ، وكانت الطريق تتلوى بنا بين الروابي حينا، وتمتد مستقيمة بين السهول حينا آخر ، واعترضنا (وادي دينار) ذو التاريخ الحافل فادركنا من اسمه اننا نقترب من بني وليد ، كان وادي دينار يمتد بين سلسلتين من الروابي الجرداء يضيق حينا ويتسع حينا آخر ، واذا رفعت بصرك الى رؤوس الروابي يمينا ويسارا طالعتك أحجار ناتئة صففت كالحصون على ضفتي الوادي العميق .

كان المجاهدون من ورفلة نصبوا هناك تلك الحصون واختبأوا وراءها استعدادا لتلقي جيش قراسياني بالنار يوم 27 ديسمبر 1923 ، اذ كانوا يعتقدون ان لا مندوحة للجيش الايطالي من المرور في وادي دينار لوعورة المسالك الاخرى ، ولكن قراسياني كان متنبها لخطر وادي دينار ، وادرك انه ـ اذا سلكه ـ سيجده واديا من نار ، فسلك بجيشه الطريق الجبلية الوعرة خلفالضفة اليمنى للوادي ، ولم يتفطن المجاهدون للجيش الزاحف الا عندما أصبح على نحو 15 كم من بني وليد .

وقبل أن يلتوى وادي دينار الى اليسار ليلتقي بوادى بني وليد تطالعك على اليمين حرة ذات أحجار سوداء متسعة الجوانب عارية لا نبات فيها ، هناك في ذلك المكان وقعت المعركة الضارية اليائسة بين المجاهدين والجيش الايطالي ، وهناك انتصب النصب التذكاري لمعركة دينار ، وعلى النصب ظهرت صورة قائد الجهاد الورفلي عبد النبي بلخير ممتطيا صهوة جـــواده .

الوادي : وانحدرت بنا السيارة الى الامام فاذا نحن في واد اخضر ظليل تغمره أشجار الزياتين العتيقة الضخمة على مسافة تتجاوز 20 كم ، وتبهرك هذه الزياتين بمجـرد حصولك بينها ، تبهـرك بضخامتها ، فان الواحدة منها تمتد فروعها الى مسافة بعيدة ، تستطيع ان تظلل القافلـة الكبرى بابلها ورجالها ، وان تحمل فروعها عشرة رجال يجنون زيتونها ،



خريطة مدينة بني وليد .

ولا يتصل احدهم بالآخر ، وقد يقضي هذا العدد من الرجال في جنيها اياما متعـــــددة .

ويمتد هذا الوادي الظليل من الغرب الى الشرق مسافة نحو 20 كم يقطعها الانسان في ظلال وأشجار متصلة ببعضها ، وعلى جانبي الاشجار توجد الآبار العذبة نصبت على أفواهها الجرارات بدلائها وارشائها (2) .

ويبتدىء عمران الوادي من سيدى مغرغر آخر نقطة في الغرب ، وتقع في مساحة متسعة تزيد اتساعا الى القبلة عند قصر الصيعان ثـم ترجع الى اتساعها العادي في انحناءات قصيرة بين رواب عاليـــة حتى نقطة (سيدى جلال) في الشرق .

وعلى ضفتي الوادي عند التقاء الحرة بمنخفضه ، تقوم القرى التي تتكون منها بلد بني وليد ، وتقع هذه القرى على مشارف الوادي تكاد تكون متقابلة ،ويبتدىء البناء عادة من منحدر الروابي نحو الــوادي الى سطح الحرة بالنسبة للبناء القديم ، اما البناءات الجديدة فقد تمددت الى السطح الاجرد من الحرة الموازي للقرية .

وقرى بني وليد تعد حوالي 53 قرية تستقل كل منها عن الاخرى ، وكل قرية خاصةبقبيلة من قبائل ورفلة العديدة (3) .

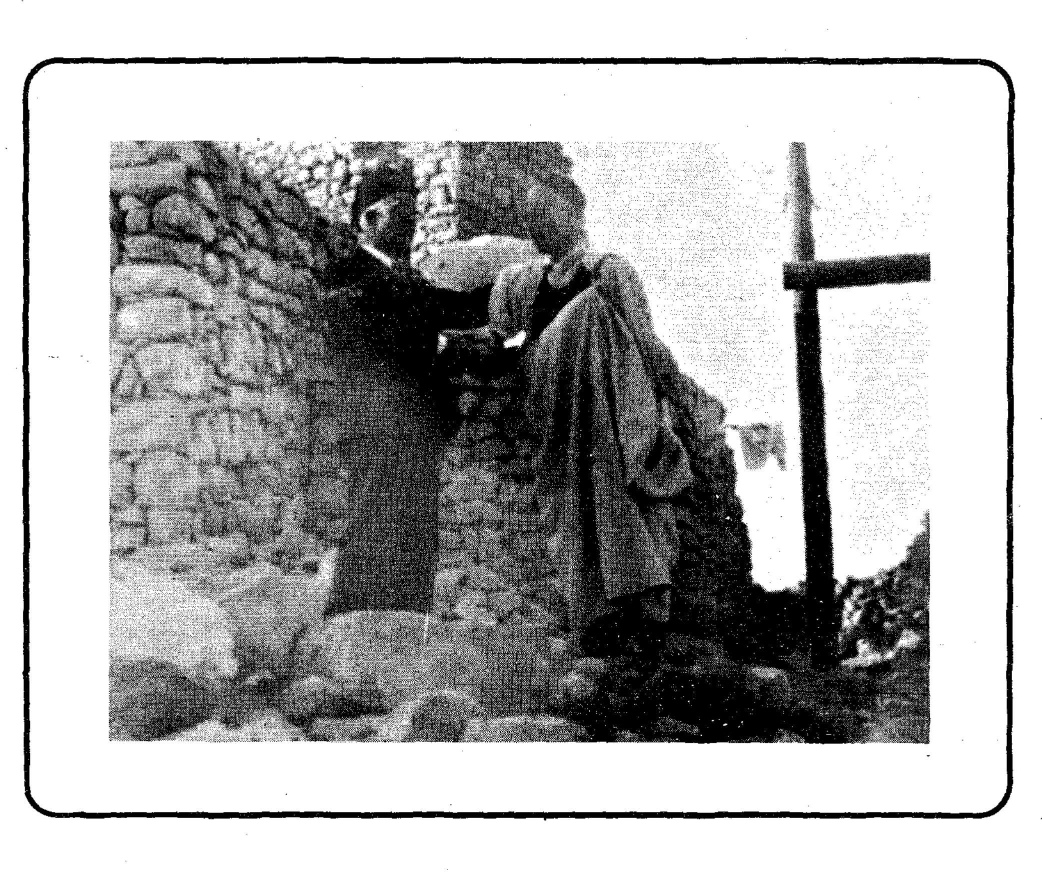
وغالب هذه القرى تسمى قصورا ، ويظهر انها بنيت في السابق لتكون مخازن للسكان ، يخزنون فيها اشياءهم ومواد معاشهم حين يرتحلون الى مرابعهم ، كما كان معروفا في الجنوب التونسي ، ولا تزال بعض آثـــار هذه القصور القديمة ماثلة للعيان .

فتمتد على الضفة القبلية للوادي قصـــور : الجماملـــة والزبيدات ، والقطانشة والصيعان ، (حيث يوجد منزل عبد النبي) وقصر بني وليـــد وهو مركز الادارة الحكومية والمستشفى والمؤسسات الاقتصادية والسوق ،

---

2) اوجدت الحكومة الان عدة آبار بنت عليها خزانات كبيرة لتزويد السكان بماء الشـــراب وما زالت مصلحة المياه توالي الحفر وبناء الخزانات بما يفيض عن حاجة السكان .

3) سياتي الحديث عن هذه القبائل في الفصل الاتي .



المؤلف مع الشيخ مسعود قريميدة أمام ضريح سيدي جلال ـــ فيفرى 1976 .

وقد بنى هذا القصر علي باشا عشقر التركي والي طرابلس (1254 ــ 1258هـ 1838 ــ 1842 م) ثم قصــور الصرارة ، والطبــول ، والفقهــاء ، واولاد بوراس ، والكميعات ، وعون الله الخ .

وعلى الضفة الشمالية قصور : المناسلة ، والدوائر ، والسبائع ، والحلمة ، والحصنة ، والسهول ، والتلمــات ، والعطيــات ، وأولاد سي سليــم الخ . (4)

المؤسسات : وفي قصر بني وليد هذا توجد السوق القديمة واغلب المؤسسات الدولية ، وأول بناء يظهر قائما على المنحدر هو ادارة المتصرفية القديمة التي كانت مركزا لعبد النبي بلخير ، ومنها تنطلق البناءات جنوبــا وشرقا وغربا ، وفي النقطة الشرقية الشمالية من البناء تقوم دار المرحوم الهادي بن يونس التي جعل منها المرحوم رمضان السويحلي مركزا لقيادته اثناء حملته على ورفلة سنة 1920 .

وفي هذا المركز تقوم زواية عبد النبي بلخير التي لا تزال على شكلها القديم وبها جامعللصلاة وبيوت عديدة لسكنى الطلبة ، وهي معهد للتعليم القرآنــي والديني في عهد تأسيسها .

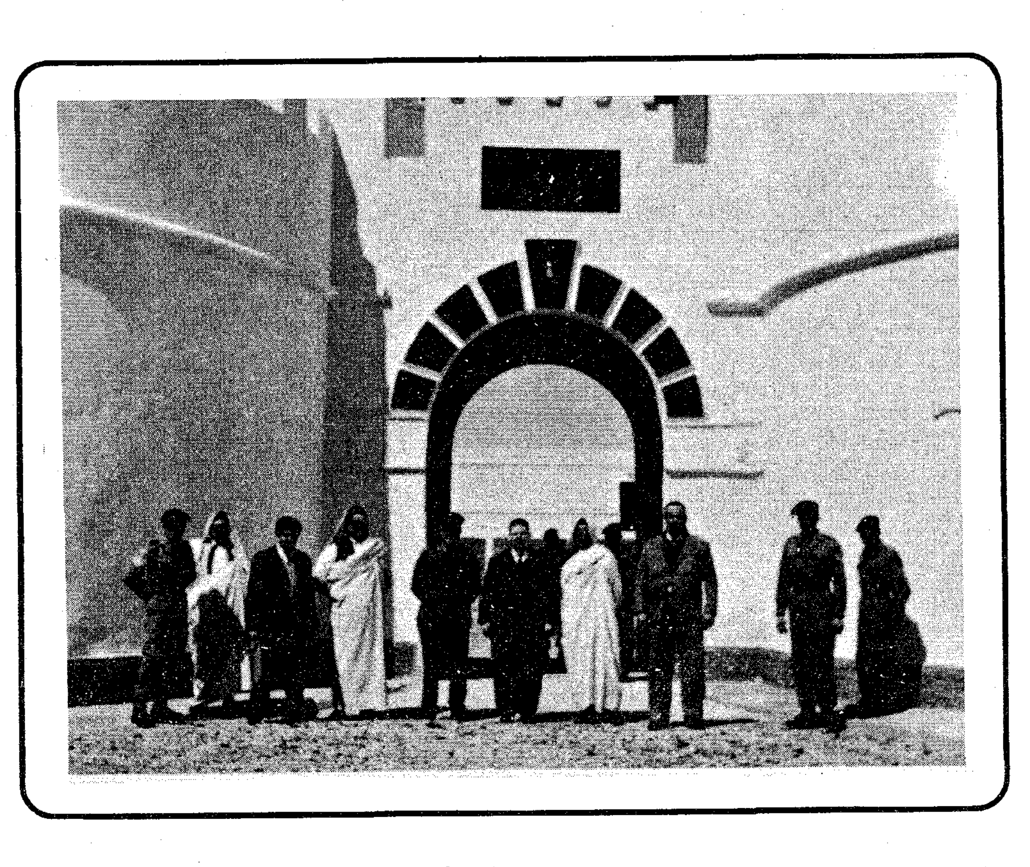
والى جانب مجموعة بناءات السوق والمدرسة وجدت مصحة طبية ومصالح حكومية متعددة للتعليم ، والصحة ، والزراعة ، والعمل ، والشؤون الاجتماعية والشباب ، والشؤون المالية ، والمواصلات ، والاسكان والتنوير والبريد ، وفرع لمصرف الامة للمعاملات البنكية .

المــــدارس : اما المدارس في بني وليد فقد انتشرت انتشارا عظيما في عهد الثورة فوصلت نحو 27 مدرسة ابتدائية الى جانب مدرسة جديدة رأيتها وهي بصدد البناء (5) بها 16 فصلا ، ومدرسة ثانويــة اعدادية ، ومدرسة لترشيح المعلمات وثلاث مدارس قرآنية حــرة .

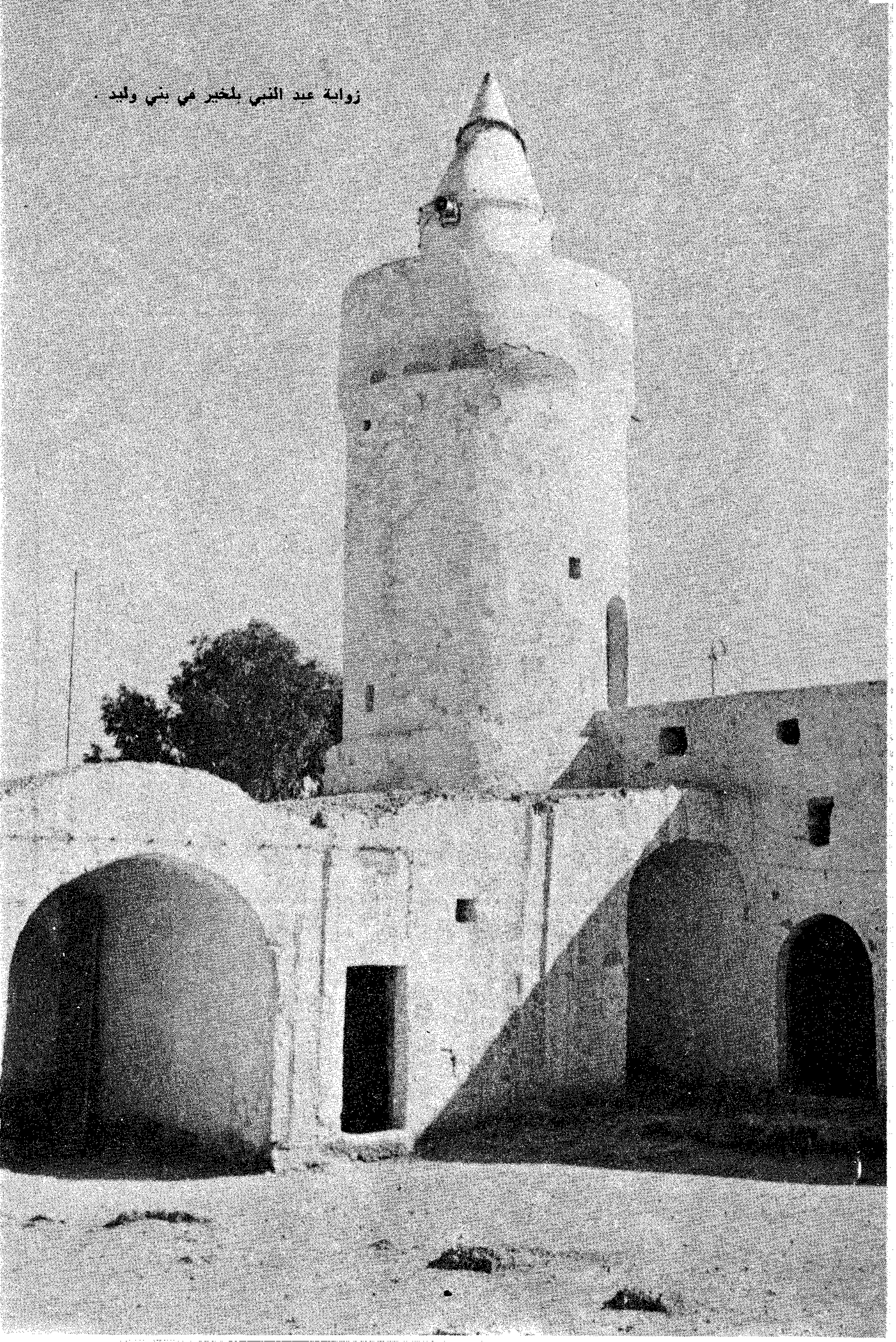
---

4) معجم البلدان الليبية للزاوي ص 337 .

5) فبراير 1976 .



واجهة قصر بني وليــد



زوايـة عبد النبي بلخير في بني وليد .

ولكن هذه الحركة التعليمية المزدهرة الموجودة اليـوم في بني وليد كانت مفقودة في القديم اذ لا يوجد فيها من المدارس غير زاوية عبد النبي بلخير والكتاتيب القرآنية والجوامع التي يقتصر فيها التعليم على تحفيظ القــرآن الكريم ودروس دينية مختلفة .

المؤسسات الدينية : توجد المساجد والجوامع في عموم قــرى بني وليد فلا تخلو قرية من جامع أو مسجــد ، فقد اخبــرني الشيخ عبد الله طابية انالتمسك بالدين في ورفلة على أشده ، وان عــدد المساجد فيها يصل الى حوالي 50 مسجدا بأيمتها ومؤذنيها منها 21 جامعا للجمعة ، وهو ما يستوجبه عدد السكان واقبالهم على أداء فرائض دينهم .

السكــــان : يرجع سكان بني وليد الى عدة قبائل متفرقة تجمعت هناك في قرى متقاربة ، كل قرية تسكن الى حماية بركــة أحد الاوليــاء الصالحين من جدودها ، بحيث لا تخلو قرية من قبة أو قباب لولي صالح او أولياء صالحين ، يقدس السكان اضرحتهم التي هي مــزارات لورفلة وغيرها من القبائل الاخرى .

ومن المتواتر ان الولي الصالح سيدي عبد السلام الاسمر صاحب الزاوية المشهورة بزليطن كان يزور أولياء ورفلة ، ويقيم عندهم الايـــام المتعددة ، حتى انه اختار الانقطاع الى الله مدة سبع سنوات في (قلعة سوفجين) جنوب بني وليد ويوجد بها الى الآن ضريح ابنه سيدى محمد المبارك وهو الآن مقصد الزوار من كل مكان .

ولا يزال شيوخ الفواتير من اتباع زاوية زليطن يزورون اولياء بني وليد كما ترد ورفلة الزيارة لهم بزليطن .

وفي وادى بني وليد وأوليائه يقول الولي الصالح سيدى محمد بن درواز :

وادي شيوخــه نواويــر   وفقــراه هــم أدامــه

ما زال موصوف بالخيــر   للحشــر يوم القيامــه

وفي الوادي وأوليائه يقول المرحوم الشيخ عبد السلام قاجة عالـــم بني وليد ، من قصيدة له مطولة مشهورة :

وفيه رجال صالحون وكلهم   بدفع البلا عن أهله لزعيم

وسكان بني وليد بدو ، كانوا يتنقلون مع حيواناتهم في الصحـــراء ءي فصل الربيع ، ويسكنون الخيام ، ويرجعون الى قراهم ببني وليد في أوقات معينة من السنة .

كانت هذه حياتهم في السابق ، اما اليوم فقد استقر غالبهم في بني وليد ، واصطبغت حياتهم بالحضارة الحديثة ، ومارسوا اعمال الاستقرار

وكان عدد سكان ورفلة ـــ حسب آخر احصاء في العهد التركي خمسة وسبعين الف نسمة ، ونتيجة لمعارك الجهـــاد التي خاضتها البلاد ضـــد القـــوات الايطـــالية تراجع عددهم الى أقـــل من النصف بالاستشهـــاد في ساحات الحرب ، وبالهجرة الى خارج الوطن ، أو بالنزوح الى المدن طلبا للعيش .

وعدد سكانها الآن ـــ حسب نشرية بلدية بني وليد (1977) خمسة وثلاثين الفا ومائة وستة وثمانين (35،186) نسمة ، ويطلق اسم ورفلة على جميع سكان بني وليد ولو انهم ينتسبون الى قبائل مختلفـــة ، وكلهم عرب ، ويظهر ان اسم (ورفلة) انجر اليهم من قبيلة بربريـــة كانت تسكن الوادي في الازمنة القديمة ، يقول الزواى : (6)

« أرفلة تطلق على القبيلة ، وعلى الارض التي تملكها ، وكلمة (أرفلة) بربرية ، اسملقبيلة بربرية كانت تسكن هذه المنطقة ، وحرفت الى (ورفلة) وقبائل ورفلة المعروفون الآن كلهم عرب .

وقول الشيخ الزاوي هذا يؤيده المنطق والـــواقع ، اذ المعـــروف ان زحفة هلال وسليم على افريقية قد زحـــزحت بعض القبائـــل البربرية من

6) معجم البلدان الليبية ص 338

اماكنها وانتقلت الى القلاع الجبلية ، وهنـــاك احتفظت ببعض ميـــزاتها وتقاليدها ولغتها (الشلحة) وبقيت قبائل اخرى في اماكنها واندمجت في القبائل العربية فانصهرت فيها وتعربت نهائيا ، ونسيت تقاليدها ولغتها .

وهذا ما غاب عن (دي اغسطيني) الذى قال في كتابه (سكان ليبيا) (7) « يمكننا ان نرد اغلب هذه القبائل (قبائل ورفلة) الى قبيلة (ورفل) من بربر هوارة (جذم برانس) ، ونفتقر في ظل معارفنا الحالية الى معلومات وثيقة مؤكدة يصح الرجوع اليها ، والاستناد عليها في تقرير ما اذا كانت عناصر عربية وبربرية قد امتزجت في عصور لاحقة ، الا ان هناك دلائل كثيرة مثل انعدام القرابة بين قبائل ورفلة وبقية القبائل العربية بطرابلس الغرب وغيرها ، تدفع الى الاعتقاد بان نسبة الدم العربي في ورفلة قليلة ، ان لمتكن معدومة ، ولذا فقد تم تصنيف هؤلاء السكان ضمن البربر » .

هكذا يصدر (دي أغسطيني) حكمه بان قبائل ورفلة تنسب في البربر لم يستثن منها الا (الصيعان والطبول) وتناسى (دي أغسطيني) مسألتين هامتين في علم الاجناس :

1) مسالة اللغة التي تؤكد ان سكان ورفلة عرب فلهجتهـــم العامية تكاد تكون عربية أصيلة ، فاذا قلت لاحدهم مثلا :

ـــ هات ذلك الشيء وكان لذلك الشيء نظير أقرب أو ابعد منه يسألك الاقصي والا الدوني .

وهو يقصد البعيد (الاقصي) او القريب (الدوني) ، والمؤنث (الاقصية) والدونية) أي القصوى او الدنيا ، والكلمات عربية فصيحـــة ، وغير هذا كثير في لهجتهم بالاضافة الى انعدام وجود اللغة البربرية عندهم .

2) الصفات الجسمانية المعبر عنها علميا (بالاتنولوجيا) فان ملامح الوجوه والعيون ملامح عربية تختلف عن ملامح البربر من سكان الجبال .

---

7) تعريب الاستاذ خليفة التليسي القسم الاول الخاص بطرابلس الغرب ص 309

قبائل ورفلة : قلنا سابقا ان ورفلة هي عبارة عن نحو (53) قبيلة تسكن القرى الرابضة على ضفتي وادي بني وليد ، وهذه اسماء القبائل واقسامها حسبما تلقيته من السكان :

ـ قسم السعدات ويشتمل على القبائل التالية :

1 ـ الصيعان ، وهي قبيلة المجاهد عبد النبي بلخير (يذكر أغسطيني انهم فرعان : الفوقيون واللوطيون)

2 ـ السكبة
3 ـ القطانشة
4 ـ التلمات
5 ـ الفقهاء
6 ـ العواسة
7 ـ الزلابة
8 ـ الضباعة
9 ـ الدعكية
10 ـ المواقش
11 ـ البقاقرة

ـ قسم الجماملة ، ويشتمل على القبائل التالية :

12 ـ المناسلة
13 ـ العورة
14 ـ الجلالطة
15 ـ الطبيقات
16 ـ الدروع
18 ـ الياقات
18 ـ النقارطة
19 ـ ضنا سعد الله (او ابناء سعد الله)

20 ـ الدلـــول

21 ـ الزبيـــدات

ـ قسم السبائع ، ويشتمل على القبائل التالية :

22 ـ النــــورة

23 ـ الرزقـــة

24 ـ المساعـدية

25 ـ التخاخـــة

26 ـ الفقهـــاء (8)

27 ـ الزمامـــة

28 ـ الحبلـــة

29 ـ الفشالمـــة

30 ـ القنــــادى

31 ـ التربـــة

32 ـ الخــــوازم

والاقسام الثلاثة السالفة يطلق عليها السكان ، اسم : (الاجالصة الفوقيين) (9)

ـ قسم الفلادنة الوسطيين ويشتمل على القبائل التالية :

33 ـ الدوائـــرة

34 ـ الحلمـــة

35 ـ القوائـــدة

36 ـ الســـرارة

37 ـ الحصنـــة

38 ـ التلالســـة

---

8) يلاحظ ان هؤلاء هم فقهاء السبائع ، والمذكورون في قسم السعدات هم الفقهاء اللوطيون .

9) الفوقي : الاعلـى .

39 ـ السهـــول

40 ـ الغـــزالات

41 ـ الحـــدادة

42 ـ الطبـــول

ـ قسم اللوطيين (10) ويشتمل على القبائل التالية :

43 ـ العطيـــات

44 ـ المناصيـــر

45 ـ أولاد ابي راس

46 ـ الكميعـــات

47 ـ الاساحقـــة (الاولى)

48 ـ الاساحقـــة (الثانية)

49 ـ اللطفـــاء

50 ـ الـــزيادات

51 ـ الفطمـــان

52 ـ الجماملـــة

53 ـ البـــراغثة

ويلاحظ ان غالب هذه القبائل ذكرها (أغسطيني) في كتابـــه ، وفيه زيادات ونقصان فقد عدد منها اكثر من (53) قبيلة بزيادة بعض الاسماء ولم نعثر على بعض اسماء اوردناها هنا بين ما ذكره في كتابه .

قبيلـــة عبد النبـــي : تتكون ورفلة من مجموع القبائل التي ذكرناها والتي ترجع الى اصول قديمة معروفة في ليبيا وفي تـــونس وغيرها من البلاد العربية تجمعت في ذلك الوادي الخصيب .

فهنالك ـ اذن ـ بالنسبة لعبد النبي قبيلة كبرى هي ورفلة وقبيلـــة صغرى هي الصيعان فرع ورفلة ، فعبد النبي ينحدر من قبيلـــة الصيعان المعروفة اليوم بالجبل الغربي في منطقة (الجوش) ، لكننا لا نعرف هل قدم

10) اللوطـــي : الاسفـــل .

اجداده من الجوش الى ورفلة أم ان سكان الجوش نزحوا عن ورفلة قديما ، والاقرب عند الرواة ان اجداد عبد النبي انفصلوا عن الصيعــان الغربيين وسكنوا وادي بني وليد في زمن لا يحدده الرواة .

الآثـــار : وفي منطقة ورفلة توجد آثار عمران قديمة منها البربري والروماني والعربي مما يدل على ان اودية المنطقة قـد جلبت بخصبها أمما كثيرة في السابق ، وانها رأت منذ القديم عمرانا متبحرا ولابد ان الكشف عن تلك الاثار في يوم ما سوف يزود المؤرخين بزاخر المعلومات عن ماض مشـــرق مزدهر .

الاقتصـــاد : الحياة الاقتصادية في ورفلة تعتمد كغيرها من المدن على الاقانيم الثلاثة البارزة في الحياة الاقتصادية وهي التجــارة والصنــاعة والـــزراعة .

التجـارة : ان موقع بني وليد المتوسط بين مدن الساحل وفـزان وافريقيا السوداء ، وبين سرت وبرقة من جهة ، والجبل الغربي من جهة ثانية ، جعلها قبلة القوافل التجارية ووفود الحجــاج المشرقة والمغربة ، والقوافل التجارية المتجهة من طـرابلس الى فـزان وافريقيا السوداء ، والراجعة من الجنوب الى الشمــال ، فهي بهذا تعتبـر من اكبـر المراكز والممرات التجاريـــة .

وكانت ورفلة في القديم تشارك في تجـارة الجنوب بمـا فيها من اقمشة وبلور وصناعات اوروبية مجلوبة من الشمال ، ومن عبيد وعاج وتبر وجلد وريش نعام المجلوبة من افريقيا السوداء ، الى جـانب التجـارة المحلية المتبادلة في الاسواق ، والمتكونة من الاغذية والاردية ، والصناعات التقليدية البسيطة . لكن هذه التجارة الواسعـة قد تدهـورت كثيرا قبل الاحتلال بقليل ، بسبب سيطرة الاستعمار الاروبي على افريقيا السوداء ، وتحريم تجارة العبيد ، ولم يبق من التجـارة في عهد المقاومـة للاحتلال الا التجارة المحلية في الحبوب والزيت والصوف والحيـوان والاقمشـة والصناعات الفخارية والجلدية والشاي والسكر والقهوة والاردية الصوفية

وفي بني وليد سوق كبيرة للحيوان ، ودكاكين تجارية مختلفة ، على انها لا تدر الارباح الكثيرة الا لاصحاب رؤوس الاموال الكبيرة المتصلة تجارتهم باسواق طرابلس شمالا ، وفزان جنوبا .

الصناعة : تصنع في بني وليد صناعات متعددة منها ما هو للاستهلاك المحلي ، ومنها ما يخرج منها للاسواق الخارجية فمن فصيلة الانسجة الصوفية عرفت الجهة بصناعة : المرقوم والحمل والجرد (الحولي) والعباء (الوزرة) ، كما كان السكان يصنعون آلات زراعتهم للحراثة والحصاد والاسلحة النارية العتيقة ، وأنواع السلاح الابيض من السيف الى الخنجر والبلغة والاحذية النسائية والفرارة والمخلاة الخ ..

بحيث نستطيع ان نقول : ان هذه الجهة كانت في الصناعة مكتفية ذاتيا لا تستورد الا الاقمشة والسكر والشاي .

الزراعة : هي عمدة اقتصاد ورفلة ، فالاودية خصبة تعطي الخير الكثير كلما أغاثها الله بالغيث النافع ، فاوديتها المتسعة عبارة عن مزارع خضراء مخصبة تكفي أهلها وتوزع انتاجها الى الاسواق الخارجية ، وفي مقدمة انتاجها الزراعي الحبوب من قمح وشعير ويزرع غالبها في مزارع وادي سوفجين الذى يمر جنوب بني وليد على مسافة 50 كم وهو واد متسع كريم التربة خصب الانتاج يفيض خيره على أهله وعلى مختلف أسواق طرابلس ، بل ان انتاجه من الشعير كان كثيرا وممتازا ومرغوبا فيه من أسواق اوروبا ايضا بحيث كانت تصدر منه كميات وافرة الى انقلترا التي تستعمله لصنع البيرا .

قال لي السيد علي ثامر من اعيان ورفلة ومن سكان بني وليد ، متحدثا عن فترة حرب الاحتلال الثاني سنة 1922 : « ان الناس قد تجمعت في بنيوليد في عدد يصل حوالي مائتي الف نسمة ، وكان العام خصبا والشعير كثير كثرة لم نر مثلها في حياتنا بحيث فاض المحصول عن حاجة الناس وحاجة خيولهم وحيواناتهم .

يدلك هذا على وفرة محصول الحبوب في اراضي ورفلة في اعوام

الخصب والمعروف أن ورفلة لا تفقد الحبوب وخاصة الشعير حتى في الاعوام المجاحة فما تخزنه في أيام الرخاء يكفي حاجتها في ايام الشدة » .

وادي سوفجين : ووادى سوفجين المذكور يشق منطقة ورفلة من الغرب الى الشرق وتمتد روافده الى مناطق الجبل الغربي ، غريان ويفرن وجاد والحمادة الحمراء فكل مياه هذه المناطق تصب في وادى سوفجين وبعد مروره باراضي ورفلة ينتهي مصبه في البحر عند منطقة (تاورغا) وقديما قيل في وصف هذا الوادى : « رأسه تين ووسطه بازين وآخره عجين » يعنون بالتين : تين الجبل الغربي ، وبالبازين (11) شعير ورفلة وبالعجين ، تمر تاورغا ـ وهو من أخصب الاراضي في انتاج الحبوب في ليبيا وكثيرا ما كان يغطي انتاجه ـ في السابق ـ حاجة البلاد من الحبوب .

ومن عمد اقتصاد ورفلة : الزيتون والزيت فاشجار الزيتون العملاقة تملا اوديتها وتدر عليها من الزيت ما يشغل مصانعها (معاصرها) اشهرا متعددة من العاموهو من المنتجات التي تفيض عن حاجة البلاد فيصدر الى الاسواق الداخلية والخارجية .

ومن توابع الزراعة تربية الحيوان ، وورفلة مشهورة بتربية الحيوان بكثرة سواء الغنم او الابل ، فان قطعان آبالها واغنامها تنتشر في كامل أراضيها من الشمال حتى حدود صحراء فزان .

ويكفي ان تعلم ان مجموعة ورفلة التي تبعت المرحوم عبد النبي بلخير الى التراب الجزائرى كانت تمتلك وحدها نحو (10،000) من الابل وان افرادا كثيرين كانوا يمتلكون قطعانا يتراوح الواحد منها بين 200 و 400 بعير وأكثر .

احواز بني وليد : ومتصرفية بني وليد قديما متسعة جدا مترامية الاراضي ، فحدودها تتصل بأراضي مزدة والجفرة وفزان جنوبا وسرت ومصراتة وزليطن شرقا ، وترهونة شمالا ، وغريان غربا ، ولها احواز نبتت فيها كثير من القرى منها :

11) البازين : العصيدة : نوع من الطعام .

ـــ شميخ : في الجنوب وتبعد عنها بمسافة 50 كم

ـــ تينناى ، على نحو 70 كم بالجنوب الغربي .

ـــ المردوم ، على نحو 40 كم شرقا .

ـــ نفد او (السدادة) على نحو 60 كم بالجنوب الشرقي .

ـــ زمزم ، على نحو 140 كم جنوبا وبها مدينة (قرزة) الاثرية .

ـــ ابو نجيم ، على نحو 200 كم جنوبا (بين بني وليد والجفرة) وهو مركز بريد

ـــ القداحية ، على نحو 130 كم في مفترق طريق الساحل وابو نجيم شرقي بني وليد .

ـــ قلعة سوفجين على نحو 50 كم وبها ضريح سيدي مبارك بن عبد السلام الاسمر .

الفصل الثالث

طفولة عبد النبى وشبابه

ميـــــلاده : في قصر الصيعان الواقع على ضفة وادي بنـــي وليد الجنوبية ، غربي قصر بني وليد مركز الحكومة ، وفي سنة 1880 (1) ولد عبني النبي بن الخير بن المبروك بن مصباح بن فتح الله بن عطية ، وكان والده الخير بن المبروك يعيش عيشة طيبة هادئـــة له مركــزه في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وقد توفي هذا الوالد سنة 1918 ، وابنه عبد النبي يحكم قبائل ورفلة ، ويقودها في ساحات الجهاد ضد المستعمرين الايطاليين

وأم عبد النبي سليمة بنت غطية بن عبد الكريم بن مصباح بن عطية وهي من العائلة ، وكان خاله سعد بن عطية من ابرز اعضاده في الجهاد .

كان عبد النبي ثالث اخوته الذكور : فمحمد وفتح الله ، اكبر منه سنا والمبروك وعلي اصغر منه سنا .

تربيتـــــه : تربى عبد النبي ببيت والده وبين ابناء عمه تربية أهل البادية ، فشب على اخلاقهم كرما وعزة نفس ، واباية للضيم ، وتمــرس بالعابهم من فروسية وحسن رماية ، مع تشبث بالدين ، وخشية اللـــه ،

---

1) تجمله محلة الشباب المدرسي العــدد 2 ــ 1974/1394 ص 17 مــن مــواليد 1888 والصحيح ما ذكرناه حسب رواية اهله (1880) .

واجلال الاولياء الصالحين واحترام كبار السن وشيوخ العلم ، وكان ينتقل مع عائلته بين بني وليد وشميخ والبادية .

تعليمـــــه : وجهه والده منذ صغره الى تعلم القراءة والكتابة وحفظ القـــرآن الكريم ـــ حسب الطرق المتبعة في ذلك العصر بجامع الصيعان تحت اشراف الفقيه (السامح ميلاد السكبيى) .

وكان لقراءته على الشيخ المذكور سبب يذكـــره لنا الحاج حســـن الطبولي رواية عن عبد النبي ان شيئا حدث بين والده وبين بعض الاجوار في شميخ ،يظهر انه نتيجة شجار بين الصبيان ، أو ما يشبه الشجار ، فبادر الوالد بابعاد طفله عبد النبي الى قريته ببني وليد تحـــت اشـــراف وحضانة امه ، أو عمته (2) وهناك باشر التعليم بجامع الصيعان عند الفقيه الشيخ السامح حتى ختم القرآن وتلقى المبادىء الاولية من تعاليم الدين .

على ان القدر كان يخطط لمستقبل عبد النبي تخطيطا لم يكن فكر فيه عبد النبي ولا والده ، فقد صادق عبد النبي أحد زملائه من صبيان الكتاب ولا زمه في غدوه ورواحه ، وكان كل منهما يساعد صاحبه في أي خصـــام أو شجار يحدث له مع الصبيان حتى استحقا يوما عقوبة المؤدب الشيخ ، وعقوبة مؤدبي القرآن في القديم موجعة ومرعبة لانها تعتمد في الغالب على الضرب المبرح ، فقرر الصبيان الفرار من بلدهما بني وليد .

في طريق زليطـــن : واستمر الحاج حسن الطبولي في روايته قائلا :

واختبأ الطفلان يوما أو اكثر عن عيون المؤدب لا يرجعان الى منزلهما الا ليلا حتى وجدا قافلة من القوافل التي كانت تجلب الخضر من زليطن ، غادرت بني وليد في طريقها الى زليطن ، فتبعها الطفلان عبد النبي وصاحبه من بعيد ، وكلما نزلت القافلة في الطريق للاستراحة تقـــدم اليها الطفلان طالبين اسعافهما بشربة ماء وبشيء من البسيسة) ، ولم يفصحا ـــ طبعا ـــ عن هويتهما الصحيحة ، وكان عبد النبي يخشى ملاقاة اخيه الاكبر الموجود

---

2) الشك من الرواي

في زليطن ، وهو يعرف انه في طريق الرجوع ، كان يخشى ان يتنبه اليه فيرده الى بني وليد ، فلذلك كان يتجنب طريق القوافل ويراقب الطريق من بعيد ، ولم يفارقه الحذر والخوف الا يوم ان شاهد اخاه مع قافلته في طريق بني وليد ، ومر عبد النبي بسلام .

عند عائلة الفطيسي : ووصل الطفل عبد النبي الى زليطن ، وقصد حالا عائلة الفطيسي المشهورة بعلمائها وصلحائها (3) وكان آل الطيسي من أعز اصدقاء والده ، فقدم الطفل نفسه باعتباره مرسلا من اهله لطلب العلم في زليطن ، فاكرمته العائلة ، وانزلته عندها على الرحب والسعة ، وحالا سلمت له جردا (حولي) ليصبح من الغد في زمرة طلبة القرآن والعلم بزاوية الفطيسي .

وتفطن أهله ، وعلموا بوجوده عند آل الفطيسي ، فلم يجدوا بدا من تركه هناك ، وباشروه بما يلزمه من لباس ومال لمصاريفه مدة اربع سنوات تقريبا قضاها هناك .

اصدقاء نافعون : ولم ينكمش عبد النبي على نفسه مقتصرا على طلب العلم ، بل اصبح يغتنم كل فرصة للتعرف على الناس وانتقاء الاصدقاء من بينهم ، في زليطن ، وفي مصراتة ، وفي القرى المجاورة لهما ، وكثرت اتصالاته على صغر سنه برجال العلم والصلاح ، وبرجال الحكم ايضا ، وبكبار التجار وذوي الحيثيات في البلاد ، وهذا ما مهد له طريق المستقبل اللامع الذى ينتظره .

في معهد الرشدية : جمع عبد النبي القرآن الكريم بزليطن وتعلم نصيبا من العلوم الدينية والعربية ، وتاقت نفسه الى العلوم العصرية ، فوجد من اهله ببني وليد ومن آل الفطيسي بزليطن ومن اصدقائه الذين تعرف عليهم في زليطن ومصراتة ومن اصدقاء اهله في العاصمة طرابلس مشجعا وممهدا فدخل (الرشدية) المعهد الذي كان برنامجه التعليمي عصريا

3) جاء في معجم البلدان الليبية للزاوي ص 23 : « واسرة الفطيسي من الاسر المشهورة بالعلم في زليطن بل وفي طرابلس كلها » .

حافلا بدراسة اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية الى جانب الدروس الدينية والتاريخ والجغرافيا والحسابيات ، وفي هذا المعهد قضى عبد النبي سنوات التعليم مجتهدا لامعا في دراسته ، مما لفت اليه نظر الاساتذة في المعهد ورجال السلطتين المدنية والعسكرية المتصلين بالمعهد فكان محل تقديرهم حتى أنهى دراسته (4) .

اصدقاء من الاتراك : في الاعوام التي قضاها عبد النبي في المدرسة تعرف على نخبة من الضباط الاتراك وابناء الاعيان ورجال السلطة ، فلم يكد ينهي تعليمه حتى عينته الحكومة في عدة وظائف ادارية ومالية ، وتنقل في وظيفه في عدة مناطق داخل ولاية طرابلس ، من يفرن حتى مصراتة ، وكان كلما حل بمكان اتخذ له فيه اصدقاء واخوانا .

وكان اصدقاؤه من الاتراك خاصة يحاولون تشجيعه بتعيينه في بعض المهمات الكبيرة وتكليفه ببعض الصفقات الرابحة التي تدر عليه المال الوفير ، وكان موفقا في كل ما كلف به فازداد قربا من رجال السلطة وهو ما مهد له الطريق الى وظيفة (متصرف) فيما بعد .

دعوة صالحة : يرجع الحاج حسن الطبولي توفيق عبد النبي بلخير في أعماله الى دعوة صالحة تلقاها يوما من شيخ فيتورى من سكان زليطن ، قال الحاج حسن :

حكى لي المرحوم عبد النبي بنفسه قال :

« كان السبب فيما وفقني له الله من نجاح وتوفيق في حياتي هو ــ بعد ارادة الله ــ دعاء صالح تلقيته من فيتورى سرقت له فرس فاستغاث بي لمساعدته ، لان السلطة لم تستطع الوصول الى معرفة السارق ولا الى معرفة مكان الفرس ، وتوليت البحث بجد ، واوصيت الى كل مكان ، وكلفت عددا من الاصدقاء بتنسم اخبار الفرس بعدما زودنا صاحبها باوصافها ، وتوصلت الى معرفة مكان الفرس عند سارقها بمنطقة جنزور ،

---

4) يذكر بعض الرواة انه ذهب الى اسطمبول وأتم دراسته هناك .

فاخذت سرية من الجند بواسطة اصدقاء من الضباط ، وقصدت المكان ، وارجعت الفرس الى صاحبها ، فوضع الرجل الصالح طاقيته على رأسي ، وصــاح قائـلا :

ـ برا كل من يقابلك يروح غبرة

(اذهب ، كل من يناوئك يغدو هباء)

هذه هي الدعوةالتي ينسب اليها شيوخ ورفلة توفيــق عبد النبــي ويمنه في حياته العادية والمخزنية .

أصل ثروته : وكان لاختلاطه بضباط السراي ، ومصادقته لهم دخل كبير في مستقبله الاقتصادى والحكومي ، فقد استفاد من ذلك الــوظيف السامي على صغر سنه ، والثروة الطائلة منذ فجر الشباب ، فبالاضافــة الى ما كانوا يكلفونه به من شؤون صغيرة يقوم بادائها بما عرف عنه من اخلاص وذكاء ونشاط ، ويفيد منها الجاه والمال ، عرضوا عليه في احــد الاعوام ان يتولى جمع الشعير من المزارعين ، وهي عملية رابحة تتوق اليها أعناق الاغنياء وكبار التجار والمضاربين وتتطلب من صاحبها ان يكون صاحب نفوذ وثروة ، وقد توصل لها عبد النبي بنفوذه في القصر ، وبذكائه الذي اوصله الى ضامن مالي كبير ، قال الحاج حسن الطبولي راوية قصة ثراء عبد النبــي :

« كنت حاضرا في مجلس عبد النبي يوما حين تجاذب الحديث مع شيخ الطبول المرحوم عبد السلام حقيق (5) عن زاويته التي بناها في بني وليد ، قال له الشيخ عبد السلام :

ـ ليس من الحق ، ولا من القربة للــه ، ان تبني زوايــة تنسبها لنفسك باموال ورفلــة .

---

5) من ابرز مجاهدي ورفلة واعيان قبيلة الطبول ، كان صديقا لعبد النبي بلخير ، جاهد معه وحضر أكثر الوقائع ، خاصة في المعارك الاخيرة بحــدود فزان ، توفي مــريضا بقرية (دوجال) منطقة وادي عتبة بفزان ، وبنى له عبد النبي ضريحا تقديــرا لجهاده ووفــاء لصداقته ، رحمه الله رحمة واسعــة .

فقال عبد النبي :

ـــ والله ثم والله ، وحق اولياء ورفلة كلهم (وذكرهم واحدا واحدا باسمائهم من سيدي مفرغر الى سيدى جلال) ما دخل درهم واحد من أموال ورفلة فيبناء الزواية ، وكل ما صرفته في بنائها كان من مالي الخاص

قال الشيخ عبد السلام :

ـــ من اين لكالمال ؟

قال :

ـــ ان لذلك قصة سأرويها لك :

بعدما تخرجت ومارست الوظيف ، وكنت على صلة بكبار ضباط السراي من الاتراك وبكبار موظفيها ، عرضوا علي في أحد الاعوام المخصبة التي افاد منها الناس كثيرا من القمح والشعير ـــ ان اتولى جمع الاعشار ، وصارحوني بانهم يرمون من وراء ذلك الى نفعي وتشجيعي على الكسب الذي ابني به مستقبلي ، وانهم يثقون في نشاطي ونجاحي اذا قبلت القيام بذلك واستطعت ان ادفع القسط المطلوب تقديمه لصندوق الدولة ، فطلبت مهلة للتفكير ، فاسعفوني بها ، وفي اثناء تلك المهلة ، سافرت الى تاجر يوناني بقصر حمد بمصراتة ، كنت تعرفت عليه سابقا ، وعرضت عليه ان يدخل شريكا معي في هذه الصفقة الرابحة ، على ان يقدم لي المال المطلوب لصندوق الدولة ، فوافق بعد ما اطلع على تقديرات المحصول الهامة ، واشترط ان تصل الحبوب ، اليه في قصر حمد .

رجعت الى طرابلس وأعلنت موافقتي ، وامضيت على الالتزام ، واصطحبت معي سرية من جيش الخيالة وشرعت في جمع الاعشار الراجعة للدولة من اصحابها في مختلف الجهات .

وكان المحصول وافرا وفرة سهلت مأموريتي ، فلم يتهرب احد من دفع ما عليه ، ولم يتردد اصحابها في ايصالها الى قصر حمد الذي يممته قوافل الابل منكل مكان .

وعلى اثر الانتهاء من جمع الاعشار سلم لي التاجر اليوناني نصيبي من الارباح ويتمثل في آلاف من العملة الذهبية (6) اكتظت بها كفتا خرج فرسي .

قصدت احد معارفي في مصراتة فنزلت عنده ، وبعدما تعشينا اظهرت له اني سأنام ولكني ركبت فرسي وتسللت تحت جنح الظلام حتى لا يتفطن لي الناس ، ولم يطلع علي الفجر الا في قصبة (زنزر) .

وصلت (المردوم) ضحى فنزلت للاستراحة قليلا وصادفني هناك صبيان عرضوا علي التحول الى منازل أهلهم فاعتذرت ، ولما قصد الصبيان حيهم ظهرا ركبت فرسي ولم استرح الا في (بني وليد) .

تلك هي الاموال التي كانت أصل ثروتي وبداية مكاسبي ، وهي التي بنيت منها الزاوية (7) .

في المتصرفية : يرجح بعض الرواة ان عبد النبي سمي متصرفا في ورفلة سنة 1908 ويتردد آخرون بين 1908 و 1910 والذي يؤكده الجميع انه كان متصرفا حين هاجمت ايطاليا طرابلس سنة 1911 وقد أكد الرواة انه سمي متصرفا في مكان متصرف تركي اسمه (محمد اليسير) ولكنهم لا يعرفون التاريخ الذي تخلى فيه (يسير) أو (تيسير) هذا عن متصرفية ورفلة .

اني لا اشك ان عبد النبي تولى هذا الوظيف قبل الهجوم الايطالي على طرابلس 1911 ، ولكني لم اعثر على ما يحدد تاريخ ولايته ، وان حددها الراوي الحاج عبد الله معتوق الدعيكي بسنة 1911 .

واذا صح انه تولى هذا المنصب سنة 1908 أو في احدى السنوات بعدها الى 1911 فيكون ذلك في عهد الوالي رجب باشا (1904 ـ 1908) أو

6) يقول الراوي : انها (7000) ليرة أو أكثر .

7) يقول الشيخ الزاوي في معجم البلدان الليبية ص 337 : انها بنيت سنة 1921 .

خليفته احمد فوزي باشا (1909) او خليفة خليفته ابراهيم أدهم باشا (1909 ـ 1911) .

بقي عبد النبي في هذا الوظيف حتى داهمت ايطاليا البلاد اوائل خريف 1911 فهب كغيره من الوطنيين الى صفوف المقاومة والجهاد بمحلة قوية من ورفلة كما سياتي تفصيل ذلك .

ثقافته : ما دمنا قد ذكرنا سابقا ان عبد النبي قد تخرج من معهد الرشدية وأشرنا ايضا الى ان برنامج الدراسة في ذلك المعهد يقتضي اتقان العربية والتركية ، ومبادى الفارسية والفرنسية بالاضافة الى العلوم العصرية كالطبيعيات ، والحسابيات ، والتاريخ والجغرافيا ، وعلوم الدين الاسلامي ، ويظهر ان المعهد كان من نوع الثانوي العالي ، ولو ان الاطلاع على تحرير عبد النبي يدلنا على ان التعليم فيه كان تعليما ثانويا ، بالنسبة لتعليم هذا العصر ، فثقافة عبد النبي هذه بالنسبة لذلك العهد تعتبر ثقافة عالية لا يتوصل اليها الا بعض المحظوظين من ابناء الاعيان .

ولم نتوصل للحصول على نماذج من نثر عبد النبي عدا بعض رسائله الادارية والاخوانية وتحريرها متوسط يميل الى البساطة ، ولا يختلف عن اسلوب التحرير في ذلك العهد ، وسنورد بعض هذه الرسائل في آخر الكتاب ، أما شعره فلم نعثر الا على قصيد طويل باللهجة الشعبية يذكر في أحوال الشعب في عهد المقاومة ويأسف فيه على بعض مظاهر الضعف والاستخذاء ، والشعر يدل على انه متمكن من فنه ، فاسلوبه متين ، وتعابيره ذات جرس قوي ، ولغته جزلة فخمة على غرار لغة الشعراء الفرسان ، ولا ندرى اذا كان عبد النبي قد حاول نظم الشعر الفصيح ، اذ لم نعثر له على اثر فيه ، والرواة يؤكدون انه كان يستحسنه ويستمع اليه في مجالسه .

الفصل الرابع

جهاد عبد النبي قبل الصلح

لقد أشرنا في الفصل الاول الى العريضة التي وجهت الى والي طرابلس سنة 1908 ، والمضاة من 250 شخصا يحذرون فيها السلطة التركية من مطامع ايطاليا في طرابلس ، ومن بين أصحاب هذه العريضة المرحوم عبد النبي بلخير (1) بل ان بعضهم يؤكد انه هو المحرر للعريضة والداعي لها ، ولا نستغرب أن يكون تأكيد هؤلاء صحيحا ، فعبد النبي كانت فطنته مبكرة جدا ، وهو ما مهد له الاتصال بكبار رجال الدولة والاعيان في سن باكرة ، وهذه الفطنة نفسها هي التي جعلته يمتـ... من الامضاء عن الصلح مع ايطاليا سنة 1919 ، ويصرح بانه صلح غير جدي عرضته ايطاليا لتتمكن من فرصة تجديد قواها لاعادة احتلال البلاد ، وهو ما صدقه الواقع بعد ذلك .

كان عبد النبي — في سنة 1911 — يشغل وظيفة متصرف في بلده بني وليد ، وكان متوقعا للاحتلال الايطالي بلا شك ، لذلك نجده يلبي نداء الجهاد منذ وصول النبأ بنزول الايطاليين في طرابلس .

عبأ عبد النبي من مواطنيه ورفلة حوالي 400 فارس غير المتطوعين من الراجلين ، نزل بهم الى ميادين الجهاد ، وقادهم الى ساحات الشرف ،

1) مجلة الشباب المدرسي العدد 2 ص 17

وبعد اجتماعه بمسيري الكفاح من الضباط الاتراك وشيوخ القبائل ، انصرف الى العمل العسكرى والمدني فكان يخوض المعارك مع رفاقه في ساحات الجهاد من جهة ، ويرسل الى الواجهة بقوافل الشعير للتموين ، وكانت ورفلة من أعظم مخازن هذه المادة في ذلك العهد ، تمير بقوافلها جبهات طرابلس، ومصراتة ، وغريان ، في أعوام الخصب .

المعارك التي حضرها : خاض عبد النبي كثيرا من معارك الجهاد في مختلف مراحل المقاومة وسوف نذكر أشهرها حسب رواية (صور ومواقف من الجهاد الليبي) (2) ، والواقعة قبل بداية المباحثات في الصلح المشؤوم مع ايطاليا . (3)

معركة الهاني : بطرابلس ، وتطلق على عدة معارك واشتباكات أشهرها ثلاثة : شارع الشط يوم 23 اكتوبر 1911 ، وبومليانة 26 اكتوبر ، وسيدي المصرى 26 نوفمبر من نفس السنة .

معركة قرقارش : بضواحي طرابلس وهي من المعارك الكبرى التي خاضها الوطنيون الليبيون يوم 18 جانفي 1912 .

معركة الحشان : لم نعثر على تاريخ وقوعها .

معركة المشاشطة : بجنزور يوم 9 سبتمبر 1917 .

معركة الرابطة : لم نعثر على تاريخها .

معركة سواني بنيادم : بضواحي طرابلس يوم 20 سبتمبر 1917 .

معركة عين زارة : بطرابلس ، يوم 28 جانفي 1912 .

معركة المرقب : بالخمس ، وهي معارك واشتباكات كثيرة وقعت بهذا المركز الممتاز ايام 23 ــ 28 اكتوبر 1911 ــ 27 فيفرى 1912 ، 6 مارس 1912 ، ويظهر ان عبد النبي قد اشترك بنفسه في المعركتين الاخيرتين ، لانه

---

2) ص 60 .

3) انظر عن هذه المعارك معجم الاستاذ خليفة التليسي ص 282 ، 367 ، 411 ، 463 ، 468 ، 485 ، 488 ، 490 .

في تاريخ الاوليين كان موجودا بطرابلس ، والمعروف ان رجاله من ورفلة كان بعضهم يقاتل في الخمس والبعض الآخر بمنطقة العاصمة طرابلس .

معركة قصر حمد بمصراتة : اشهر وقائعها ايام 16 جوان و 8 ـ 20 جويلية 1912 .

هذه هي اشهر المعارك التي خاضها عبد النبي قبل الصلح وسيأتي الحديث عن المعارك التي خاضها بعد الصلح في بني وليد ومنطقة فزان في فصل آت ان شاء الله .

الاحتلال الاول لبني وليد : رغم ضعف العدة وقلة العدد فقد كان الليبيون يقاومون الاحتلال الايطالي بعزيمة وبطولة كانت مضرب الامثال ، وبأسلحتهم العتيقة كبدوا الجيش الايطالي خسائر فادحة واذاقوه طعم الهزائم المرة في كثير من المعارك ، ولم تنفعه أسلحته العصرية ومدافعه الثقيلة وطائراته الكشافة والمقنبلة ، وتحمل المجاهدون العبء وحدهم لم يعاونهم من العالم العربي والاسلامي غير عدد قليل من المجاهدين ، وكميات ضئيلة من الاسلحة والتموين الواردة اليهم من تونس خاصة في خفية عن أعين الفرنسيين الناصبين حراستهم على طول الحدود .

وجاع الشعب الليبي أثناء الجهاد فأكل حشائش الارض و (فكريس) النخيل ، ولم تهن عزيمته أمام الاهوال الا عندما فاجأه النبأ الصاعق بامضاء تركيا التي يستند اليها الشعب الليبي في قياداته العسكرية وفي بعض الاعانات المالية ، على وثيقة التسليم لايطاليا ، ونفض يدها من ليبيا نهائيا وذلك في معاهدة أو شي 15 اكتوبر 1912 ، عندئذ فقط ادرك الزعماء الليبيون ان الاستمرار في المقاومة أصبح عملا لا نتيجة ترجى من ورائه فوضعوا السلاح ، ورجع المجاهدون الى بيوتهم وكان احتلال بني وليد الاول بدون مقاومة تذكر في 6 فيفري 1913 بعدما بذل عبد النبي جهدا مضنيا محاولا الدفاع عن بلده الى آخر رمق ، فاتصل بأقاربه أبناء سيف النصر في الجفرة ، طالبا منهم مساعدته على الدفاع عن بني وليد فوعدوه باعداد محلة تلتحق به الى بني وليد ، وتجمعت ورفلة حوالي واديهم ، وقدم أولاد سيف النصر ، ونزلوا بـ (ميمون) على نحو 25 ك م جنوبي بني وليد ، وهناك اتصل بهم

اعوان الايطاليين والاعيان المائلون الى التهدئة والاستسلام ، ووافق سيف النصر على المهادنة ، ولكنه قدم الى (غدير الغولة) فوق ضريح (سيدي مغرغر) النقطة الغربية من بلد بني وليد حيث كانت محلة من ورفلة ترابط هناك ، وصارح عبد النبي بأنه هادن الايطاليين اذ لم تبق — حسب رايه — فائدة في الدفاع بعدما ألقى غالب الزعماء السلاح ، ومال كثير من ورفلة الى هذا الراي ، وبقي عبد النبي في أقلية ضئيلة من الداعين الى الدفاع ، فاضطر اذ ذاك الى القاء السلاح ، والاتصال بالايطاليين الذين احتلوا البلد ورفعوه معهم الى طرابلس . (4)

هذا ما يقوله الرواة أما ما يقوله الشيخ الزاوي في (جهاد الابطال) (5) فهو أن عبد النبي ذهب الى سيف النصر في هون مرسلا من قبل الطليان ، « وذكر له من عدالة الطليان وحسن نيتهم نحوه (نحو سيف النصر) مما جعله يصدق ، وجاء معه الى بني وليد ، فوجدوا الطليان احتلوها بواسطة عبد الهادي بن قطنش فنزلوا في شميخ .

وقام عبد النبي بدور الوسيط بين الطليان وسيف النصر واجتمعوا بالحاكم الايطالي في شعبة الكرمة بوادي بني وليد ، واتفقوا على أن يكون سيف النصر متصرفا على الجفرة الخ » .

وفي هذه الرواية يظهر تحامل الشيخ الزواي ضد عبد النبي ، هذا التحامل الذي انتشر في عديد من صفحات كتابه ، وسنتعرض لبعض مظاهره فيما يأتي :

فكيف نصدق أن عبد النبي ذهب وسيطا الى سيف النصر قبل احتلال بني وليد ؟ وكيف يمكن أن يرسله الايطاليون وسيطا وهو متصرف في بلده الذي لا يزال يقاوم الايطاليين ، يقول الشيخ الزاوى ان الايطاليين وعدوه بما يرضيه اذا تمكن من اقناع سيف النصر بالاستسلام ، وان الهادي بن قطنش قد سلم (بني وليد) الى الايطاليين في غيبة عبد النبي الخ ، وهذا

---

4) اعتمدنا في هذا رواية شيوخ بني وليد وخاصة رواية الشيخ علي محمد الجدي .

5) ص 125

كلام لا يقوم على أساس منطقي اذ ان المفروض ان عبد النبي يسلم بني وليد أولا ـــ وهو حاكمها والمتصرف في حظوظها ــ ثم يذهب وسيطا الى سيف النصر ، هذا هو المنطق المعقول ، اما ان يقوم بالوساطة لفائدة الطليان وبلده لم يلق السلاح بعد ، وهو يعرف ان ابن قطنش كان يؤيد فكـرة المفاوضة مع الايطاليين حسبما يصرح بذلك الشيخ الزاوي نفسه ، أما هذا فلا يقبله المنطق ولا يسلم به عاقل .

والحقيقة المنطقية هي ما ذكره الرواة من أن عبد النبي كان يعرف ضعف موقفه بعد رضوخ غالب الجهات للايطاليين ، فذهب الى سيف النصر مستنصرا مستنجدا ، فسلم ابن قطنش البلد للايطاليـــن ، واستحق بذلك أن ينصبه الايطاليون متصرفا على بني وليد ، ويأخذون معهم عبد النبي الى طرابلس تحت الاقامة الجبرية .

ولم تطمئن ايطاليا الى ذلك الاستسلام المؤقت ، وكانما أدركت أن الليث الخادر لا ينتظر غير نمو أظفاره المقلمة ، ثم يرجع للزمجرة والزئير ، فجمعت الزعماء في العاصمة طرابلس ، وفرضت عليهم الاقامة الجبرية ، واستمرت تنهي احتلالها لاطراف البلاد الشرقية والجنوبية .

عبد النبي في فزان : وبقي بعض المجاهدين في فزان بقيادة الشهيد محمد بن عبد الله ، لم يستسلموا للياس ولم يستمرئوا وضع السلاح ما داموا أحياء فقصدهم الايطاليون بجيش عتيد للقضاء على آخر جيب من جيوب المقاومة ، وصاحب هذه الحملة عبد النبي بلخير .

ما الذي دفع عبد النبي بلخير في هذه الورطة وهـــو الوطني المخلص والمجاهد الجسور ؟ لماذا لم يتملص من اقتراح الايطاليين في مصاحبتهم وهو المشهور بالدهاء واتساع الحيلـــة ؟

يتهمه أعداؤه بالعمل لفائدة المستعمر في هذه الحملة .

ويقول أصدقاؤه : انه لم يصطحب الحملة كمستشار لقائدها كما يدعى الايطاليون ، ولكنه ذهب معها بالحاح من الايطاليين ، قصد الاتصال بأقربائه أولاد سيف النصر ونصحهم بعدم المقاومة التي أصبحت غير مجدية ، ولعله

يؤمل من وراء ذلك ان يؤيده أولاد سيف النصر لاقناع الشهيد محمد بن عبد الله البوسيفي بالعدول عن مقاومة لا طائل وراءها ، فعبد النبي كان يؤمن انه لم يبق مبرر للمقاومة بعدما سيطر الايطاليون على كامل البلاد وانقطع الامل من تركيا ومن اعانة العالم الاسلامي ، وان التبصـــر يقضي بالركون الى السكون مؤقتا حتى تتاح الفرصة للثورة من جديد .

ولكن هذا المبرر لا يزال غامضا غير واضح بالنسبة لعبد النبي الداهية الغامض الذي تحير المؤرخون ، كما تحيرت ايطاليا ، في تفسير كثير من مواقفه الايجابية والسلبية .

ومهما تكن الآراء والتعليقات فموقف عبد النبي في هذه الحملة لا يقدم ولا يؤخر في سير الأحداث ، ولم تستفد منه ايطاليا شيئا غير ترويج الدعاية لدى الشعب الليبي الساخط والمتحفز بأنه على خطأ في غضبه بعدما رضخ الزعماء وكبار المفكرين فيه الى الامر الواقع ، وطالما استعمل الاستعمار هذا السلاح العاطل المتمثل في توريط بعض الزعماء في أحداث أو تصريحات يستغلها لفائدته ثم يختلق أوهى الاسباب للانتقام من اولئك الزعماء والتخلص من وجودهم .

وهو أخيرا موقف خاطىء من عبد النبي ، خدش سمعته ، وعرضه للـــوم والنقد ، وحتى الاتهـــام .

ولا بد انه ندم أشد الندم عندما رأى ان الايطاليين لا يفون بعهد ولا يعتمدون في تصرفاتهم على اخلاق انسانية ، فبالرغم من ركون سيف النصر وابنائه الى السلم وتركهم للمقاومة ، فقد غدرهم الايطاليون ، فألقوا القبض عليهم في سوكنة ، وأبعدوهم الى زوارة .

عبد النبي في الجفرة : وعين عبد النبي متصرفا على الجفرة ، ولعله قبل هذا المنصب لأمر في نفسه — وكم أخفى عبد النبي من أمور في نفسه تحير أبرع المخبرين في اكتشافها — ولكن يظهر ان الايطاليين لم يطمئنوا اليه ، وأدركوا انهم عاجزون عن كشف ما يخبئه لهم ذلك الداهية في صدره ، فبعد مدة قليلة أبعدوه الى طرابلس ليرجع كما كان مع الزعماء تحت الاقامة الجبرية ، وتحت ستار انهم محتاجون الى مشاورته في أمور الحكومة الهامة .

التدبير للقرضابية : قلنا ان السلطة الايطاليــة حولت جــماعة من الزعماء المجاهدين الى العاصمة طرابلس محكوما عليهم بالاقامة الجبرية ، امثال عبد النبي بلخير وبعضهم رجع الى بلده وعائلته حزينا كئيبا يكاد يقتله الحزن واليأس ، أمثال رمضان السويحلي ، والتجأ بعضهم الى مغادرة البلاد أمثال الباروني ومحمد سوف اللذين التحقا بالبلاد التركية عن طريق تونس .

وقلق الايطاليون لوجود قوة من المجاهدين في سرت تقض مضاجعهم وتهدد حامياتهم ، ففكروا في القضاء عليها ، ولكن الوصول الى غرضهم صعب المنال ، اذ لا بد من أن يساندهم أهل البلاد العارفون بمسالك أرضهم ومواقع مياهها ومن أجل ذلك أعدوا قوة من المرتزقة من أهل البلاد .

الفرصة السانحة : وكان الزعماء يجتمعــون ويفكرون فــي مصيرهم ومصير بلادهم ويحاولون ان تواتيهم الظروف للتخلص من أسرهم ، وجاءت الفرصة حين استشارهم الايطاليون في قضية الثوار ووجوب المفاهمة معهم في صلح ، أو القضاء عليهم ، ان أبوا ذلك حتى تنعم البلاد بالراحة والاطمئنان.

وتململ الزعماء وغمغموا ، لكن عبد النبي بلخير لم يتململ ولم يغمغم ، بل أظهر لهم الاستعداد لمعاونتهم ، واجتمع مع أصدقائه الزعماء وأفهمهم أن الفرصة سانحة لضرب الايطاليين من الخلف ، والتخلص من الاسر نهائيا ، ولكن هذا الامر يجب أن يعتمد على رؤوس أخرى غير الموجودين في طرابلس وليس أقدر من صديقه رمضان السويحلي على تنفيذ خطة الغدر بالايطاليين .

وأشار عبد النبي على الايطاليين بوجوب استدعاء رمضان (6) الى طرابلس وأفهمهم أنه أقدر من يتولى المفاهمة مع الثوار ، فان قبلوا الصلح فذلك المطلوب ، وان لم يقبلوا كان أقدر مساعد على تشتيتهم .

وجاء رمضان الى طرابلس تلبية لدعوة الحكومــة الايطالية مصحوبة بالحاح من صديقه عبد النبي ، واجتمع الصديقان وطــرح عبد النبي أمام

6) ولد رمضان اوائل 1297 هـ (1880) اي في نفس العام الذي ولد فيه عبد النبي بلخير

صديقه الخطة التي اتفق عليها مع الزعماء واتما معا التخطيط لمعركة القرضابية حسبما يجمع عليه الرواة والمؤرخون .

صداقة قديمة : ويجرنا الحديث الى تاريخ الصداقة بين الزعيمين . هذه الصداقة التي يقول عنها عارفوهما من الرواة ، بأن الود بين الرجلين لم يكن مجرد صداقة فحسب ، ولكنه أخوة خالصة كانت مضرب الامثال .

ويظهر من أحاديث الرواة أن هذه الاخوة يرجع تاريخها الى زمن مبكر جدا ، فقد كانت هناك مودة ثابتة بين الشتيوي والد رمضان وبين سعد بن عطية خال عبد النبي بلخير (7) حتى ان الشتيوي التجأ مع ولديه رمضان وحمد ، اثر قتلهم لابي القاسم المنتصر في الحادثة المعروفة سنة 1909 ، الى بيت سعد بن عطية في بني وليد حيث قضوا مدة طويلة وهناك تعرف عبد النبي على رمضان وربطت بينهما أواصر المودة والاخوة ، وكان عبد النبي يشغل منصبا هاما في الحكومة فاشار على خاله بنقلهم الى منزله في (شميخ) حتى يكونوا بعيدين عن عيون جواسيس الاتراك ، ولم يهتد اليهم هؤلاء الا بعد نحو سنة حين رجعوا الى مصراتة ، وفي المحكمة اعلنوا انهم كانوا عند سعد بن عطية في ورفلة ، ودبر لهم عبد النبي وخاله شهودا من ورفلة شهدوا بانهم كانوا في ورفلة في تاريخ الحادثة ، ومن هذا التاريخ قويت الروابط بين عبد النبي ورمضان ، بمقدار ما ظهر العداء بينه وبين ابناء المنتصر .

واستمرت المودة بين الرجلين قوية متينة حتى ان الناس اندهشوا من القطيعة التي وقعت بينهما بعد ذلك ، وأدت الى المأساة المعروفة ، وقال شيوخهم ، «على قدر المحبة تكون العداوة» ولكن لا عجب ولا اندهاش ، لو ادركوا ان السياسة تمزق صلة الارحام ، فضلا عن الصداقات .

وازدادت تلك الصداقة متانة وعمقا عندما التقيا اخيرا بالعاصمة ،

---

7) سعد بن عطية بن عبد الكريم من أعيان ورفلة وخال عبد النبي بلخير توفي في سوكنة وهو مجاهد الى جنب ابن اخته سنة 1925 عن سن تناهز 70 سنة وقد أسر الطليان ابنه محمد في واقعة شميخ وعذب عذابا اليما وأبعد الى ايطاليا ورجع سنة 1928 ليقيم بزوارة تحت الاقامة الجبرية واطلق سراحه سنة 1936 وتوفي سنة 1959 .

وعقدت بينهما مجالس طويلة للسهر والمذاكرة في حالة وطنهما المحتل ، وفي الطرق الموصلة للخلاص واعادة تجربة المقاومة من جديد ، وفي كيفية الانتفاع من هذه الفرصة التي اتاحتها الاقدار .

وقبل رمضان اقتراح عبد النبي ، فاعلن للايطاليين انه مستعد لتجنيد المصراتيين ، ومصاحبة هذه الحملة بنفسه ، كما اعلن ذلك عبد النبي لمصاحبتهم على راس المجندين من ورفلة ، ووافق على ذلك ايضا كل من الساعدي بن سلطان والمبروك المنتصر (8) من ترهونة وغيرهما من بقية الجهات .

كانت الفرصة سانحة للانقضاض على الايطاليين والتغلب عليهم ، فقد كانت ايطاليا قد دخلت الحرب العالمية الى جانب الحلفاء ، ودخلت تركيا الى جانب المانيا . وكانت الاخيرتان على استعداد لمساعدة ثورة في ليبيا بالضباط والسلاح ، وانشغال ايطاليا بالحرب في اوروبا اضطرها الى دعوة حامياتها باطراف ليبيا للتراجع الى الشواطىء أمام المجاهدين الذين انقضوا عليها غربا وشرقا وجنوبا .

حصل العقيد (مياني) في الشرك ، واستسلم لاشارات الزعماء المحليين بدون تردد وكلهم يدله على طريق الهاوية .

تجمعت الجيوش من كل جهة وسارت الحملة وكل من الزعماء يتقدم محلة بلاده ، وكانت عدتهم كما يلي :

ـــ 3000 جندي مع 250 فارسا مجموع المحلات الوطنية (منهم : محلة ورفلة 500 جندى) .

ـــ 984 جنديا وضابطا ايطاليا .

ـــ 2089 جنديا من الملونين التابعين للجيش الايطالي . (9)

مقررات بئر بنعيزار : في بئر بنعيزار بوادي سوفجين اجتمعت المحلات

---

8) هاجر الى مصر سنة 1923 وتوفي بالفيوم عن سن تناهز 75 سنة .

9) الاحصائية عن معجم معارك الجهاد ص 407 .

القادمة من مصراتة وزليطن ومسلاتة وترهونة وورفلة ، وهناك اجتمع الزعماء الوطنيون في غفلة من مياني المغفل ، لاحكام خطتهم ، وقرروا ما يلي :

1 ــ ان يبعثوا برسائل مع رسل امناء الى كل من صفي الدين السنوسي ، وحمد سيف النصر ، ومحمد سوف المحمودي ، وغيرهم من رؤساء محلة المجاهدين في سرت يعلمونهم فيها بالخطة المدبرة للايقاع بجيش العقيد (مياني) وانهم سيباغتونه من الخلف بمجرد اصطدامه بالمجاهدين .

2 ــ ان يزور عبد النبي رسالة ياتي بها رسول مستعجل ، كانها مرسلة من بني وليد ، تخبر ان الثوار اغاروا على اطراف بني وليد ، وانهم نازلون جنوبها وغربها منتظرين اشتغالهم مع (مياني) في سرت لينقضوا على حامية بني وليد ، حتى يضطر العقيد (مياني) الى ارسال عبد النبي في قوة الى حماية بلده ، وبذلك يضمن الزعماء محاصرة حامية بني وليد حتى لا تخرج لنجدة (مياني) في حال انهزامه ، وحتى يجد الزعماء ملجأ لهم في حالة انهزامهم .

3 ــ يرسل من يتمكن من الزعماء بنجدات سرية الى المجاهدين في سرت لاعانة محلة صفي الدين ومن معه .

4 ــ ان توجه المحلات الوطنية اسلحتها الى الايطاليين بمجرد نشوب المعركة مع المجاهدين ، فيصبح (مياني) بين نارين : نار مجاهدي سرت من الامام ونار الزعماء الوطنيين من الخلف .

5 ــ ثم كتبوا رسائل مزورة على لسان زعماء المجاهدين احمد الشريف وسليمان الباروني ، ومحمد سوف الخ ... فيها تحريض لهم (اي للزعماء المرافقين لمياني) على الثورة ضد الايطاليين ، وفيها تهديد لهم اذا اعانوا الايطاليين ، على ان يقدم الزعماء هذه الرسائل الى (مياني) في (القداحية) اظهارا لاخلاصهم وتغطية لمؤامراتهم .

خطة محكمة التنظيم ، أعان على تحقيقها سذاجة اولي الامر من الايطاليين ، سذاجة بلغت درجة الحمق والبلادة الذهنية .

اذ كيف يتصور ضابط محتل للبلاد غصبا ان يضع ثقته في رؤساء كانوا في الامس القريب يقاتلونه في ضراوة وحمية ، أخرجهم من الحجر ، ليصبحوا قواد أكثر من نصف جيشه الذاهب لمقاتلة اخوان لاولئك الرؤساء من المجاهدين ، بالاضافة الى التحريض والاغراء من طرف تركيا العدوة لايطاليا ، تحريضا لم يبق خافيا على الناس في ذلك العهد .

فمن الذي دبر هذه الخطة من أولها ؟

يقول أنصار عبد النبي : انها من تدبيره وحده اعتمادا على جراة صديقه رمضان الذي كان يثق بعبد النبي وبواسع تفكيره ونجاح تدبيره .

ويقول انصار رمضان : انها من تدبير رمضان مستعينا بعبد النبي الذي مهد له الطريق باقتراحه على الايطاليين ان يعتمدوا في حملتهم على الزعماء المحجورين ، وعلى رمضان خاصة .

وهذه الخلافات مجرد عصبية لا مبرر لها ، فالواقع يثبت ان الخطة كانت بتدبير مشترك بين كل الزعماء المحبوسين بالعاصمة سواء كانت البادرة الاولى لعبد النبي أو لغيره فالمهم انها خطة ناجحة ، وان نجاحها اعتمد على وحدة الصف ، ومساندة الاخ لاخيه ، ولولا تلك الوحدة لقضي علي مجاهدي سرت في تلك الحملة .

في القداحية : وزع الايطاليون على الزعماء كميات محترمة من الاسلحة الخفيفة والذخائر ، فرقوها في مواطنيهم المخلصين لهم ، والملتزمين بتنفيذ أوامرهم ، فكان ذلك مصداق قولهم (قاوم عدوك بسلاحه) ، وتحرك الجيش نحو مقصده ، ولما نزلت المحلة في منطقة (القداحية) وصل راكبا الى المحلة برسالة مستعجلة الى عبد النبي ، مرسلة من احد الجماملة من سكان بني وليد ، يقول فيها ؟ ان الثوار من جماعة حمد سيف النصر ومحمد سوف ، قد نهبوا مجموعتين من الابل لورفلة ، وانهم يرابطون قريبا من بني وليد منتظرين ابتعادكم ليهاجموها .

وتساءل (مياني) عن مضمون الرسالة فسلمها له عبد النبي قبل أن يفتحها ، اظهارا للاخلاص المفتعل ، قراها المترجم على رئيسه فقال هذا :

كيف السبيل لردع هؤلاء الثوار وحماية ظهورنا من هذه الجهة ؟ فقال عبد النبي : انا أقوم بهذه المهمة لو سمحت لـي بذلك ، وأيده رمضـان وبقية الزعماء .

ولم يتردد العقيد في تسليم امر كتابي الى عبد النبي ، ليرجع الى بني وليد مع 400 مسلح من ورفلة ، وسلم له كمية مـن البنادق ليوزعها على انصاره في بني وليد المهددة بهجوم الثوار الوهمي .

وكانت الرسالة وما جاء فيها حيلة مدبرة ـ كما ذكرنا سابقا ـ باتفاق بين عبد النبي ورمضان حسبما روى ذلك الشيخ حسن الطبولي عن عبد النبي نفسه الذي حكى له قصة الرسالة بعد ذلك في مزان .

قال عبد النبي : كنا نخشى من الحامية القوية الموجودة في بني وليد بقيادة الماجور (بريجنتي) كنا نخشاها في حالة انتصارنا في القرضابية ، ان تزحف علينا بما ينضم لها من الحاميات الاخرى ، وتعطل ثمرة انتصارنا .

وكنا نخشاه في حالة انهزامنا ان تحول بيننا وبين اللجوء الى بني وليد المركز الهام بتحكمه في طريق الجنوب ، وبكثـرة محصوله من مواد التموين ، فكتبت الرسالة في ورقة صفراء ، باسم أحد الجماملة ، وسلمتها الى أحد أعواننا وأمرته ان ياتيني بها في القداحية وهو راكب مهريا سريعا وأن يسأل علي في لهفة والحاح ، ليتشوف الضباط الايطاليون ، وخاصة قائد الحملة الى مضمونها ، وهكذا تمت الحيلة وأسرعـت الى بني وليد لمحاصرة الحامية هناك بعدما أطلعت (بريجنتي) قائـد الحامية على أمر (مياني) الكتابي ، ونزلت بشميخ ووزعت الاسلحة والذخيرة على المواطنين من ورفلة .

ذكر الحاضرون من ورفلة في ذلك العهد ان عـبد النبي كان يوزع الاسلحة على السكان ، حتى لا يبقى منها شيء قد تطلبه الحامية ، فكان يسلم أحيانا للفرد الواحد بندقيتين وثلاث بنادق فاذا قال له : ماذا اصنع بالزائد وانا وحدي ؟ اجابه عب النبي في حدة :

ـ سلم البقية لاخيك ، او لاخوتك او لابن عمك الغائبين من العائلة

فيفهم المواطن ان القصد هو الحصول على أكثر ما يمكن من الاسلحة .

عصبيات : وفي هذه النقطة أيضا تثور العصبيات ، فلا يتورع اعداء عبد النبي عن اتهامه بالتخلي عن المعركة وعن أصحابه من الزعماء الى بني وليد محتميا برسالة وهمية اخترعها هو نفسه حتى يبقى متفرجا من بعيد فان انتصر المجاهدون كان له شرف مشاركتهم في تدبيــر المعركة ، وان انهزموا كان بريئا من انتقاضهم امام الايطاليين ، والــواقع ان الرجل أبعد ما يكون البعد عن هذه السخافات ، فهو قائد حكيم متزن يتنبأ بالاحداث قبل وقوعها ، ويدبر لما يتوقع قبل حلوله ، وقد كان رجوعه باتفاق مع صديقه رمضان الشتيوي ، ومن يدري لعل رمضان هو الذي اشار عليه بتدبير تلك الحيلة . حتى يطمئن الى حماية ظهره عند الهزيمة والى التفرد بالمجد الوطني عند الانتصار ــ حسبما يراه بعضهم ...

يقول صلاح عوض السويلحي في كتابه (رمضان السويلحي حياة وجهــاد) . (10)

« اجتمعت هذه القوات (قوات مياني) في مكان يقال له : بئر بنعيزار يوم 15 افريل 1915 ، وهناك اجتمع القائد رمضان سرا برفيقه في الكفاح والنضال عبد النبي بلخير لاعادة تقييم الخطة الموضوعة من جديد ، وتبين لهما أثناء استعراض الخطة الخطر المحدق بهم اذا كسبوا او خسروا المعركة ولم يستطيعوا الاستيلاء على أي مدينة تكون قاعدة للقوت الثورية ، فبدونها سيصبحون منتشردين في الفيافي والصحراء ، وبذلك ينهار كل ما بنوه من آمال في تحرير المدن الليبية من قبضة الــقوات الايطاليــة ، ولتفادي هذا الخطر ، اتفق رمضان مع عبد النبي : على ان ينسحب الاخير الى نقطة تكون قريبة من بني وليد مركز ورفلة حتى يتمكن في لحظة انتصار رمضان في المعركة المنشودة من الاستيلاء على ورفلة فتكون منطلقا للثوار لتحرير بقية المدن أو ملجا لهم في حالة الهزيمة لا قدر الله » .

ولا يقف انصار عبد النبي مكتوفي الايدي ، بل يعمدون الى تمجيد دهاء

---

10) ص 52 ــ 53

صاحبهم عبد النبي ، وتنبئه بالاحداث قبل وقوعها ، وينفون نفيا باتا مجد رمضان الحربي . قال لي احدهم ، وكان حاضرا لمعركة القرضابية : كل من يقول ان محلة السويحلي حاربت (يوم القرضابية) فهو كاذب ، اذ انها لم تشاكننا قط في القتال ، ولم تتحرك الا عندما انهزم الجيش الايطالي امام صدمة المجاهدين العنيفة . الخ

وقال لي آخر مؤيدا من قبله : ان المعركة ابتدأت حوالي الساعة السابعة صباحا ورمضان لم يدخل المعركة الا حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ، اي حينما أدرك أن النصر محقق . (10 مكرر)

انها عصبيات لا تزال كامنة في رؤوس بعض المواطنين الليبيين من القدماء والمحدثين وسيمحوها الزمن ، ويقضي عليها التطور الثقافي والاجتماعي في البلاد العربية ان شاء الله ، أما الصديقان عبد النبي ورمضان فان التاريخ قد قال كلمته فيهما فما جحد لعبد النبي اخلاصه ووطنيته وشجاعته ودهاءه واتساع مداركه ، ولا نفى عن رمضان وطنيته واخلاصه وجراته واندفاعه في المعارك الحربية ، وشهامته العربية .

وفي القداحية أيضا تقدم الزعماء الى صاحبهم (مياني) برسائل زعموا انها وصلتهم من الثوار .. احمد الشريف ، والباروني ، وغيرهما ، وأن اخلاصهم دفعهم لاطلاعه عليها ، واضطرب (مياني) وغاب تفكيره ، واصبح كالمستسلم الى اولئك الزعماء الذين أفقدوه بحيلهم قوة التمميز .

أطلعوه على الرسائل ولكنهم طلبوا أن لا يجعل لها اي اعتبار أو اهتمام ، حسبما جاء في برقيته الآتية :

وقبل ان نذهب مع حملة (مياني) الى القرضابية ، وقبل ان نعرض الى نص برقيته التي تعتبر من أثمن الوثائق التاريخية ، يجدر بنا أن نقدم لذلك بخلاصة أقوال وتعاليق الرواة امثال حسن الطبولي ، وعبد الله معتوق، فيما يلي مع تعليقاتنا الخاصة في الموضوع .

10مكرر) بعد اثبات هذه الروايات عثرت على رواية الشيخ محمد بن حسن عبد الملك المصراتي قاضي مصراتة في عهد رمضان في كتاب (رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار) الذي

تعرض لواقعة القرضابية في صفحات 20 ـ 21 ـ 22 ـ 28 ـ 29 يقول الشيخ القاضي : اجتمعت به (برمضان) منفردا عن الناس وكان لا يكتمني سرا ومن جملة كلامه قال لي : اني اتفقت مع السيد احمد التواتي على اني اساعده بقدر ما يمكنني وقد جاءت هذه المسالة عرضا وفجاة ، والخطة التي رسمتها لنا الحكومة هي ان نامر السنوسيين بالبعد عن حدودنا ، واذا لم يرضوا بذلك نعمل معهم هدنة عدة اشهر ونتفق معهم على ان يكون (قصر سرت) سوقا للجميع بحيث نختلط معهم في سوق واحدة وبلد واحد والغرض من ذلك هـو انحلال جيش السنوسيين بحيث يصعب عليهم جمعه مرة اخرى فقلت له : واذا امتنع السنوسيون من الامرين فقال لي رمضان بك : انا افضل ان اكون في جانب السنوسيين على ايطاليا ، فقلت له وماذا يكون حالنا نحن يعني اهل البلاد ؟ فقال لي : عندكم في البلد ما يقرب من اربعين مسلحا ونرسل لكم ما معنا من الخيل وقدرهم سبعون فارسا فتكون بينكم وبين العدو حرسا حتى تتمكنوا من اخراج اهليكم ، وقوة الطليان ضعيفة في البلد ، وهذا ما في الامكان ، وفي الغد سافر رمضان بك تصحبه جميع القوات الوطنية ماعدا عبد النبي بالخير وجيشه ، وقد عرج رمضان بك على اهله حيث كانوا خارج البلد بمرحلتين تقريبا يتبعون المرعى لحيواناتهم فامرهم بالرجوع الى ضواحي البلد وقد رجعوا فعلا ، ولم أدر ما السبب في ذلك ، ولما سمعت برجوعهم شككت في خطته حيث امرنا بشيء وفعل خلافـه وقد مر رمضان بك ومعه القائـد العام الايطالي في طريقهما الى سرت من الطريق السفلـى ولما سمع بهما احمـد بك سيف النصر الذي كان يجمع جيشا من قبيلة (الطبول) لمعاونة السنوسيين على الطليان جد فـي السير بمن معه الى المعسكر السنوسي من الطريق العليا حيث كانت له هجانة تاتيه باخبار الجيش الايطالي وكان معه ما يقـرب من ثمانمائة مسلح ، ولما وصـل الجيشان الى قرب (قصر سرت) خرج رمضان بك ومن معه على النقطة الايطالية وعرج احمد بك سيف النصر على المعسكر السنوسي وعقب وصـول رمضان انتخـب من جيشه ثلاثيـن فارسا وأرسلهم بخطابات لوكيل المعسكر السنوسي وهو السيد احمد التواتي : منهم عمر ابو دبوس واخونا حسين بن الحاج حسن ومحمد حميدة الادغم وغيرهم ومضمون تلـك الخطابـات ان الحكومة الايطالية تطلب منكم البعد عن هذا المكان الى (سوكنة) وان ابيتم فنتفق معكم على هدنة عدة شهور بحيث يكون سوق الجميع هو قصر سرت الخ . فرفض السيد احمد التواتي الامـرين وقال لهم نحن نريد التقدم لا التاخر ولا يمكننا ان نتاخر عن مكاننا هذا شبرا واحدا الا ونحن مغلوبون على امرنا ، وفي هذا الوقت حضر السيد صفي الدين الذي هو القائد العام للجيش السنوسي من الجهة الشرقية فعرض عليه وكيله الامر فرفضه بتاتا ، ووافـق على ما قـرره وكيله قبل قدومه فسقط في يد رمضان بك حيث لم ينجح في مهمته ، وحنق على السيد احمد التواتي وتغيرت نيته من جهته ، ولما فهم جماعة مصراتة الموجودون بالمعسكر السنوسي من قبل ، ان الحرب واقعة بين الطرفين لا محالة كتبوا جوابات الى اهلهـم بمصراتـة لياخذوا حذرهم وسلموها لحسين بن عبد الملك ، فعلم بها رمضان بك فاخذها منه ومنعه من الذهاب ، وترتب على هذا المنع ان قبض الطليان على أخويه وعلى اخينا عمر ، وعلى محمد بك الادغم وغيرهم ، بما يقارب المائتين ، وعقب ذلك مباشرة وقعت المعركة بين الطرفيـن ولما حمـي الوطيس تقدم احمد بك سيف النصر ، بمن معه وضيق كثيرا على الجيش الايطالي من الجهة الغربية ، وبعد ذلك حمل عليه الجيش الايطالي حملة قوية صبر لها هو ومن معه صبر الكرام ومع هذا كله لم يلتفت رمضان بك ومن معه الى جهة من الجهات وحصلت لهم دهشة وحيرة ، ففي هذه الحالة امر رمضان من معه ان يضربوا الجيش السنوسي بدعوى انهم يدافعـون عن أنفسهم وحيواناتهم ، ولما اشتدت الحالة وبلغت القلوب الحناجر اتى الله بالنصر مـن عنده ، وزلزل الجيش الايطالي زلزالا شديدا وحينئذ التفت رمضان بك ومن معه الى الجيش الايطالي وضربه من ورائه مع من ضرب وانهزم الجيش الايطالي شر هزيمة ولا زال منهزما ، ورصاص المسلمين وحرابهم في اقفيته الى ان دخل (قصر سرت) وترك في ميدان القتال غنائم لا تحصى منها اثنا عشر مدفعا جبليا ، وعددا كبيرا من المدافع الرشاشة ، وأما الاسلحـة والمؤن والذخائر والادوية فلا تدخل تحت حصر ، وترك من القتلى آلافـا ، ومن السيـارات المصفحة عدد خمسة ، وقد جمعت تلك الغنائم الهائلة كلها وسلمت للسيد صفي الدين حيث حضر قبل الموقعة المذكورة بقليل ، وقد استشهد من جماعة أحمد بك سيف النصر ما يقـرب من مائة ، ومن جماعة رمضان بك اربعة انفار لا غير ، حيث انهم لم يشتركوا في المعركة الا

كان الزعماء يرمون من وراء هذه الخطة المدبرة الى أضعاف القـوة افقة لمياني وذلك بعودة اربعمائة مقاتل من ورفلة مع عبد النبي مع كمية كبيرة من الاسلحة والذخائر ، يستعينون بها في محاصرة حامية بني وليد ، بحتفظون لانفسهم ــ من جهة اخرى ــ بخط الرجعة في حالة عدم نجاح لخطة ، ويحتفظ لهم عبد النبي بلخير بمنطقة بني وليد بعد القضاء على الحامية الايطالية التي بها .

وفي هذه الحالة تكون منطقة بنـي وليد في حيازتهم ، وهـي منطقة استراتيجية هامة بالنسبة للمجاهدين ، وفي حالة نجاح الخطة المقرر تنفيذها بالقرضابية تنطلق شرارة الثورة الاولى علـى الحاميات الايطالية في بني

بعد انهزام الطليان ، وكانت هذه الموقعة يوم 15 جمادى الثانية سنة 1333 هـ (29 افريل 1915) .

ولا شك ان القارىء ادرك من حديث الشيخ القاضي انه كان يشك في نوايـا رمضان الذي لم يدخل المعركة ــ حسب روايته ــ الا عندما لاح النصر في جانب المجاهدين وادرك ان الجيش الايطالي منهزم لا محالة ويؤكد الكتاب المذكور ان رمضان يحمل للسنوسيين عداء قديما ، وربما علل ذلك بقضية الابل (ابل رمضان التي اخـذها السنوسيون) وقد أوردها الكتاب في ص 26 ــ 27 على الصورة التالية :

« لما اضطرت الحكومة العثمانية للصلح مع ايطاليا واحتلت ايطاليـا جهـة طرابلس الغربية كلها بقي السنوسيون يحاربونها بجهة برقة والجبل الاخضر بناء على ابلاغ الحكومة العثمانية السيد احمد الشريف على لسان انور باشا بانها اضطرت للصلح وان اهل الوطن احرار في وطنهم وانها لا تتاخر في مساعدتهم في اول فرصة وان السيد احمد الشريف هو نائب الخليفة وعلى اثر ذلك حصلت الحرب العمومية وشـرعت ايطاليا تسحب قـواتها البعيـدة بالتدريج الى بنغازي ودرنة وحصل مثل ذلك في طرابلس فقد كتبت بعض القبائل الطرابلسية وهم أولاد ابي سيف الى السيد احمد الشريف تطلب منه ارسال جيش الى الجهة الغـربية ليخلص البلاد من العدو ، ويولي عليه من يراه اهلا لذلك وفعلا جهز لهم جيشا برئاسة اخيه صفي الدين السنوسي وله وكيل اسمه احمد التواتي وهو الذي ارتحل مع الجيش فعلا ونزل به في مكان اسمه (النوفلية) وضيق الخناق على النقطة الايطالية القريبة منه حيث انسحبت من مركزها .. وانتقل بعد ذلك الى قصر ابي هادي وهو يبعد عن سرت باربع ساعات وانضم اليه عدد من اهل تلك الجهة وكذلك عـدد غير قليل من شبـان مصراتة ولـما ثبـت الجيش مركزه فيتلك الجهة شن الاغارة على مراكز الايطاليين ومن والاهم وصادف بعض المغيرين ابلا لرمضان السويحلي فاتوا بها الى المعسكر السنوسي وكان وقتئذ رمضان المذكور موظفا مـن الحكومة الايطالية في النقطة التي اسستها بزاوية المحجوب الكائنة بالجهة الغربية من مصراتة وكان يحب دائما ان تكون ايطاليا مشغولة بالحرب حتى تحتاج اليه ، ويحب ايضا في الوقت نفسه ، الاطلاع على قوات السنوسيين التي بسـرت فجعل اخذ ابلـه وسيلة لمعـرفة قوة السنوسيين وطلب الاذن من الحكومة الايطالية ليقتفي اثر ابله لعله يتمكن من ارجاعها ويأتي للايطالين باخبار السنوسيين فاذنت لـه الخ » ..

وقد اطلنا كثيرا في هذا التعليق بحشر هذه النصوص من الكتاب ، حتى يدرك القارى ما جرته العصبيات القبلية والشخصية من خلافات مؤسفة ادخلت البلبلة والخلط الى تـاريخ الجهاد الليبي الناصع المتوج بالايمان والفروسية والمجد ، بتسربها الى اقلام الكتاب .

وليد ، تتبعها في ذلك بقية حاميات المناطق الاخرى ، وفعلا هذا الذي حصل فيما بعد ، حيث حوصرت حامية بني وليد وارغمت على الاستسلام ، ثم ثارت بقية المناطق على الحاميات الايطالية المتواجدة بها وقد تم تطهيرها ، ونجح المجاهدون في خطتهم .

وفي الوقت الذي يذكر فيه اهالي وأعيان ورفلة في هذه الرسالة الموجهة الى عبد النبي قوات الثوار التي تهدد بني وليد ، بان هذه القوات بقيادة حمد سيف النصر وسوف المحمودي ، في هذا الوقت كان حمد سيف النصر قد تلقى رسالة من المجاهد عبد النبي بلخير وبقية الرؤساء الذين معه ، يعلمونه فيها بالخطة التي سيقومون بتنفيذها ، ويطلبون منه التوجه بمن معه الى القرضابية للانضمام هناك الى قوات صفي الدين ومن معه من المجاهدين ، وقد تلقى سيف النصر مع هذه الرسالة امدادات كبيرة من المجاهد عبد النبي بلخير تتمثل هذه الامدادات في مائتي مقاتل وكمية كبيرة من الاسلحة والذخائر ، اما سوف المحمودي فقد كان متوجها معه الى القرضابية ، ولكنه تلقى رسالة في مكان يسمى (الوشكة) شرق القداحية اجبرته على الرجوع ، وهو يبكي لحرمانه من الجهاد في القرضابية ، ولم يوضح الرواة فحوى الرسالة ولا مرسلها ، ولماذا اضطر سوف للرجوع ، ولكنهم يؤكدون انه جاء الى بني وليد ،وشارك في حصار الحامية الايطالية مع عبد النبي ، وانه نزل في قبيلة المناسلة حسب رواية الحاج حسن الطبولي .

ومن خلال ما جاء في برقية مياني الموجهة الى والي الولاية من منطقة القداحية وكذلك التقرير الذي رفعه الوالي الى الحكومة الايطالية عن اخبار الحملة ، حسب التفاصيل الواردة اليه في برقية العقيد مياني وبرقية الوالي التي تفصل الخسائر التي أسفرت عنها المعركة ، وبالاطلاع على رد الحكومة الايطالية ــ على ما جاء في برقية الوالي الذي يطلبون فيها اجراء التحقيق في الموضوع الذى جاء في اخبارية مياني حول الوسائل التي ذكرها لهم ، وعودة عبد النبي بالخير الى بني وليد من قوات الحملة ، يتضح للقارىء أن من ــ أهم اسباب فشل الحملة وما ترتب عليها فيما بعد ، هي الخطة المدبرة

والشرك الذى وقع فيه مياني في منطقة القداحية ، والذي دبر له من قبل الرؤساء المرافقين له حسب التفاصيل المتقدم ذكرها . ويلاحظ ان العقيد مياني في آخر ما جاء في برقيته الاتية يقول :

« لقد اعاد جميع الرؤساء الرسائل ، وطلبوا مخلصين عدم اعطائها أي اعتبار ، والتمسوا المحافظة على سريتها لانها اذا اطلع عليها اعيان مثل المنتصر — فرحات — مراد — مختار كعبار — وحتى حسونة باشا ، ستعود عليهم بالدمار ، وكذلك عدم ترجمتها من قبل المترجم حسن القريتلي التابع للمكتب السياسي العسكري لانه مشهور بعدم محافظته على السر » .

يؤكد هذا الطلب من قبل الرؤساء أن الرسائل المذكورة لم تكن مرسلة من الجهات التي ذكرت فيها ، وانما هي رسائل مزيفة يرمون من ورائها الى اخفاء خطتهم المبيتة ضد العقيد مياني .

ومما يؤيد صحة هذا هو اعادتهم للرسائل ، بعد اطلاعهم عليها ، وبعد ان اطلع عليها العقيد ، حتى لا يطلع عليها أشخاص آخرون مثل الاشخاص الذين ذكروهم وينكشف أمرهم وتعرف حقيقتها ، لانهم يعرفون معرفة جيدة الاشخاص المذكورين ، وكذلك نصحوا العقيد بعدم الاهتمام بهذه الرسائل .

ان العقيد (مياني) قد وقع في غلطة كبرى انهت حياته العسكرية ، لا يغفرها التاريخ لقائد مثله على رأس جيش خليط من كل جانب ، وأغلبه من أناس لا يمكن أن يكونوا محل ثقة ، بل يعتبرون في الحقيقة أعداء ، وكلهم كانوا بالامس القريب يحملون السلاح في وجه القوات الايطالية الغازية ، ومن ناحية اخرى كيف يوافق على اقتراح الرؤساء العرب القاضي باعادة عبد النبي بلخير الى بني وليد ، ومعه اربعمائة مقاتل ؟ وفي هذا الافتراح أول ضربة لاضعاف قوات الحملة المتجهة الى خوض معركة غير معروفة العواقب ، وهذا اجراء لا يمكن أن يفسر الا بالغباء العسكري وهو ما دعا حكومته الى التحقيق معه في هذا الموضوع .

البرقيات :

ومن القداحية أرسل العقيد (مياني) برقية مطولة الى الوالي

(تاسوني) بطـرابلس مصدقا مـزاعم الـزعماء وتبـادل البـرقيات مع حكومة ايطاليا . وهذه البرقيات تعتبر أثمن الـوثائق التاريخيـة في هذا الموضوع ونحن نورد نصوصها كاملة فيما يلي :

1 ـــ نص برقية مياني

من القداحية 17 ابريل 1915 / 30 22

تاريخ الوصول 18 ابريل 1915 10،45

2 ـــ سري جدا وشخصي :

الحاقا لبرقيتي رقم 80 ابلغت من قبل المخبرين الموفدين الـى معسكر المتمردين بالجبل على زمزم ، بأن احمد سيف النصر قد انضم الى الشيخ سوف ، وهما موجودان في آبار الغرانية ث أنظر الخارطة (000 400) ومن المؤكدأن الشيخ سوف يقود محلة تتكون من أولاد أبي سيف والمشاشة ، الا أن المخبر لم يرهم . ومن عدد الآبار التي يشغلها المتمردون يتبين بأن عددهم ليس كبيرا .

سلم الشيخ سوف طردا كبيرا من الـرسائل الموجهة منـه ومن أحمد الشريف وأخيه صفي الدين والباروني الى الرؤساء التابعين لي ، رسائل السنوسي الكبير أحمد الشريف من السلوم ومؤرخـة فـي 19 محرم (11) ومفادها : مطالبة جميع القبائل بالتمرد ، وتشكيـل معسـكرات مسلحة ، وأبلغهم بانه أوفد البنباشي الشيخ سوف مع ضباط ، ويجب اطاعة اوامرهم وان الشيخ سوف سيتولى قيادة احتلال طرابلس الغرب .

أما أحمد الشريف فهو ينتظر في السلوم تشكيل القـوات وسينضم اليها سريعا . ورسالة أخرى موجهة منه يفيد فيها انه يبعث بأخيه صفي الدين الى أحد أبيار (؟) تاريخها 7 ربيع الثاني (12) وهو يتناول فيها نفس الموضوع ويوصي باطاعة أوامر الشيخ سـوف ، ويخبر عـن الانتصارات

11) يوافق 7 ديسمبـر 1914 .

12) يوافق 22 فيفري 1915 .

الكبيرة التي حققتها السنوسية في بنغازي وأجدابيا وسوكنة وفزان ونالوت ، ويقول بأنه قد تم الاستيلاء عليها جميعا .

أما الشيخ سوف فانه يقول في رسالته ان اليبو ALIPPO (12) في مصر قد تم الاستيلاء عليه من قبل الاتراك ، وان امدادات من الجنود والاسلحة والتموين سترسل الى ليبيا .

ويقول بأنه قادم مع ضابط للقيادة ، ويطلب منهم الصبر وبذل الجهد في انشاء المعسكرات المسلحة . وأما سليمان الباروني فان رسالته مؤرخة في 25 محرم (14) ويقول بانه وصل الى السلوم لدى السنوسي الكبير ، ويوصي بامتثال أوامر الشيخ سوف ، وهي موجهة الى عبد النبي بصفة خاصة ... بالاضافة الى التهديدات الموجهة من السنوسي الكبير والشيخ سوف .

في رسائل أخرى موجهة من الشيخ سوف واحمد سيف النصر الى عبد النبي رئيس ورفلة والشيخ رمضان رئيس مصراتة والشيخ الساعدي رئيس ترهونة ، جاء فيها بانهم علموا بحصولهم على الاسلحة وانهم يسيرون في ركاب الحكومة ريثما تتاح لهم المناسبة للانقضاض عليها ، ويبدون إبتهاجهم لذلك ، ويطلبون منهم تاكيد ذلك ويعدونهم بالمساعدة ، ويهددونهم بانهم اذا كانوا يرغبون في المحافظة على ولائهم للحكومة ، وانهم ينوون محاربة الحكومة السنوسية ، بانهم سيحاربونهم وسيجنون الالآم والمصائب من جراء اخلاصهم ، ويؤكدون ثقتهم بانهم لن يفعلوا ذلك ، ويتركون لهم الخيار .

لقد عقدت اجتماعا صباح اليوم مع الرؤساء التابعين لي ، وقررنا الزحف على سرت بعد وصول الرسالة التي قدمها الي عبد النبي مخلصا ، قبل ان يفض غلافها ، وقد جدد لي الرؤساء ولاءهم ، وأبدوا رغبتهم في الاخلاص للحكومة للدفاع عن بلدانهم وعائلاتهم وممتلكاتهم ، وأبدوا استعدادهم لتنفيذ أي أمر بما في ذلك مهاجمة قصر ابي هادى لتشتيت

---

13) رسمنا هذا الاسم كما هو في البرقية ولم نتبين هذا المكان .

14) يوافق 13 ديسمبر 1914 .

قوات المتمردين والاستيلاء على المركز الرئيسي للحكومة السنوسية ، كما توسلوا لي بحرارة بأن تتولى الحكومة الدفاع عن بلدانهم أثناء غيابهم ، ورأوا أن ذلك يتوقف على سلامة منطقة ورفلة ، والتمسوا ايفاد عبد النبي مع بعض من فرقته الى بني وليد ، وكذلك القوات الموجودة في ترهونة ، وتغطية منطقة حماية ترهونة بقوات توفد اليها من طرابلس ، وحيث ان قواتي كافية لمهاجمة قصر أبي هادي والاستيلاء على سرت والتمركز فيها ، فقد قررت ايفاد عبد النبي الى بني وليد مع أربعمائة رجل ، وأمسكت بمائة رجل من رجاله كممثلين لقبيلته ، أرجو من الحكومة أن تعمل على ايفاد قوات لحماية منطقة بني وليد ، كما تحصن منطقة غريان ومزدة ،ذلك ان رسائل السنوسي عممت على بقية بلدان طرابلس الغرب ، سواء في الجبل ، أو الساحل الغربي ، ولا يستبعد أن تقوم انتفاضات حالما يتم التجهيز لذلك . وعلى أية حال ، فان قواتي ستتقدم نحو سرت لاقتناعها بعدم جدوى مطاردة شرذمة صغيرة من المتمردين تسعى للهروب الى الصحراء القاحلة ، ونرى أن لا لزوم للاتجاه جنوبا ، ولا أمل في المطاردة حفاظا على تقدير النتائج النهائية .

وبينما نحن نعسكر في سرت ، فاننا لا نستبعد أن يتحرش الشيخ سوف بورفلة الذين يبدو أنهم استقروا وهدأوا ، ولعله يتوجه الى الغرب للاستيلاء على مناطق أخرى لا تتوفر الثقة في رؤسائها . ومن هنا تبرز مسالة الحراسة المشددة لطرابلس وغيرها من المناطق التي يعمل بها اناس مؤجرون من الحكومة ويعملون على تدميرها ، لاننا على علم بما يدبرونه كما انهم لن يخابرونا مطلقا عن اى تصرف .

لقد أعاد جميع الرؤساء الرسائل ، وطلبوا مخلصين عدم اعطائها اي اعتبار والتمسوا المحافظة على سريتها لانها اذا اطلع عليها أعيان مثل المنتصر ، فرحات ، مراد ، مختار كعبار ، وحتي حسونة باشا ، ستعود عليهم بالدمار ، وكذلك عدم ترجمتها من قبل المترجم حسن القريتلي التابع للمكتب السياسي العسكري لانه مشهور بعدم محافظته على السر .

سأبعث اليكم في أول مناسبة بالرسائل

سأبعث بالعقيد روسو الى بني وليد (15)

15) يظهر انه ذهب مع عبد النبي

العقيد / امياني

رئيس الاركان (من نسخة طبق الاصل)

2 ــ نص برقية الوالي الى وزيــر المستعمرات

من طرابلس التاريخ 1 ــ 5 ــ 1915 الساعة 15 17

أبرقت بتاريخ 30 ــ 4 ــ 1915

أسبقية مطلقة

الى وزارة المستعمرات روما

1858 ــ سري جــدا ــ الحاقا لبرقيتي 1842 أبلغني العقيد امياني كان جملة الخسائر في القتال الذى دار يوم أمس (16) وصلت :

ــ ضباط ماتوا او فقدوا ــ ثمانية عشر

ــ جرحوا ــ خمسة وعشرون

ــ من الجنس الابيض ــ ماتوا وفقدوا مائتان واثنان وخمسون

ــ جرحوا ــ مائة وواحد واربعون

ــ وطنيون ماتوا 234

ــ جرحوا 296

فقدت 11 قطعة ثقيلة ، 3 رشاشات ، 4 سيارات (17) .

الوالي تاسوني

3 ــ برقية ثانية من الوالي الى وزير المستعمرات

أسبقية مطلقة :

الى وزارة المستعمرات ــ مكتب الوزير

عاجل جدا / 91

---

16) 29 ابريل 1915

17) وهناك مع البرقية كشوف باسماء الضباط الذين ماتوا وفقدوا .

من طرابلس 4 ـ 5 ـ 1915 رقـم 70

ساعة الوصول : 21,50

458 سري جـدا

ابلغني العقيد امياني ببرقيته رقم 169 بتاريخ 2 مايو 1915 ما يلي :

« استنادا الى قانون الجنايات شكلت محكمة عسكرية فـوق العادة لمحاكمة رؤساء ونواب رؤساء وانفار الفرق الوطنية الذين ثبـتت ادانتهم بشهداة الشهود بتهمة الخيانة اثناء القتال » .

ثم تلاها بالبرقية التالية :

« سرت 2 ما يو (170) تبعا لبرقيتي رقم (169) أعلم سعادتكم بأن المحكمة العسكرية فوق العادة قررت فـي جلستها الاولـى محاكمة الجناة المذكورة أسماؤهم فيما بعد :

الحاج محمد القاضي ـ رئيس فريق مسلاته

الهادي أبو بكر النعاس محمد ـ نائب رئيس فرقة ترهونة

الحاج محمد بن مسعود ـ رئيس فرقة الجفارة

سلطان بن أحمد ـ نائب رئيس فرقة ترهونة

محمد بن عبد السلام ـ من مسلاتة

احمد بن ربا ـ من مصراتة

الحاج مراغي بن معرف ـ من ترهونة

أحمد بن نصر ـ من ترهونة

ابراهيم بن عمر ـ من ترهونة

مختار بن رحومة ـ من الجفاوة

ابراهيم بن يوسف ـ من مصراتة

محمد بن موسى ـ من مصراتة (18)

---

18) هؤلاء تمكن مياني من القبض عليهم عند انهزامه في القرضابية ، ويظهر انهم كانوا مع قوافل التموين ، لم يتمكنوا من الالتحاق باصحابهم ، وقد قتلهم مياني رميـا بالرصاص على شاطىء سرت انتقاما لهزيمته ، ولذلك اشار الوالي في برقيته الى انهم ربما قتلوا في حالة غضـب .

اخذت في الاعتبار جميع الاجراءات القانونية سأوافيكم بقرار الاتهام مع أول مراسل .

(ميانـــي)

لا تتوفر لدي في الوقت الحاضر العناصر اللازمة لتقدير مدى خطورة الموقف ، ومن هنا يبدو لي ان الاتهام تم بغضب ، ولم تطبق بشأنه الدلائل الاكيدة فيما يتعلق بقانون الجنايات العسكري والمراسيم الولائية والاجراءات التنفيذية العسكرية .

أنتهز مناسبة وجود اللواء (ديل ماستري) وسابعثه غدا على السفينة الحربية سرت ، ليستكمل التحقيقات ويتخذ الاجراءات اللازمة ويبدى ما يراه من اقتراحات ، وسابلغ الوزارة بالنتيجة فورا .

أخشى انني ساعمل على ايقاف مياني لما يبـــدو من نفـــور منه في المستعمرة بالاضافة الى تهم اخرى تقع مسؤوليتها على عاتقه .

(الوالي / تاسوني)

4 ـــ برقية وزارة المستعمرات الى الوالي

8 مايو 1915 سري وعاجل

في حين ان التحليلات المرسلة من سعادتكم تلقي الضوء على مسؤولية الامر العسكري المتعلق بالقتال في 29 افريل بقصر أبي هـــادى الذى عاد بعواقب وخيمة على قواتنا أرى من الواجب احاطتـــكم بالاعتـــبارات التي استنتجتها من مكاتباتكم لهذه الحكومة .

ان اهم ما لفت انتباهي هي الاخبارية رقم 9 المؤرخة فـــي 11 ابريل المسجلة بالقائمة رقم 755 بنفس التاريخ والبرقية رقم 2 من بئر القداحية بتاريخ 17 ابريل المرسلة من العقيد مياني والمبلغة من طرف سعادتكم رفق التقرير في الثامن عشر من نفس الشهر .

جاء فـــي الاخبارية ان المتمردين يتحركون بتوجيه مـــن السنوسية ويستعدون للهجوم وهم يتجمعون في سرت حيث يتوقـــع ان ينضم اليهم

الرجال الذين جمعهم المهدي السني مـن فزان . وأن السنوسي الكبير دبر الهجوم على سرت بالاتفاق مع أبناء سيف النصر ، وبالتعاون معهم ، وأن احتلالنا سرت يلاقي للمرة الاولى عقبة بسبب الاتصال السنوسي البرقاوي مع طرابلس الغرب ، وأن السنوسية تعمل علـى تنظـيم المتمردين وربط العمليات في طرابلس مع العمليات في برقة .

وفي الوقت ذاته فانه يفهم من البرقية التي بعث بها العقيد مياني انه على علم تام بما يقوم به السنوسي واخوه صفي الدين . والشيـخ سوف والباروني ، والاجتماع الذي انعقد بالوادي ، والرسائل الموجهة الى رؤساء الفرق والتي تحثهم على التمرد وتعدهم بالمساعدة ، وتغريهم وتهددهم ، بل انهم اشاروا في الرسائل الموجهة من الشيخ سوف وأحمد سيف النصر الى عبد النبي رئيس ورفلة والشيخ رمضان رئيس مصراتة والشيخ صادق (19) رئيس ترهونة ، الى انهم علموا بحصولهم على الاسلحـة من الحكومة ، وانهم يسيرون في ركابها ، ريثما تتوفر لهم المناسبة للانقضاض عليها .

ويتبين من البرقية ان العقيد امياني كان على علم بان قصر ابي هادي المركز الرئيسي للحكومة المحلية السنوسية ، وان الاخيرة تثق ثقة تامـة في الوطنيين من فيلق بنيني .

قرأت في البلاغ ان المشاركة الفعالة التي قـام بها الوطنيون اثنـاء العملية العسكرية تؤكد ما جاء في برقية مياني سالفة الذكر .

لا ارى لزوما بأن يعطي سعادتكم اهتمامه الكبير للاجراءات التنفيذية وانما أوصي بأن يرتكز التحقيق على الفقرات التالية من برقية مياني في 17 ابريل من بئـر القداحية .

« ارجو من الحكومة قبول طلب ايفاد قوات الى بني وليد ، بالاضافة الى تقوية منطقة غريان ومزدة ، لان رسائل السنوسي قد عممت على جميع المناطق في الجبل والساحل الغربي ، ويجب الا تستبعد الانتفاضات حالما يتم الاستعداد لها » .

---

19) هكذا جاء هذا الاسم في البرقية ولعل صوابه الساعدي (بن سلطان) .

« ومن هنا تنشأ اهمية المراقبة الشديدة لطرابلس وغيرها من المناطق التي بها اناس مأجورون من الحكومة والذين يعملون على تدميرها ، لاننا علمنا بالمؤامرة التي تدبر ، وانهم لن يبلغونا بذلك مطلقا » .

(مارتينـــي)

وهكذا تنبه وزير المستعمرات من برقية مياني الى مـــا لم يتنبـــه له صاحب البرقية نفسه الذي كتب ما كتب بكل سذاجة وبساطة ، ولذلك يؤكد وزير المستعمرات على الوالي ان يركز التحقيق على الفقـــرتين الاخيرتين الواردتين في برقية مياني واللتين تكشفان عن وجود تحرك للمقاومة ، ومع ذلك يغامر مياني بالذهاب الى القرضابية وهو محفـــوف بالاعـــداء من كل جانب ، ويطلب من الوالي ان لا يهتم كثيرا بالبحـــث عن الاجـــراءات التي اتخذها مياني في قتله لجمع من الليبيين كان ذلك أمـــر هين لا تهتـــم به الحكومـــة الايطاليـــة .

حصار حامية بني وليـــد : ابتدات معركة القرضابية بهجـــوم عنيف من جانب خيالة المجاهدين فتضعضعت صفوف الايطاليين ، فطلب (مياني) من الزعماء المصاحبين له خاصة رمضان السويحلي ، ان يدخلـــوا بعربهم المعركة ، فلبوا طلبه ، ودخلوا المعركة ولكن ضد (مياني) وجيشه الذي أخذته النار من كل جانب ، وفوجيء بانقلاب الليبيين جميعا ضده ، فكانت الهزيمة الشنيعـــة (20) .

ورجع رمضان الى مصراتة يحفه الاجلال ، ويتوجه المجد ، ووصلت اخبار الانتصار الى عبد النبي بلخير فحاصر حاميـــة بني وليـــد التي تعد 2500 جندي من بينهم 730 من الايطاليين ومائتان من الملونين (21) وحاولت القيادة الايطالية فك الحصار عن (بريجنتي) قائد الحامية ، فوجهت لـــه

---

20) انظر مختصر احداث المعركة في معجم التليسي ص 405 وما بعدها ، وفي بقية المراجع التاريخيـــة .

21) جهاد الابطـــال ص 160 .

(قوة تتألف من 1700 مسلح بقيادة الكولونيل (توري) من زليطن ، ولكنها ردت على أعقابها في الطريق (22) .

وحاول (بريجنتى) في اول يوليو 1915 ان يفك الحصار بشق طريقه بين صفوف المجاهدين بالقوة ، ولكنه تقهقر بعد ان خسر زهرة جنوده في هذه المغامرة وسقط هو نفسه تحت وطأة جرح قاتل قضى عليه .

وكان صفي الدين قدم مع حمد سيف النصر الى بني وليد اثر القرضابية لمساعدة عبد النبي على حصار الحامية الايطالية التي أبت الاستسلام .

واضطرت الحامية الى الاستسلام في 5 يوليو 1915 اثر فشلها في فك الحصار ، واظهر صفي الدين كثيرا من طيش الشباب وعنجهيته ، وتطاول على زعماء البلاد باعتباره نائبا عن اخيه المجاهد احمد الشريف فاستولى على أسلحة الحامية الايطالية وعلى الغنائم واطلق تابعه (التواتي) يضطهد الناس وينهب ارزاقهم ، وحاول عبد النبي ان يقنع صفي الدين بوجوب كف تابعه عن الناس فقابله هذا باحتقار وعدم اكتراث ، مما دفع عبد النبي الى مقاطعته والابتعاد عنه .

الفتنــة : ووجد بعض أضداد عبد النبي من ورفلة أرضا خصيبة للدس وزرع الفتنة بينه وبين صفي الذين الذي تمادى في استعلائه كما تمادى تابعه (التواتي) في نهب ارزاق الناس ولم يبق هناك مفر من وقوع الفتنة فتبادل أتباع صفي الدين واتباع عبد النبي اطلاق النار .

نجدة الصديق : ووصل النبأ الى رمضان الشتيوي وكان يبغض السنوسيين ـــ حسب اجماع الرواة ـــ فقدم بنفسه على رأس محلة لنجدة صديقه عبد النبي .

قال الشيخ علي الجدي : « وكان رمضان ينتظر مثل هذه الزوبعة لانه يكره السنوسيين ، فقدم بمحلة الى بني وليد وقاتل مع عبد النبي ، وكان

---

22) معجم المعارك ص 129 ـــ 130 .

أهلي من انصار صفي الدين ضد عبد النبي ، حتى انهزم صفي الدين وفـر هو وأنصاره ، ومنهم والدي وأهلي ، فالتحقوا بالسيد احمد الشريف الى الجفرة حيث ـ كان سيف النصر سبقهم اليها ، ورجع رمضان الى مصراتة ويقال ان السيد احمد الشريف استنكر هذه الفتنة بين مسلمين مجاهدين الخ ... »

ويرى الشيخ الزاوي : ان رمضان لم يقدم الى بني وليد ، وانما صفي الدين هو الذي ذهب اليه في مصراتة بعد تحريرها من طرف رمضان ، وكان يغص بمقام رمضان فأراد أن يعلن في الناس انه (مهجور) اي مغضـوب عليه من السنوسيين فاضطر رمضان الى طرده من مصراتة (23) .

ولكنه يقول بعد ذلك ـ اثناء حديثه عن خلاف مصراتة وترهونة حول تبعية مسلاتة (24) .

« بعد أن أجلى رمضان صفي الدين عن ورفلة رجع اليها (الى مسلاتة) وطرد منها مندوب ترهونة الخ » .

وكلامه هذا صريح في أن رمضان شارك في اجلاء صفي الدين عن ورفلـة .

وبالرغم ممافي هذه الروايات من هنات تجعل المؤرخ لا يطمئـن اليها تمام الاطمئنان فهي تحمـل في طياتها سر فشـل المقاومة الليبيـة بعد ان استطاعت تطهير البلاد من المستعمر ، فلم يبق بينه وبين ترك البلاد نهائيا الا حملة موفقة تتحد فيها القلوب ويتوحـد العمل الحـربي كما تـوحد في القرضابية .

هذا السر هـو الخلافات القبليـة والعنصرية المتأصلـة في البلاد العربية منذ عهود الانحطاط ، ومحاولة التزعم والسيطرة وحب الذات .

هذه القبلية التي حطمت قوة المقاومـة الليبية كما حطمـت ثورات

---

23) انظر ص 182 من جهاد الابطـال .

24) جهـاد الابطـال ص 191 .

الجزائر وتونس ضد الاستعمار الفرنسي سابقا ، والامر للـــه من قبل ومن بعــد .

واذا كانت هذه الخلافات القبلية أو الشخصية الموروثة عن عصـــور الجهل والانحطاط قد يجد لها الانسان عذرا في ذلك العهد ، فانه لا عـــذر لمثقف يكتب للتاريخ ان يشوه الحقيقة ، او يعلل الاحـــداث حسب شهوته لينال من أحد المجاهدين ، مدفوعا بدوافع شخصية أو قبلية ، وتصل بـــه هذه الدوافع الى تحرير عبارات الشتم والثلب الذي لا يحســـن بالمثقف ان ينـــزل لمستـــواه .

مع الشيخ الزاوى : أقول هذا بمناسبة ما كتبه الشيخ طاهر الزاوى في كتابه (جهاد الابطـــال) من شتائم واتهامات ضد عبد النبـــي بلخير ، وهو ما يدفعني الى ايراد بعضها هنا وبيان ما فيها من تحامـــل لا يجمل ان يصدر من عالم ازهرى مثله تصدى للكتابة في التاريخ .

لقد كتب غيره ضد عبد النبي ولكنهم لم ينزلـــوا الى درك الشتيمـــة والثلب وانا لا يهمني البحث عن الدوافع التي دفعت الشيخ الزاوى لولوج هذا المسلك ، ولكن يهمنـــي أن أوضـــح للشيخ ان الشتيمـــة لا تـــوصل الى الحقيقة بل تثير الحفائض وتطمس الحقائق .

ولا يدعي مدع ان الطريق الذى سلكه الشيخ الزاوى انما دفعتـــه اليه الحمية الوطنية ضد من اعتبره هو خائنا ، لان الشيخ لم يسلك هذا المسلك مع من قام باعمال ضد وطنه وشهر السلاح ضد المجاهدين لفائـــدة الايطاليين ، فلماذا يغض الزاوى الطرف عن هؤلاء أو يمر بأعمالهم مـــرا سريعا في عبارات ليس فيها ثلب ولا شتيمـــة ؟ ولماذا يخص بهجـــوماته المركزة عبد النبي بلخير وهو مثل بقية الزعماء المجاهدين له حسناته ولـــه سيئاتـــــه ؟

وهذا الآن بعض ما كتبه الشيخ الزاوي ضد عبد النبي :

ــ قال في ص 117 متحدثا عن الخلاف الذى جد بين المجاهدين على اثر اعلان تركيا التخلي عن ليبيا حول التسليم أو مواصلة الجهاد :

« وكان عبد النبي بلخير ، من رؤساء ورفلـة ، ممـن انضموا الى الباروني واخوانه في فكرة الحرب ، فترك بعض المجاهدين من ورفلة في الرابطة ، وذهب الى بني وليد ... بحجة انه سيجمع المجاهدين ويرسلهم الى خط القتال ، والواقع انه فعل هذا ليكون له حجة عند الطليان بانه لـم ينضم الى المحاربين ، وكان يحاول ان يضرب عصفورين بحجر ، فصـار يكاتب الطليان ، يستجلب ودهم ويعتذر لهم عن عدم حضوره لديهم بما يراه يؤدي الى هذا الغرض ، ويكاتب الباروني في يفـرن ويطلب منه الارزاق باعتبار انه من انصاره ، ولم يخف على الباروني هذا التلاعب من عبد النبي ولكنه كان يصانعه طمعا في اتقاء شره ، وبناء على هذه المصانعة لعبد النبي جاء في بعض كتابات الباروني ان خط حربنا يبتدىء من ورفلـة ، والواقع انه كان لا يتجاوز حدود غريان الغربية شرقا » .

فالشيخ يصرح بان عبد النبي كان على رأى الباروني في وجـوب متابعة الجهاد ، وانه ترك في الرابطة محلة من مجاهدي ورفلة تشارك في عمليات المقاومة وانه ذهب الى بني وليد لتجنيد المجاهدين . فكيف يصح أن يؤول الشيخ عمل عبد النبي هذا بانه مجرد تلاعب للحصول على الارزاق من الباروني بصفته من أنصاره ، وليستجلب ود الطليان بوجوده في بنـي وليد بعيدا عن خط الحرب ؟

فاما الحصول على الارزاق من البـاروني فالذي نعـرفه انه كبقية زعماء المجاهدين كان يتلقى بعض المساعدات المالية والاسلحة من الباروني ولكن هذا وقع بعد القرضابية بصفته واليـا مرسلا من تـركيا سنة 1916 وكان عبد النبي من جهته يرسل قوافل الشعير للقيادة في الجبهة .

والادعاء بانه كان يكاتب الايطاليين فذلك يحتاج الى دليل ، فأيـن هذه الرسائل التي يذكرها الشيخ ؟ على ان الوثائق الايطالية التي أمكـن الوصول اليها تشهد لصالح عبد النبي ، حسبما اشار الى ذلك الاستـاذ التليسي في كتابه (بعد القرضابية) حيث قال (25)

---

25) ص 212 .

« وتشهد الوثائق الايطالية .. ان الرجل (عبد النبي) لم يحقق لهم (للايطاليين) شيئا مما ارادوه ، وتطلعوا اليه في هذه المرحلة ، وهي على كل حال شهادات له،و ليست عليه ، لابد من تقديرها عند التقييم الموضوعي لشخصية هذا الرجل الغامض .. »

والواقع ان الذى يحاول الشيخ الزاوى طمسه ، هو ان عبد النبي الذى ينفي عنه الشيخ حضوره في معارك الجهاد ، كان في مقدمة المشاركين في المعارك وقد نص على ذلك المؤرخون والرواة الذين حضروا تلك المعارك ولا يزال بعضهم على قيد الحياة .

وأما قوله : ان هذا التلاعب من عبد النبي لم يخف على الباروني ولكنه كان يصانعه ، فهذا فرض اعتباطي من الشيخ ، فعبد النبي اشتهر بموالاته للباروني ، والباروني كان يقدر مواهب عبد النبي ويكبره ، وهذه رسائله المنشورة في مذكراته ، تشهد بذلك ، فمن اين اخترع الشيخ هذا الادعاء ؟

في صفحة 129 يكرر الشيخ الزاوى نفس الاتهامات ، بنفس الكلمات والتعابير ، ويذكر سفره الى بني وليد والجفرة وسيطا بين الطليان وسيف النصر ، وقد تعرضنا سابقا الى دحض هذا الاتهام .

وفي صفحات 131 ــ 133 ــ 134 تعرض الى مصاحبة عبد النبي للجيش الايطالي نحو فزان ، ودس ضمن كلماته كثيرا من الشتائم مثل : الخيانة ، والتهاون بالمصالح الوطنية ، وان عبد النبي باع نفسه للطليان وانه فكر في القضاء على الحركة الوطنية الخ ..

وقد تحدثنا سابقا في هذه النقطة ، وقلنا : انه بالرغم من المبالغات التي صور بها اعداء عبد النبي هذه الرحلة الى فزان فانها تحسب ورطة وخطأ وقع فيه عبد النبي ، لا نحاول ان ننكر ذلك ، ولكننا لا نقبل هذا التهويل في جانب عبد النبي في حين تقع تغطية اعمال زعماء آخرين ، وتعلل غلطاتهم لصالحهم ، حتى الذين حاربوا عبد النبي مع الايطاليين جنبا لجنب .

وفي ص 148 يتحدث الشيخ عن نصح عبد النبي للطليان باسناد رئاسة محلة مصراتة للقرضابية الى رمضان ويورد النص بهذا الشكل .

« يقال انه هو (عبد النبي) الذى اشار على الطليان باستدعاء رمضان لتكليفه برئاسة قسم مصراتة بدل غيره » .

والمعروف عند كافة الرواة ان عبد النبي فعل ذلك باتفاق مع رمضان ، ولا عذر للشيخ في ايراد العبارة بطريقة التشكيك (يقال) .

ـ وفي ص 161 تحدث الشيخ عن اسرى الطليان من حامية بني وليد التي استسلمت سنة 1915 واراد ان يسلب الانسانية عن عبد النبي الذي اشتهر بانه اكثر زعماء ليبيا انسانية وعطفا وكرما فقال الشيخ :

« وبقى اسرى الطليان في ورفلة مدة طويلة لاقوا فيها صعوبات كثيرة من الجوع والعرى ، الى ان نقلوهم الى مصراتة في اواخرا 1917 ، واستخدموهم هم واسرى مصراتة في مختلف الصنائع ، وبقوا فيها منعمين ... الى ان سلموهم الى الطليان جميعا بعد صلح بنيادم » .

ولا يخفى ما يريده الشيخ من ادعائه ان الاسرى لاقوا الجوع والعرى في بني وليد ، وانهم تنعموا في حياتهم لما انتقلوا الى مصراتة ، وهو ادعاء يرده جميع الرواة الذين عرفوا عبد النبي وانسانيته .

والمعروف ان الاسرى المشار اليهم انما هم جماعة من الجند طلبهم رمضان للعمل بمصراتة الى ان وقع تسريحهم .

هذه بعض الاتهامات التي يوجهها الشيخ الزاوى الى عبد النبي محاولا ان يمسح اسمه من صفحة الجهاد الوطني لغرض في نفسه لا يزال غامضا عندي انا ـ على الاقل ـ وسياتي التعرض الى مثل هذا التحامل من الشيخ في الفصول الاتية .

على ان الشعب الليبي الذي يعرف الحقائق وفي مقدمته حكومة ثورة الفاتح التي أعطت لكل ذي حق حقه ، وارجعت موازين الاشياء الى حسابها الصحيح قد اعترفا بجهاد عبد النبي ووقع التنويه باسمه ، واقيم نصب

تذكارى ضخم في ساحة معركته في وادي دينار ، واحتفل الشعب بتلك الذكرى ولم تنس الصحافة الوطنية التنويه بجليل أعمال الرجل الجهادية .

اشرت سابقا الى ان الشيخ الزاوي الذى تسقط هنات عبد النبي محاولا ان يمحو اسمه من صفحة الجهاد الوطني قد حاول في كتابه تغطية بعض غلطات الزعماء الآخرين .

من ذلك قضية التعرض لقافلة المساعدة المرسلة من طرف نوري باشا الى المجاهد احمد الشريف ونهب ما فيها وقتل حراسها ومنهم الكاتب الخاص للسيد احمد الشريف ، فقد قال فيها الشيخ الزاوي :

« وقد اراد نوري — بما له من النفوذ في مصراتة — ان يمد السيد احمد باعانة فأرسل اليه اعانة مالية وبعض البنادق ، ولكن الاتراك الذين لا يريدون الصلة بالسنوسية دبروا مكيدة ضد هذه المعونة فأرسلوا من تربص لمن ارسلت معهم فقتلوهم عن آخرهم ، واخذوا ما معهم من المال ، ولم يعلم رمضان بشيء من أمر هذه المكيدة الا بعد وقوعها . »

وكانما أحس الشيخ ان الناس لا يصدقونه في تبرئة رمضان فأكد ذلك في ص 199 بقوله :

« ولم يكن (اي رمضان) المدبر للمكيدة وليس له بها علم ، وليس هو المرجع الاعلى حينذاك فيما يتعلق بسياسة الترك ويعلم الله ان الترك هم الذين دبروا المكيدة لقتل من ارسلت معهم الاعانة . »

ثم يقول :

« ولكن المغرضين يرمون دائما رمضان بما هو منه براء ، وهم بعملهم هذا يكذبون على التاريخ ويدلون على تحيزهم الى الباطل وغمط الحق وقد اعانهم على هذا جهلهم بالحقائق وعدم التحري فيما يصل اليهم من اخبار ».

وتأكيد الشيخ على براءة رمضان بهذه الطريقة المتمثلة في تكرار الكلمات انما هو تأكيد لاتهام رمضان .

والعملية ليست في حاجة الى تأكيدات الشيخ ولا غيره ما دام صاحب العملية هو محمد الحداد رئيس شرطة رمضان ، ومن البله ان يدعي بأن

رمضان غير عالم بها ، ومن البله ايضا ان تنسب الى الاتراك ، وقائدم نوري باشا هو المرسل للاعانة ، جاء في كتاب (رمضان السويحلي) لفشيكة :

ونمي خبرها (اي الاعانة) الى القائد لشرطة رمضان (محمد الحداد) وكان مع رمضان بمنزلة هملر رئيس الجستابو مع هتلر ، فعرض على رمضان ما نمي اليه عن الصناديق المالية وكان يحدثه بصفة سرية مستعجلة ويظهر ان نوري لم يفاتح رمضان بها قبل ارسالها حتى يكون علــى بصيرة منها ، فلما علم بها الحداد أراد أن يتخذ بشانها ما كان قد اتخذه التواتي في غزوه لمواشي رمضان بمصراتة الخ » (26) .

ثــم قــال :

« وتحصل الحداد من رمضان على اذن بالعمل لما جاء باخباره عنه فأعد مفرزة من الفرسان المغاوير جروا بخيولهم وراء القافلة الى ان أدركوها ودارت لهم مع حراسها معركة نارية سقط فيهــا بعض الافراد ثــم تغلبت جماعة الحداد ، وعادوا الى رمضان بصناديق النقود . وبعض المؤرخين يبرىء علم رمضان بما فعله الحداد ولكن الحقيقة انه بموافقته هو تعرض لها ، وما كان له ان يتعرض للقافلة بسوء لولا استئذان رمضان بذلك واجازته اياه بالعمل ، الامر الذى جعل ــ كما قيل ــ بعض المخلصين له ــ ان يلوموه كثيرا لعدم تقديره أسبقيات السيد أحمد الشريف الجهادية للاستعمار الخ » (27) .

هذا ما اكده محمد مسعود فشيكة في هذه القضية وهو اكثر اطلاعا من الشيخ الزاوي فيما جرى بمصراتة ، وهو ما أكده أيضا الطيب الاشهب في كتابه (برقة العربية) ص 318 ونقلة فشيكلة في كتابه (28) .

---

26) ص 127 .

27) ص 128 .

27) رمضان السويحلي ص 128 ــ 129 ــ وقد تعرض كتاب (رفع الستار ــ عما جاء في كتاب عمر المختار) لجامعه أحمد الاخضر العيساوي العالم بالازهر الشريف في طبعته الاولى 1355 ــ 1936 ــ تعرض لقضية قائلة نورى باشا هذه ، روايــة عن الشيخ محمد بن حسن عبد الملك المصراتي قاضي مصراتة في عهد رمضان السويحلي فقال في ص 252 ــ 253 ــ 254 :

« لما نزل السيد احمد الشريف بجيشه في سوكنة راجعا من الجدود المصرية ، وقــد ظهر لنوري باشا ما أسره رمضان في نفســه ، ومن اســر سريرُهُ البسه الله رداءها . طلب

ومن هذا يظهر جليا ان قول الشيخ الزاوي « ولكن المغرضين يرمون دائما رمضان بما هو منه براء الخ » انما هو محاولة طمس للتاريخ ، وتحيز الباطل ، وغمط للحق ، لم يستطع أن يخفيه في نفسه بل طفـح على قلمه فوقع فيما اتهم به الناس ـ غفر الله لنا وله .

احتل عبد النبي بني وليد بعد تسليم الحامية وامسك بحكمها ، وتولى حالا تنظيم ادارتها ، وكانت المودة على أشدها بينه وبين رمضان ، يدلك عليها ارساله لغالب الاساري الايطاليين الى مصراتة تلبية لطلب رمضان ، واسراع رمضان لنجدته في خلافه مع صفي الدين ، وامتد حبل هذه الاخوة بين الزعيمين وشاركت ورفلة ومصراتة في معارك الجهاد لطرد الايطاليين ، حتى بدأت المفاهمات في الصلح التي كانت بداية القطيعة بين الصديقين .

نورى باشا من السيد احمد الشريف ان يقدم بمن معه الى مصراتة ، ينزل اولا بمكان يقرب من سرت يقال له سلطان لينظر ماذا تكون حال رمضان عند قدوم السيد لذلك المحل وقربه من مصراتة ، ، فقدم السيد بناء على طلبه ونـزل بالمكان المذكـور وهو مكان لا مـرعى فيه للحيوانات ، ولا مؤنة للجيش ، فطلب نورى باشا من السيد احمد الشريك ان يرسل لـه قافلة بما يمكنه امداده به ، فارسل له اجد الاخوان اسمه (ابو طريف) وبرفقته رجل مصري ينتسب الى دسوق كان دكتورا في الجيش ومعهما خمسة وعشرون ضابطا وكان مقصد نورى باشا من ارسال هؤلاء الى مصراتة ان يرسل معهم ذخيرة واموالا وازراقا للسيد الشـريف السنوسي ، وكان رمضان كارها لتلك المواصلة ، ولكنه اسرها في نفسه ولم يبدها له فجهز نورى باشا تلك القافلة ، وارسل مع ابي طريف ومن معه مدفعين وارزاقـا كثيرة ومهمـات حربية فصعب ذلك على رمضان جدا حيث انه كان يريد قطع العلاقات بينه وبين السنوسيين بتاتا ، وصد السيد احمد الشريف عن القدوم الى مصراتـة ، فرأى ان انفـع شـيء لقطع العلاقات ، وصد السيد احمد عن القدوم الى مصراتة هو قتل اهل القافلة جميعا ، فجهز قوة من عنددخفية عن نورى باشا قدرها مائة نفر مسلح ، وجعل عليها رئيسين احدهما يدعـى (محمد سليمان الجطلاوي) والثاني يقال له (عبد العزيز الدنيَخ) وامر تلك القـوة ان تجد في السير الى ان تسبق ابا طريف ومن معه على وادي زمزم لتكمن لهم فيه وقد نفـذت هذه الخطة بدقة وكان من جملة الحيل الشيطانية التي دبرت للقضاء على حياة هـؤلاء المساكين الذين لا يدرون ما خباه لهم القدر ، ان ارفقوا معهم رجلا أوهمهم ان له حاجة يريد قضاءها ويريد ان يستانس بهم فقط ، الى ان يصل الى حاجته ويفارقهم ، فقبلوا ان يكون معهم ، ثم بعد ذلك شرع يحدثهم عن الامن في هذه الجهات ، وان الفضل في ذلك يرجع الى رمضان بك السويحلي يكرر ولازال يكرر لهم مسالة الامن الى ان قاللهم لالزوم لحمل السلاح علىظهورنا خصوصا وان المسافة طويلة تستغرق اياما والامن ضارب أطنابه في كل جهـة ، فالاولى ان نجعل هذا السلاح الذي هو عبء ثقيل على كواهلنا على بعير واحد ، ونربطه جيدا ، بحيث لا يقع منه شيء ، ونستريح من حمله ، واستمر يحسن لهم ذلك الى ان انخدعوا له ووافقوه ولم يعلموا بتلك الحيلة المدبرة ، وجعلوا سلاحهم على بعير ذلك الرجل صاحب المكيـدة ، وجدوا في سيرهم الى أن وصلوا الى تلك القوة الكامنة لهم في وادي زمـزم المتقدم ذكـره وكانت تلك القوة مختفية تحت الاشجار ، ففاجاتهم باطلاق النار وهم عزل وسـلاحهم مشدود على البعير المذكور فابادوا تلك القوة ـ اهل القافلة جميعا ورجعوا بتلك الارزاق والمهمات الى

بيت رمضان خفية عن نورى باشا ولما بلغ نوري باشا خبر هذه الفعلة غضب غضبا شديدا ، ولما لم يكن له من الامر شيء ، ولم يمكنه ان يعاقب أحدا فضل الرجوع الى الاستانة في غواصة المانية ، قال فضيلة القاضي وكنت انا ومن معي وقت وقوع هذه النازلة الشنيعة بمعية السيد احمد الشريف وقد بلغتنا قبل بلوغها للسيد بخمسة ايام ، وكتمنا امرها ، حيث ان من حاشيته من يزين له اعمال رمضان ، فلو سارعنا بابلاغها وقتها لقيل عنا اننا مفتونون فوكلنا امرها للايام والليالي حيث يلدن كل عجيبة » .

ولا يخفى على القاريء ما في رواية الشيخ القاضي هذه من خلاف مع الروايات الاخرى التي تجمع على أن رئيس الفرقة التي قضت على القافلة هو (محمد الحداد) رئيس بوليس رمضان السويحلي ورواية القاضي هذه تجعل للحملة رئيسين هما (محمد سليمان الجطلاوي) و (عبد العزيز الدنيخ) .

الفصل الخامس

موقف عبد النبى من الصلح

طرد الايطاليين : وهكذا أطرد الايطاليون من ورفلة كما اطردوا من مصراتة ، ومن الجبل الغربي ولم تجد قيادتهم بدا من أمر حامياتها باخلاء الاطراف والرجوع الى الشواطىء ، واقتصروا على ثلاث نقط ارتكاز : هي الخمس ، وطرابلس ، ثم زوارة ، ولو شاء ربك الابقاء على وحدة الصف ، وصدق العزيمة ، وروح الاقدام والتضحية لما بقي للايطاليين قرار ، ولكن الله يفعل ما يريد ، فقد اشتغل كل زعيم بتركيز سلطته في بلده ، والتفكير في منازعة جاره على السلطة وفرض الهيمنة على اكثر ما يمكن من البر والبشر ، في الوقت الذي كانت تركيا والمانيا تمدان الثورة بنصيب من المال والاسلحة والضباط .

الفتن : وأرسلت تركيا سليمان باشا الباروني في افريل 1916 الى طرابلس واليا وقائدا عاما . وحاول المسكين جمع الكلمة ، وتوجيه الجهود نحو تطهير البلاد من العدو ، ولكن هيهات فقد اندلعت الفتن بين العرب والبربر سنة 1916 ، ودخل خليفة بن عسكر في حرب طائفية طاحنة ضد الرجبان والزنتان ، وسقط فيها مئات الابرياء ، وخربت فيها بلدان وقرى ومزارع ، كما اندلعت فتن وغارات مخربة بين الشرق والغرب ، أي بين سكان طرابلس وسكان برقة « مما اضطر عرب ورفلة والقذاذفة النازلين

بسرت الى الرجوع لبلدهم بني وليد ، ونزح أهل برقة الى ناحية اجدابية ، واصبح الطرفان يشنان على بعضهما الغارات » (1) .

وانفجرت حرب أخرى سنة 1916 بين مصراتة وترهونة من أجل تبعية مسلاتة كل يرى انها تابعة له ، وواقعة في مدار نفوذه ، وكانت هذه الفتن مقدمة للفتن الكبرى التي قضت على بقية الامال بين رمضان وعبد النبي ، والتي سنتعرض الى اسبابها بعد قليل .

وبلغ من اهتمام الجانب التركي بثورة ليبيا في تلك الايام ــ اى عام 1916 وما بعده ــ ان ارسلت الامير عثمان فؤاد قائدا عاما بدل الباروني في مارس 1918 ، وكان في صحبته البارون فريد فون توندورف الألماني الذي جاء معه فريق فني لتسيير التلغراف اللاسلكي ، وكان الامير عثمان يحمل لقب (القائد الاعلى للقوات الافريقية) (2) .

وبدأ الامير يتفقد الاماكن المحررة ناظرا في حاجياتها ، من ذلك زيارته لبني وليد التي تفقد أحوالها وترك فيها فنيين من الالمان يشرفون على محطة اللاسلكي .

استسلام تركيا : ولكن الانتعاش الذي ملأ قلوب الناس بالامل برجوع تركيا الى جانبهم قد تلاشى بانهزام تركيا في الحرب العالمية واضطرارها للاستسلام والامضاء على معاهدة (موندروس) في 31 اكتوبر 1918 ، وتعهدت فيها بسحب جيوشها من جميع البلاد العربية .

وطلبت حكومتها من ضباطها بطرابلس أن يسلموا انفسهم لاقرب نقطة ايطالية ، وترك طرابلس وشأنها .

الجمهورية : واعلن الامير عثمان النبأ الصاعق ، واعلم السكان أن خليفة المسلمين بالآستانة قد منح طرابلس استقلالها التام ، فعلى الطرابلسيين ان يكونوا لانفسهم حكومة تقوم على شؤون بلادهم .

---

1) رواية الشيخ علي الجدي .

2) جهاد الابطال ص 218 .

واتصل زعماء البلاد ببعضهم بعضا ، ودعوا الاعيان للاجتماع بجامع المجابرة بمسلاتة ، لمناقشة الموضوع يوم 16 نوفمبر 1918 .

حضر الاجتماع جمهور عظيم من اعيان البلاد من مختلف الجهات ، وعرض الامير عثمان مشروع تكوين حكومة لطرابلس المستقلة ، واحال الكلمة لعبد الرحمان عزام الذى كان بجانبه ، فألقى خطابا مطولا حث فيه على التضامن ووحدة الصف ، وعلى الدفاع عن الوطن والبذل في سبيله ، ثم ترك للناس اختيار حكومة تتوحد خلفها الصفوف ، فاختاروا الجمهورية ، وان يكون اسمها (الجمهورية الطرابلسية) .

ونظرا للحساسيات الموجودة عند غالب الزعماء ، والقبلية التي لا تزال متاصلة في النفوس في ذلك العهد فقد وقع الاتفاق على ان تتركب الجمهورية من أربعة رؤساء ، يقوم كل واحد بالاشراف على شؤون منطقته ، ويتوجه الجميع للمجهود الحربي .

وانتخب للجمهورية : سليمان الباروني من الجبل — رمضان السويحلي من مصراتة — عبد النبي بلخير من ورفلة — حمد المريض من ترهونة .

قال الزاوي : (3)

« وقد رأى أعضاء الجمهورية ان الوضع الحربي يقضي بأن يقيم كل عضو من أعضاء الجمهورية في منطقة نفوذه يصرف أعمالها كيفما يرى ، متحملا تبعة أعماله ، فأقام رمضان بك في مسلاتة ، وأحمد بك المريض في ترهونة ، وسليمان باشا الباروني في العزيزية والزاوية ، وعبد النبي بلخير في ورفلة » .

وهكذا ولدت الجمهورية الطرابلسية وفي جسمها جراثيم هلاكها ، اذ أن جمهورية يحكمها أربعة ، لا بد ان تغرق سفينتها بمجرد اقلاعها من الشاطىء ، فتعدد الربابنة مدعاة لاغراق السفينة كما يشير الى ذلك المثل العامي المشهور ، ونتيجة انتخاب اربعة رؤساء متساوين في الحقوق

---

3) جهاد الابطال ص 234 .

لجمهورية فتية هي ــ لا محالة ــ زرع لبذور الشقاق في وقت كانت فيه البلاد في اشد الحاجة للتضامن والتكاتف وتوحيد الصف ، والقضاء على أشباح الفرقة قبل بروزها .

وكان اسحاق باشا القائد العام لقوات المجاهدين الذى قدم من تركيا سنة 1918 ليتولى القيادة بدل نوري باشا الذى استدعته حكومته ، كان هذا القائد الصلب المشهور بحزمه وصلابته في محاربة التهاون والتلاعب كان دذا القائد « يرى انه متى كانت كل قبيلة تخضع لرئيس فلا يمكن توحيد البلاد توحيدا يمكنها من مقاومة العدو » (4) .

الصلح : وكانت ايطاليا قد خرجت مهيضة الجناح من الحرب العالمية الاولى ، غير قادرة على اعداد حملة لاسترداد ما ضيعته في طرابلس ، وخشيت ان تشتد شوكة المجاهدين فيرغموها على مغادرة المراكز الثلاثة التي بقيت بيدها ، فمالت الى الحيل السياسية ، وعرضت على زعماء البلاد البحث في صلح ينتج عنه قانون أساسي يضمن الاستقلال الذاتي للبلاد ويبقى لايطاليا التمثيل الخارجي والاشراف والتوجيه في الداخل ، ولم يكد هذا الطلب يصل الى رؤساء البلاد حتى أبدى بعضهم استعدادهم لمناقشة هذا الموضوع ، ومنهم رمضان السويحلي ، وأبدى البعض الآخر تحرزه من هذا الطلب فرفضه ، ومنهم عبد النبي بلخير ، ومن هنا كانت بذرة الخلاف الاولى بين الصديقين .

مفاوضات الصلح : وبدات مفاوضات الصلح في مارس 1919 ، وكان ينوب الجانب الطرابلسي كل من الهادي كعبار ، والصويعي الخيتوني ، ومحمد فكيني ، وعلي بن تنتوش ، ثم التحق بهم حمد المريض ، وكانت الجماعة تستشير في المسائل المعروضة كلا من رمضان السويحلي وسليمان الباروني وعبد الرحمان عزام ومختار كعبار (5) .

أما العضو الرابع للجمهورية ، عبد النبي بلخير فلم يحضر حسب

---

4) جهاد الابطال ص 235

5) جهاد الابطال ص 245 ــ 246 .

رواية الشيخ الزاوي ، لانه كان يرى في الصلح فرصة ينتهزها الطليان لتقوية جهازهم واتمام استعداداتهم لاسترجاع ما ضيعوه من البلاد ، وكان الباروني على رايه حسبما يقوله بعض الرواة (6) ولكنه كان رجلا مسالما يهرب من الخلافات .

ويظهر أن عبد النبي بلخير لم يحضر المناقشات الاولى التي دامت نحو الشهر وامتنع غاضبا في بني وليد ، ثم بعد الحاح حضر الى اجتماع الزعماء وظهر الخلاف جديا بينه وبين رمضان من بداية المناقشة .

والغريب أن الشيخ الطاهر الزاوي ينكر حضور عبد النبي لمناقشات الصلح كلها اذ يقول في كتابه : (7)

« أما عبد النبي بلخير الذي هو أحد اعضاء الجمهورية الاربعة ، فقد سافر الى ورفلة قبل البدء في مفاوضات الصلح ليجمع المجاهدين ويرسلهم الى صف القتال ، ولكنه انتهزها فرصة ، وبقي هناك ، وكان كلما طلب منه القدوم الى جبهة القتال حيث يقيم الرؤساء أبدى المعاذير الخ » .

ولست أدري سببا لهذا التحامل الواضح من الشيخ الزاوى ضد عبد النبي ، فهو لا يترك فرصة تمر به على اسم عبد النبي الا واهتبلها للنيل منه ، حقا أو باطلا سامحه الله ، اذ كيف أمكنه أن ينكر حضور عبد النبي لاجتماع سواني بنيادم ، ذلك الحضور الذي أثبته المؤرخون ، ولا يزال يتحدث به جماعة من ثقاة ورفلة الذين قدموا معه الى مكان الاجتماع ، ورجعوا معه الى بني وليد ، وسنقتصر على رواية بعضهم في مقدمتهم الحاج علي البراني الذي يقول في روايته :

« كنا قدمنا في نحو (200) جمل ،كل جمل يحمل اثنين اي (400) مجاهد ، وكان من رؤساء هذه المحلة : مفتاح الازرق ، والهادى بن يونس ، والعيساوي بوخنجر ، وعبد السلام زبيدة ، وبقينا نحن في المحلة ، اما عبد النبي فقد ذهب الى الزعماء المجتمعين ، يصحبه عدد من ضباطه ، وكان

---

6) الحاج عبد الله معتوق الدعيكي .

7) جهاد الابطال ص 246 .

الاجتماع في خيمة كبيرة ، وكان بين المجتمعين حديث سابق بين رمضان وعبد الصمد النعاس ، والصويعي الخيتوني ، ويقال ان رمضان السويحلي صرح للمذكورين أن عبد النبي يستوجب القتل اذا لم يوافق علــى وثيقة الصلح ، فعارضه المذكوران وحذراه من عواقب جرأته على مثل هذا الامر الخطير .

ولما قدم عبد النبي وصافحهم دس له عبد الصمد ورقة في كفه أثناء المصافحة ، وقرأها عبد النبي سرا فاذا فيها تحذير من رمضان » .

وبدأت المناقشة حول نقطتين : الاولى تتمثل في طلب الايطاليين في أن يتفق الاعضاء على رئيس واحد حتى تمكن المفاهمة معه ، اذ من العسير أن تنجح مفاهمة مع رؤساء متعددين ، والنقطة الثانية (8) المتمثلة في الصلح نفسه « اذ أن عبد النبي يرى أن الصلح خديعة يريد الطليان مــن ورائها الراحة والاستعداد للحرب » (9) .

ففي النقطة الاولى يقول الرواة ان رمضـــان السويحلي قدم نفسه ليتزعم اعضاء الجمهورية وله أنصار في طموحه الى التفرد بالرئاسة ، وقابله المجتمعون بالصمت ، بعضهم عن رضا ، وبعضهم عن خوف ، ولكن عبد النبي صديقه الحميم لم يسكت بل عارضه بصراحة قائلا : ان الرئاسة يجب أن تسند الى الشيخ سليمان الباروني « باعتباره مثقفا ، ماهرا في السياسة، مارس تجربة الحكم ، وتجربة المجالس النيابية ، وسافر الى مختلف الدول ، واطلع على أنظمتها ، بالاضافة الى أنه بعيد عن الخلافات القبلية . (10)

ويظهر من كلام (اتوني قابيلي) الاتي : ان الذي حرك شهوة الطموح الى الانفراد بالرئاسة في رمضان هذا الوالي (منزنجر) وعبد الرحمان عزام .

واشتد الخلاف بين الزعيمين الصديقين ، فطلب عبد النبي مهلة لاداء

---

8) هذه النقطة لم ترد في رواية البراني ، ولكنها وردت في رواية آخرين منهم الشيخ علي الجــدي .

9) نص كلمــات الشيخ علي الجــدي .

10) من رواية الشيخ علي الجــدي .



المؤلف بين الشيخين : علي البراني (على يمينه) والحاج المهاجر قريرة (على يساره) . فيفري 1976 .

الصلاة ، والتفكير في الامر ، اذ كان رمضان متشددا في وجوب انهاء قضية الصلح في ذلك اليوم .

قال الحاج علي البراني :

« وخرج عبد النبي من هناك ، ووصل الى محلتنا قرب المغرب ، وأمرنا بالرحيل ، فحملنا الابل وركبنا راجعين الى بني وليد ، وسمع رمضان فنوى تتبعنا بجيش مسلح ، فنهاه الجماعة (11) وكان عبد النبي أرسل بريدا سريعا الى بني وليد ليعترضونا بالماء والشعير فاستقبلونا بالمطلوب في الطريق الــخ » .

ولا بد أن أشير هنا الى أني اهملت اثبات روايات أخرى في الموضوع تدعي أن رمضان السويحلي كان ينوي قتل عبد النبي في اجتماع الصلح ، وان يده كانت على المسدس تحت ثيابه اثناء المناقشة مع عبد النبــي الى آخر هذه الروايات التي لا تعدو أن تكون اشاعات تناقلها الرواة ، والحقيقة أن الخصام لم يتعد التراشق بالالفاظ ، وربما وصل الى التماسك بالايدي حسبما يرويه (قابيلي) .

رواية اتوني قابيلي : يؤيد ما جاء في حديث الرواة (قابيلي) في كتابه (طرابلس الغرب ، من نهاية الحرب العالمية الاولى الى ظهــور الفاشيسم Ottone Gabelli ; la Tripolitania della fini, della guerra mondiale. (1922 اكتوبر All'avento del Fascismo. ويكشف عن كثير من الاسرار كانت مجهولة .

فقد تحدث (قابيلي) في كتابه المذكور عن اجتماعات (خلة الزيتون) التي أدت الى (صلح بنيادم) سنة 1919 ، وما جرى في تلك الاجتماعات من خلافات في وجهات النظر بين قادة الجهاد ، وما تلا ذلك من اعداد حملة لغزو ورفلة قصد ارغام زعيمها على الخضوع والانقياد لما يريده الايطاليون وعلى قبول الصلح المزيف .

وتحدث عن أهم ما وقع من مناقشات بين الوالــي الايطالــي وبعض

---

11) أو نهاه الوالي الايطالي حسبما يشير الى ذلك (قابيلي) .

الزعماء حول تجهيز حملة بني وليد ، ومعارضة الوالي اثر تلقيه تعليمات من حكومة رومة تقضي باستعمال الحكمة والتريث وعدم اثارة المشاكل في المناطق النائية ، طالما ان الامن مستتب بمدينة طرابلس وضواحيها نتيجة الصلـــح .

ويظهر أن معارضة الوالي للحملة كانت ظاهريا فحسب ، اذ اننا نراه قد ساهم عمليا في تجهيز الحملة لغزو ورفلة ، وتتمثل المساهمة في اشتراك عدد من الضباط والجنود العرب النظاميين الذين كانوا تحت قيادة (عبد الله تامسكت) ويطلق عليهم اسم (جيش الجمهورية الطرابلسية) الخاضـــع لاشراف السلطة الايطالية كما يتقاضى مرتباته منهـــا ، اشتراكهم في حملة رمضان على ورفلة ، ولا شك ان مشاركتهم في الحملة لم تقـــع الا بموافقة الوالي الايطالي الذي يعتبر هـــو الرئيس الاعلى للولايـــة حسب نصوص القانون الاساسي (12) .

ونظرا لما في كتاب (قابيلي) من حقائق كانت مدفونة رأينا ان ننقل منه النصوص التالية الواردة في ص 264 وما بعدها .

قال الكاتب في مفاوضات الصلح بخلة الزيتون (8 فيفري 1919)

... اكتسب رمضان الكثير من العطف لدى الوالـــي (منزنجر) لانه يرى فيه الشخص الذي يستطيع بواسطته احلال السلام ، ويرى فيه المنفذ الامين والاقوى للقانون ، بينما عبد النبى بلخير ينظر الى رمضان بأنه عدوه، وقد تردد في المجيء الى طرابلس ، حتى وان كانت الدعوة قد توجه اليه من قبل الحكومة بواسطة مستشاريها ، على ان هذه العداوة ترجع الى تاريخ قديم (13) وعند حضورهم الى فندق بن غشير بدأ النقاش الحاد بينهما الى درجة قاربت الاشتباك والمشادة بالايدي ، وقد هدده رمضان بالقتل نتيجة اختلاف الرأي بينهما ، وقد تمالك عبد النبي بلخير أعصابه اثناء ذلك ، واخذ الحذر من جانب خصمه ، ثم ترك الاجتماع وعاد الى بلده بني وليد ، وفي

---

12) أنظـــر الفصـــل 13 منه .

13) (ليس هناك ما يدل على قدمها ، بل كل الرواة مجمعون على وجود صداقـــة متينة بين الرجلين) .

هذه الاثناء كان رمضان الشتيوي قد أعلن بانه قد كسب القضية ، وحاول أن يضم الى جانبه بعض المنشقين من جماعة ورفلة ، بينما كانت فكرة عبد النبي هو الانضمام والتصالح مع أسرة سيف النصر لكي تتمكن هذه من ضمه الى السنوسية ضد رمضان ، وقد أعلن عبد النبي أنه بهذا الاجراء لم يكن ضد الحكومة ، ولكنه لم يرد في حقيقة الحال أن يكون بمعية رمضان ومقادا لارادته ، بل ينكر له أي حق في ذلك ، كما ينكر له تدخله في شؤون ورفلة، لانه يعلم مقاصده نحو ورفلة حيث يرغب رمضان بأن تكون ورفلة منطقة خاضعة لطرابلس ، بدلا من أن تكون قائمقامية مستقلة ، ذلك لان بالخير يتباهى باتساع رقعة أراضي منطقته وأهميتها كما يتباهى بوفرة عدد المحاربين لديه ، والروح الحربية التي يتسم بها أهالي ورفلة ، بخلاف رجال خصمه ... وقد تراءى لعزام اختيار رمضان الشتيوي لمنصب الرئاسة لاعتبارات خاصة يراها هو ، (14) .

ويقول الكاتب :

« يرى عزام في رمضان صفات ، من أهمها : عدم المقدرة والتصرف كما ينبغي ، ومن ثم يمكن الاستحواذ عليه للوصول الى مآربه الشخصية » .

واستطرد الكاتب يقول :

« بعد الاتفاق الذي جرى بين الحكومة الايطالية والعرب (خلة الزيتون) اصبح العساكر النظاميون التابعون لرمضان الشتيوي تحت امرة الضابط (عبد الله تامسكت) يتقاضون رواتبهم وجميع شؤونهم من الحكومة الايطالية بواسطة ضابط برتبة (كولونيل) ايطالي ، وأما الفيلق الموجود بمصراتة التابع لرمضان الشتيوي ، فقد اعتبرت رواتبهم ضمن المبالغ التي دفعت لرمضان نظير المصاريف التي أنفقها على الاسرى الايطاليين الذين كانوا بحوزته بمصراتة ، والذين سلموا بعد الاتفاق » .

---

14) يتهم الرواة عزام بانه كان ينوي الاستيلاء على طرابلس والتصرف فيها تصرف المالك سواء بنفسه او بواسطة قريب له كان موجودا بايطاليا ، وكانت بينهما اتصالات مسترابة ، ويكادون يجمعون على انه هو المسؤول عن اشعال نار الفتنة بين رمضان وعبد النبي ، وكان يسعى للقضاء على الاخير ، لانه كان ذكيا ومدركا لمقاصده ، واقفا سدا أمام مطامعه .

ويقول الكاتب :

« كانت الحكومة الايطالية تنتظر الفرصة السانحة لكي تضرب ضربتها الرادعة لرمضان ، حالما تصلها السقوات الكافية التي سعى الوالي في الحصول عليها (15) في حين لم يكن رمضان يفكر في العواقب التي تنتظره وفي محاولة لرمضان لجلب عبد النبي الى طرابلس ، أرسل لـه رسالة بواسطة المريض ، وفي حالة رفض عبد النبي الخضوع الى رمضان ، فانه سيقوم بنفسه بالذهاب اليه واخضاعه بالقوة ، ويقصد بالقوة استعمال العساكر النظامية المقيمين بمنطقة المشاشطة ، وهو بذلك يتظاهر أمام بقية الرؤساء الذين بمعيته ، بان لديه القوة التي يستطيع بها اخضاع كل من لا يوافقه الراي ، في حين ان الحكومة الايطالية ترى انه ليس من مصلحتها اثارة المشاكل في المناطق النائية ، بعد ان تمكنت بموجب الصلح من استتباب الامن » .

ويقول الكاتب :

« من الذين لم يحضروا الى طرابلس اثناء الاحتفال بالصلح ، بالاضافة الى عبد النبي بلخير ، لم يحضر مندوبو القبلة (16) وخليفة بن عسكر ، والشيخ سوف أما الباروني فكان حاضرا ومنفردا بنفسه ، وهؤلاء كل واحد منهم له وجهة نظر وسبب لعدم مجيئه ، وأغلب الاسباب هو سوء تصرف الشتيوي الذى كانت تسيطر عليه الانانية وحب الرئاسة ، بينما هو غير أهل لذلك ، وفي هذه الحالة قد تحطم حلم عزام الذى كان يطمع من وراء رمضان في الوصول الى مآربه الشخصية ، أما بالخير فقد تمسك بموقفه في البقاء في ورفلة بعيدا عن مسرح هذه الاحداث ، وبذلك استطاع أن يضم الى جانبه جميع الاشخاص الذين كانوا منشقين عنه من جماعة ورفلة ، وقد تقوى بذلك موقفه بتلك المنطقة » .

---

15) وهذا ما لم يتفطن اليه رمضان الا بعد مدة .

16) اولاد سيف النصر

هذا ما قاله (قابيلي) في قضية الصلح ، اما ما قاله في شان حملة رمضان على ورفلة فسوف نذكره في الفصل الاتي :

اما ادعاء الشيخ الزاوي بان عبد النبي لم يحضر جبهات القتال ، ولم يرسل المجاهدين من ورفلة الى خطوط المواجهة ، فهذا لا يصدقه فيه بشر ، اذ الواقع ان عبد النبي قد حضر بنفسه كثيرا من المعارك ، حسبما اشرنا الى ذلك سابقا ولم ينقطع عن مد جبهات القتال بالمجاهدين من ورفلة سواء في جبهات طرابلس او جبهة الخمس او جبهة مصراتة ، الا بعد الشقاق الذي حدث بينه وبين رمضان الذى تزعم قضية الصلح ، وفرض سيطرته على بقية الزعماء .

وقد كان لورفلة محلتان في المواجهة طوال مـدة الجـهاد ، احداهما يقودها عبد النبي بنفسه ، والثانية يتعاقب على قيادتها بعض رجالات ورفلة حسبما يؤكد ذلك الـرواة .

وعلى اثر هذا الخلاف بين رمضان وعبد النبي ، يظهـر ان سليمان الباروني (17) اصبح يتبرم بحالة البلاد التي اصبحت ميدانا للخلافات والفتن والحروب التي اندلعت بين زعماء المجاهديـن ، وراى بعينيه كيف اصبح الايطاليون يغدقون الاموال الطائلة على البارزين من الناس في قالب مرتبات وهدايا ، وكيف اصبح الناس يتهافتون على التقرب منهم وعلى وظائفهم من اجل المال والجاه ، وقد انتهز الايطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة وبين البدو والحضر من جهة اخرى وبين سكان البلدان المتجاورة ايضا ، كما اشتغل بعض الزعماء المخلصين باخماد نار الفتن

---

17) سليمان باشا الباروني من جبل نفوسة ، رحل الى الازهر عـام 1310 (1892 م) حيث بقي ثلاث سنوات ، وسافر الى الجزائر 1313 هـ (1895 م) وتعلم في ميزاب وتيهرت ورجع لطرابلس 1316 هـ (1898 م) ودخل عضوية (المبعوثان) بالاستانة عام 1910م وجاهد ضد الاحتلال الايطالي منذ 1911 وفي سنة 1912 بعد معاهدة (اوشي) والصلح كان من انصار الحرب فطردته ايطاليا من الجبـل في مارس 1913 فالتجا الى تونس ، ومنها الى الاستانة حيث انعم عليه السلطـان بالباشوية ، ورجع سنة 1916 واليـا وقائدا لطرابلس وكان عضوا للجمهورية 1918 ، وهاجر للشرق عام 1922 مع اسرتـه ومكث في العراق سنوات ثم تحول الى عمان شرقي الجزيرة العربية ومنها ارسل في وفد الى برباي بالهند وفيها توفي اول مايو 1940 وسنه تناهز السبعين .

ومحاولة رتق الفتوق في كل جهة ، ولكن الخروق اتسعت على الراقع ، وعقابيل الفتنة تخطرت في كل مكان فكلما حاول دعاة الوفاق اطفاء نار الفتنة في جهة ، أوقد الايطاليون نارا اخرى في جهة اخرى ، ونفخوا في جمرها من جديد .

قال الاستاذ التليسي متحدثا عن فترة ما بعد القرضابية (18) :

« ففي مجال العمل السياسي عملت (ايطاليا) علـى اثارة الفتنة والانشقاق والانقسام بين صفوف الزعماء ، وسعت الى استمالة بعض الفئات وتأليبها على الفئات الاخرى ، وكان أهم ما توخته في هذه الفترة العمل على احداث انقسام بين مصراتة وورفلة ، وبين ترهونة ومصراتة ، ثم بين زعماء الجبل الغربي ، ولا مناص من الاعتراف بان السياسة الايطالية التي فشلت عسكريا في هذه المرحلة التي أعقبت القرضابية قد نجحت نجاحا كبيرا في احداث الصدع بين الصفوف ، بحيث لم تستأنف العمليات في عهد (فولبي) الا بعد أن أوجدت من ذلك الانقسام قاعدة كبيرة تعتمد عليها عملياتها » .

ولكن هل تلام ايطاليا على ايقاد نار الفتنة بيـن زعماء البلاد ؟ ان مصلحتها تفرض عليها ذلك ، وان واجب كل ايطالـي يجرى وراء مصلحة بلاده ان يسلك ذلك الطريق ، وأن يتشبث بالمثل المعروف (فرق تسد) ولا معنى للسلوك الاخلاقي عند الاستعماريين ، واللوم كله يرجع الى زعمـاء البلاد ، الى رجالنا المسؤولين عن مصلحة وطنهم الذين يسوقهم عدو مستعمر أجنبي الى تحطيم وطنهم وتحطيم أنفسهم معه .

واذا كان الجهل ، والعصبية القبلية المتاصلة في النفوس قديما تخفف شيئا مـن مسؤوليتهم التاريخية العظيمة ، فماذا نقـول اليوم في القرن العشرين ، قرن الثقافة ، والعلوم ، والنهضة الحضارية ، ماذا نقول اليوم في جيلنا ، الجيل العربي والاسلامي الذى يجلب لبلاده كل يوم مذاهب جديدة مستوردة ، مذاهب هدامة ، محطمة لطاقات شعوبنا ، أوقدت الفتنة بين أبناء البلد الواحد فتفرقوا جماعات واحزابا متناحرة ، وجدت فيها الدول الكبرى

---

18) معجم المعـارك ص 58 ـ 59

طرقا معبدة للتداخل السافر في شؤوننا ، والتلاعب بمصالحنا وجعلت من شبابنا طعما لتجارب اسلحتها ومزرعة لمذاهبها وايديولوجياتها ، فهل ياتي يوم ينتبه فيه الشباب العربي لهذا الخطر الجديد فيرفض كل مستورد ، ويبحث عن ذاته الضائعة في وطنه لا في الخارج ؟

امضاء وثيقة الصلح : وتم الصلح في غيبة عبد النبي ، وامضى بالنيابة عنه ــ دون انابة ــ على القانون الاساسي كل من الهادى كعبار والصويعي الخيتوني حسبما يقوله الشيخ الزاوى (19) ، والملاحظ ان هذه النيابة لم تصدر لهما ، لا من عبد النبي ولا من أعيان ورفلة ، ولذلك فان الامضاء بالنيابة عن عبد النبي باطل وهو مجرد ادعاء للتمويه على الناس حتى لا يقال ان هناك معارضين للصلح .

وشرع الزعماء في محاولة لام الصدع ، فارسلوا وفدا الى عبد النبي يتركب من : عبد الصمد النعاس ، والحاج فرج بن ابراهيم المسلاتي ، والصويعي الخيتوني ، واحمد الفساطوى (20) فلم يصلوا معه الى نتيجة .

الاتفاق على اجتماع الخصمين : لكن اهل النيات الطيبة لم ييأسوا من التغلب على عناد الخصمين ، عبد النبي ورمضان ، فارسلوا وفودا اخرى من ترهونة الى كل من عبد النبي ورمضان ، وتركب وفد عبد النبي من : عبد الصمد النعاس ، وعبد السلام المريض ، وتركب وفد رمضان من : الصغير المريض ، والمبروك المنتصر ، وحصل الاتفاق على اجتماع الخصمين في ترهونة ، وفي يوم معين للقضاء على ما بينهما من خلاف ، وارجاع الصفاء والمودة الى نصابهما .

وجاء عبد النبي الى ترهونة في الموعد المحدد ومعه خمسون فارسا ، ولم يحضر رمضان ، وهو خطا حول الحجة الى يد خصمه ، ويظهر انه قرر شيئا في نفسه لا يريد التنازل عنه .

---

19) جهاد الابطال ص 246 .

20) نفس المرجع والصفحة .

بات عبد النبي في ترهونة ، ولما يئسوا من وصول رمضان ، غضب جماعة ترهونة ، وتحولوا مع عبد النبي الى ضريح (سيدي الشارف) في قبيلة (المزاوغة) قرب ترهونة ، وهناك تحالفوا على أن ما يهم ورفلة ، يهم ترهونة ، والعكس ، ونصبوا (جردا) دخلت الجماعة من تحته ت للتحالف ، وختم الاحتفال بوليمة وملعب للفرسان ، وكان في مقدمة ا ترهونة ، في هذا التحالف عبد الصمد النعاس ، والمبروك المنتصر ، و السلام المريض ، والصغير المريض (21) .



الشيخ ابراهيم عبد الصمد النعاس .

هذا التخلف عن الاجتماع بترهونة يعتبر خطأ من أخطاء رمضان لو كان حسن النية وراغبا في المصالحة والرجوع الى الاخوة السالفة التي كانت تربطه مع عبد النبي ، ولكن رمضان كان قرر ارضاخ عبد النبي بالقوة ، وكانت الدسائس الاجنبية والمحلية قد أبعدته عن طريق المصالحة نهائيا .

وقد حاول الشيخ الزاوي تبرير غياب رمضان عن اجتماع ترهونة — على عادته — ملصقا الذنب كله بعبد النبي فقال : (22)

« وارسلوا الى رمضان في سواني المشاشطة ، يطلبون قدومه الى ترهونة للبحث في سوء التفاهم الحاصل بينه وبين عبد النبي ، ولكن رمضان السويحلي وكثيرا من الناس رأوا ان هذه فتنة يرمي من ورائها عبد النبي الى تفريق الكلمة والتحزب ضد رمضان والحقيقة ان ما لجأ اليه عبد النبي

---

21) من رواية الشيخ ابراهيم عبد الصمد النعاس .

22) جهاد الابطال ص 246 — 247 .

من القدح في رمضان ، والتخوف منه ودعوة الناس الى الانفضاض من حوله، لم يكن له سبب ، ولم يحدث بينه وبين رمضان ما يكدر الصفو ، ولا ما يقتضي العداوة ، وعلى ضوء هذه الحقيقة رأى رمضان بك انه لا داعي لهذه المقابلة في ترهونة ، واذا كان ولا بد من التفاهم ، فيصح ان يكون هنا حيث يوجد زعماء البلاد وأعيانها ، فلم يقتنع عبد النبي بهذا ، ورجع الى ورفلة ، ووقف الامر عند هذا الحد » .

واستمر الشيخ الزاوي بعد هذا يشدد النكير على عبد النبي متهما اياه بالانانية وحب الذات ، وبأنه يطمح الى الزعامة بدون تقديم مهرها وهو التضحية الخ ، وهكذا يحاول الشيخ ان يسلب من عبد النبي صفات المجاهد المضحي في سبيل بلاده ، وينكر حتى مشاركته في الجهاد .

منطق غريب ، وتحويل للتاريخ عن طريق الحقيقة ، فهل سمعتم ان تلبية الدعوة للمصالحة تفسر بانها فتنة يراد من ورائها تفريق الكلمة ؟ اليس من العجيب ان يصبح الداعي للمصالحة والوحدة مفرقا للكلمة ومحطما للوحدة بينما يعتبر الذي لم يلب دعوة الوحدة موحدا للكلمة وساعيا في سبيل الصالح العام ؟

هذا منطق لا نعرفه الا عند الشيخ الطاهر الزاوي عفا الله عنه وغفر لـه .

ومن الغريب انه يشدد النكير على عبد النبي حين رفض الحضور لمؤتمر غريان في سنة 1920 بعد موت رمضان ، ويتهمه بشتى التهم ، ولم يلتمس له عذرا مثلما التمسه لرمضان في تغيبه عن اجتماع ترهونة ، اليس هذا تحاملا ينضح بشيء في النفس لا نعرف كنهه ولا نرى له في الاحداث مبررا .

ولا يقف الشيخ الزاوي عند هذا الحد بل انه يقف الى جانب رمضان السويلحي حتى في غلطته الكبرى المتمثلة في هجومه على بني وليد في يوم عيد ، فيبرر فعلته ويجعلها من العمليات التي تمليها مصلحة البلاد ، وسيأتي التعرض لحديثه عن هذه المعركة في محله .

التنبـــه لغدر الطليـــان : ان غلطة مصالحة الايطاليين في مثل تلك الظروف التي تنبه لها عبد النبي من أول يوم وكانت معارضته للصلح سبب في فتنة بينه وبين رمضان ، قد تنبه لها الزعماء بعد ما فات الاوان ، وأصبحت ايطاليا على اتم استعداد لاحتلال البلاد من جديد .

يقول التليسي : (23)

« ولم يلبث ان شعر الوطنيون بعدم الجدية من الجانب الايطالي في تنفيذ ما اتفق عليه ، فأخذ الوضع في التدهور ، والعودة الى ما كان عليه ، حيث هاجم خليفة بن عسكر مركز الاتصال بنالوت ، واجلى كل افراده في 15 مارس 1919 ، وفي 28 مارس 1919 أجلى رمضان الشتيـــوي الحامية الايطالية بقصر احمد » .

ومن بين من تنبه لغدرهم المرحوم رمضان السويحلي ، حسبما يرويه الشيخ الزاوي بقوله : (24)

« احس رمضان ــ بعد صلح بنيادم ــ بحركة من الطليان ، لا يشك احد أنهم يقصدون من ورائها افساد هذا الصلح ، وقد وجد الطليان من اصاخ لدعوتهم ، واتخذوا منهم اداة للافساد الخ » .

ويجعل الزاوي هذا التنبه من طرف رمضان هو الذي دفعه الى توسيع نفوذه واخضاع بعض البلدان لحكمه ، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه النقطة في الفصل الآتي ان شاء الله .

---

23) معجم المعـــارك ص 61 .

24) جهاد الابطـــال ص 279 .



الفصل السادس

عبد النبى ورمضان وجها لوجه

قال لي أحد الاصدقاء الليبيين المثقفين المطلعين على تاريخ بلادهم واحداثها

« لو اتفق الزعيمان ، رمضان وعبد النبي في ذلك العهد ، ولم تفرق بينهما دعاة الشر لما قدر لايطاليا أن تفرح باستعمار طرابلس ، ولو استنجدت بقوى العالم ، فرمضان كان حلس حروب ، وقرم معامع ومعارك ، سريع النجدة ، قوي القلب ، صعب المكسر .

أما عبد النبي فكان صندوق دهاء ، واسع الحيلة ، حاد الذكاء ، واسع الاطلاع على السياسة ، لا يطمع قرن أن ينال منه ، الى جانب الشجاعة ورباطة الجاش في المواقف الحاسمة .

فلو اتفق هذان الزعيمان وقدر للاخوة التي كانت بينهما ان تبقى محفوظة من أحداث الزمن والسنة الفتن ، واذعن رمضان لصديقه في المواقف السياسية والتنظيمات الادارية ، واذعن عبد النبي لصديقه في الميادين الحربية وقيادة الجيوش ، لما استطاعت اي قوة ان تتغلب على طرابلس في ذلك العهد » .

هذه كلمات حق ، صادرة عن عارف بشؤون بلاده في ذلك العهد فجميع الخلافات الاخرى التي حدثت بين زعماء البلاد كان في الامكان التغلب عليها

بالحسنى ، ولكن لم يكن في الامكان التغلب على خلاف عبد النبي ورمضان ، لقوة العصبية التي تحمي كلا منهما ، ولاعتداد عبد النبي بثقافته وذكائه وواسع اطلاعه ، ومهارته في السياسة ، ولاعتداد رمضان بشهرته ، وبما لديه من جيوش واسلحة ، واعتماده على انصار اقوياء .

فترة محزنة : وكانت فترة ما بعد صلح بنيادم 1919 من اتعس الفترات التي مر بها التاريخ الليبي ، فترة سوداء يتجهم المؤرخ العربي الحديث عنها ، اذ « شهدت تأزما في العلاقة بين رمضان الشتيوي وعبد النبي بلخير ، كما شهدت زيادة سيطرة الشتيوي على الوضع ، وبروزا لزعامته على المسرح السياسي الوطني » (1)

فلم تستطع الحكومة الوطنية التي تكونت بعد الصلح ، أن تصنع شيئا ، وكل ما تقرره لا ينفذ لان الزعامات كانت تتناحر داخلها ، وكانت سلطتها على البلاد سلطة خيالية لا اثر لها ، وذلك غير مستغرب من حكومة في جمهورية لها اربعة رؤساء .

وخير من صور تلك الفترة من المؤرخين الاستاذ خليفة التليسي في كتابه (بعد القرضابية) الذي ننقل منه الكلمة التالية على طولها ، فهي تلخص لنا الوضع الحقيقي للبلاد في ذلك العهد بصدق واخلاص عظيمين :(2)

« يلاحظ أن هيئة الاصلاح المركزية لم تكن حكومة بالمعنى المفهوم للحكومة ، وأن كثيرا من المناطق قد ظلت غير خاضعة لحكمها ونفوذها ، كما ان بعض الزعامات قد ظلت محافظة على موقفها الفردي ، وكانت تستقل في كثير من الحالات بتقدير الوضع السياسي على اساس جهوي ، وبما تقتضيه مصلحة منطقتها ، او مقاطعتها ، واحيانا قبيلتها وعشيرتها ، مما انعدم معه عنصر الوحدة الوطنية الملزمة بالموقف الموحد ، خاصة في هذا الظرف العسير ، بحيث يعد الخروج عليه ، او التخاذل عنه خيانة تحسب على الخارج او المتخاذل ، وكانت هذه من الثغرات التي نفذ منها الايطاليون

1) معجم المعارك للتليسي ص 61 .
2) بعد القرضابية ص 131 ــ 132 .

واستطاعوا استغلالها أحسن استغلال ، وقد فطن الوطنيون الى الخطر الكامن وراء انعدام توحد القيادة ، ولكن ذلك كان بعد فوات الاوان ، وقد نتج عن ذلك تعدد في المواقف ، واختلاف في وجهات النظر ، وترك الامر للاجتهاد الخاص ، يحدد الموقف ويرسم الطريق ، فرأينا بعض الزعماء يعارضون — عن اجتهاد خاص — المقاومة المسلحة لايطاليا عقب نزولها بقصر احمد ، ورأينا آخرين يقفون على الحياد ، كأن الامر لا يتصل بهم من قريب أو بعيد ، ورأينا بعضهم يتشبث بأن يكون صاحب الكلمة النهائية في ابرام الهدنة ، نظرا لان الاعتداء واقع على أرضه (بالمعنى الجهوي) ، وهكذا تحددت مواقف الزعماء في تاريخنا في كثير من الحالات على أساس جهوي ، وكان لكل جهة صاحب يتولى أمرها ويقرر مصيرها ويحدد موقفها ، وانعدام القاعدة السياسية قد عرض مواقف الزعماء وشخصياتهم لكثير من الخلخلة والاهتزازات الامر الذي لا تكاد تخلو معه سيرة أى زعيم من زعماء ذلك العصر من المنافذ أو المطاعن .. وما من شك في أن هذه الزعامة الاقطاعية (بالمعنى السياسي) او الجهوية ، كانت نكبة كبرى في تاريخنا الحديث بما جرته من فتن وصراعات ومنافسات واتهامات وانقسامات ، ونزعة استلالية في تقدير الموقف بما تقتضيه مصلحة القوم او العشيرة في تلك الفترة الحرجة من تاريخ البلاد التي كانت تستدعي وحدة في المواجهة ، ووحدة في الكلمة ، ووحدة في الهدف .

وليس في وسع باحث أو مؤرخ أن يتجاهل العامل القبلي أو العشائري او الجهوى أو العنصرى احيانا ، في تكييف مواقف هؤلاء الزعماء بما يشكل في النهاية وعند اللحظة الحاسمة رجوعا بهم الى تقدير هذا العمل وتغليبه على كافة العوامل حتى ولو كانت وطنية ، وقد كان ذلك نتيجة من نتائج ضعف الوعي الوطني » .

أسباب الخلاف : يظهر ان اسباب الخلاف لا ترجع الى مسالة الصلح الظاهرية ، وانما ترجع الى ما أبعد من ذلك ، الى طموح رمضان السويحلي للتفرد برئاسة الجمهورية بعد الصلح ، والى تخوف عبد النبي من هذا الطموح، اذ ربما دفع رمضان الى دكتاتورية تحطم كل زعامة تقف في وجهها ، ولذلك

اقترح عبد النبي للرئاسة سليمان الباروني الرجل الهادىء الذي لا يخشى جانبه ، يقول الشيخ الزاوى في طموح رمضان الذى يعلله — حسب عادته — بأنه في مصلحة البلاد : (3)

« وقد أراد رمضان أن يتدارك هذه الحال (يقصد غدر الطليان وعدم وفائهم للصلح) قبل أن يتفاقم خطبها بتوسيع نفوذه واخضاع بعض البلدان لحكمه ، ليمكنه الضرب على أيدي بعض انصار الايطاليين ، وليفتح الطريق بينه وبين أنصاره في غريان والجنوب ، ومن غريان يسهل عليه الاتصال بأنصاره في السواحل وجبل نفوسه » .

يقصد بأنصاره في غريان : خليفة بن عسكر الذي كان من أكبر أنصار رمضان .

ويقول قرازياني : (4)

« كان رمضان يرى فشل اطماعه وطموحه في السيطرة على ورفلة وحكمها ، وكانت هذه المنطقة في حيازة عبد النبي بلخير الذى كان ، رغما من وقوفه بعيدا ، وعدم قبوله الدستور ، يبدي علامات واضحة على عدم ائتلافه بنا ، ولم يكن قد قبل الخضوع للزعيم الشتيوى » .

والواقع ان البلاد في تلك الفترة كانت في أشد الحاجة الى توحيد الكلمة تحت قيادة رجل له مدارك الباروني وهدوءه وحياده ، وذكاء عبدالنبي ودهاؤه ، وصلابة رمضان وقوة جاشه ، ولكن مثل هذا الرجل كان مفقودا في ذلك العصر ، وكل من حاول من الزعماء أن يتطلع الى الانفراد بالحكم في ذلك العهد ، انما يحاول المستحيل ، فكان من اللازم التضحية بنصيب من الانانية ، والنعرة القبلية ، لتوحيد الشعب في صف المقاومة .

تداخل أهل الصلاح : ولما عجز الزعماء والاعيان عن اطفاء هذه الفتنة قبل اندلاع نارها بين الزعيمين الاخوين ، تداخل أهل الصلاح من الفواتير

3) جهاد الابطال ص 279 .

4) نحو فزان ص 29

المنتسبين الى الولي الصالح سيدي (عبد السلام الفيتوري) من سكان زليطن فقدم منهم وفد الى بني وليد (5) يضم نحو 80 شيخا (6) فاستقبلهم عبد النبي استقبالا يليق بمقامهم — وعبد النبي مشهور بتقديره للصالحين ، وخشيته منهم ، وكثرة زيارته لاضرحتهم — وأغدق عليهم من كرمه ما هم اهـل لـه .

وخاطبوه في مصالحة رمضان فأظهر استعداده لذلك ، وأعلن أنه رهن اشارتهم ومطيع لاوامرهم ، ويدعي بعض الرواة أنهم طلبوا منه مصاحبتهم الى زاوية زليطن وهناك يدعون رمضان لمقابلته فأجابهم بأنه مستعد لذلك على شرط أن يعطوه عهد الله ان يكون في حمايتهم فلا يصيبه شيء من رمضان ، ويؤكد هؤلاء الرواة بان الفواتير قد ارتبكوا أمام هذا التعهد المطلوب منهم ، لانهم لم يأخذوا عهدا سابقا على رمضان ، وخافوا العاقبة ، وصاح اثناء الاجتماع الشيخ الصالح : خليفة قريرة من ورفلة .

— الفحل لا ينعزل من ابله

وهو يقصد أن عبد النبي لا يمكن أن يخرج من ورفلة ، فوافقه شيوخ الفواتير ، ومدوا أيديهم للدعاء :

— ان من اجتاز من الزعيمين حدود بلاده الى بلاد الثاني ، قاصدا الشر يحطمه الله . والعبارة كما يرويها الرواة عن رئيس الفواتير هي :

— كنا نريد أن يذهب معنا عبد النبي لكـن لا نعلم ما سيقع ، ولذا فسنضع حدا بين الجانبين (ومن فات حده يكن شاة العيد) « واللي فات الحدود ، فيه دعوة الجدود » وردد الناس معه هذه العبارة الاخيرة ، وقرئت الفاتحة ، وشيع عبد النبي وفد الفواتير مكرمين مبجلين حتى (المردوم) وهناك خط رئيس الفواتير خطا في الارض وردد العبارة السالفة « اللي فات الحدود فيه دعوة الجدود » ويؤكد بعض الرواة أن هذا الوفد قابل رمضان وأبلغه نتيجة سعيهم لدى عبد النبي فقابلهم — حسب قول الراوي —

5) رواية الحاج علي البراني والحاج عبد الحميد الغطاس ، والحاج عبد الله معتوق .
6) رواية عبد الله معتوق ، وفي رواية الشيخ المهاجر قريرة انهم نحو المائـة .

بغضب شديد قائلا : كنت ارجو ان تحملوه معكم لا ان تشتغلوا بالدعاء والدروشة .

واستخدم رواة الاخبار ــ بعد ذلك ــ دعاء الفواتير المشار اليه في تعليل انكسار رمضان وموته في بني وليد ، كما استخدموا كثيرا من الاحلام والارهاصات ، والادعية في نفس الموضوع ، وستأتي الاشارة الى بعضها فيما ياتي :

سعاة الفتنة : كلما ذر قرن فتنة بين شخصين الا اغتنمها بعض دعاة الفتنة من الصيادين في الماء العكر ، ومن الاعداء الدساسين ، ليزيدوا نارها اشتعالا ، تدفعهم لذلك ترات قديمة ، واحقاد كامنة لم تساعدهم الظروف على اظهارها ، او التخلص منها .

فلم يكد رمضان يرجع بجيشه الى مصراتة ، حتى اتصل به جماعة من ورفلة كانوا حاقدين على عبد النبي ، فنقلوا له الاخبار الكاذبة ، ورووا اليه كلاما لم يفكر فيه عبد النبي حتى مجرد تفكير ، وحرضوه على غزوه ، ووعدوه بالنصرة والمساعدة ، وهونوا عليه أمر عبد النبي ومن معه ، وأبلغوه كذبا أن غالب ورفلة ستنتهز فرصة الغزوة للانتقاض على عبد النبي ، وفي مقدمتها قبائلهم التي ينتسبون اليها .

وفي مقابل هذا كان عبد النبي يتصل بجماعة من مصراتة كانوا حاقدين على رمضان السويحلي لترات قديمة ، ويبلغونه أخبارا زائفة ، وأقوالا ينسبونها لرمضان ، تثير الحفائظ وتضيف الى النار حطبا ، من ذلك ما يروونه عن (العوراني) احد ضباط رمضان المقربين انه قال سآتيكم بعبد النبي مقيدا وسوف يسقي عليه المصراتيات الماء ، الى غير هذه العبارات الطائشة التي ينطق بها غير مسئول ، او يلفقها غير مسئول وينسبها الى المسئولين .

ولا ننسى الشعراء الذين يهرعون الى كل فتنة قبلية فيشعلوا نارها ويضاعفوا اوارها ويذكوا لهيبها ، دفاعا ــ في زعمهم ــ عن القبيلة وعصبية للمتبوع ، وقد سمعت من رواة هذا الشعر الشعبي ألوانا تحاشيت اثباتها في هذا السفر .

اعداد الحملة : اخفقت جميع المحاولات لاطفاء نـــار الفتنة ، ووقف الزعماء ينتظرون فـــي اسف والم ما ستكشفه الايام مـــن احداث ، وصلت الاخبار المؤكدة ان رمضان الشتيوي بصدد اعداد حملة قويـــة لتاديب عبد النبي والقضاء على عناده ، واخضاع ورفلة الـــى سلطته ، وبذلك يحقق احلامه في امتلاك النفوذ المطلق في طرابلس والوقوف امـــام ايطاليا براي واحد وجيش موحد .

اما عبد النبي فيظهر انه كان ـــ حذرا ـــ على عادته ـــ ولكنه يظهر عدم الاكتراث ، فاكتفى بارسال نحو خمسمائة فارس بقيادة الهادي بن يونس فنزلوا بالمكـــان المسمـــى بـــ (الفريتش) على مسافـــة نحو 45 كم من ترهونة (7) .

ويؤكد راو آخر ان المكان الذي نزلت به محلة الهادي بن يونس هو غدير (كاف حوية) بوادى (تماسلة) كما ارسل مجموعة اخرى من الحراس لتنزل في (بني تليس) اسفل الوادي .

وكان عبد النبي يتوقع ان يسلك رمضان بحملته طريق الوادى الذى يمر بمكان محلته (بكاف حوية) ، ولم يجل بخاطره ان يتجرا رمضان على سلوك طريق آخر لا ماء فيه في قيظ الصيف المحرق ، لذلك اهمل عبد النبي حراسة القلعة ، ونام مطمئنا حتى دهمه رمضان .

أعد رمضان حملته وجهزها بجميع المعـــدات ، من اسلحـــة جديدة ، ومعدات جديدة ، وخيام (قواطين) جديدة ، حسبما يؤكده الرواة .

وكانت الحملـــة تتكون من جيش قوي يعد الفـــي مقاتل (2000) ، وقسم الجيش الى قسمين : قسم الخيالة وقـــاده رمضان بنفسه ، وقسم الرجالة وقاده الضابط (ابراهيم عوض) المصري ، واغلب الجيش ، وخاصة الخيالة ، هم من الجيش النظامي الذى يشرف الطليان على تمويله بالاسلحة والذخائر ويدفعون مرتباته .

---

7) روايـــة الشيخ علي الجـــدى .

وسلك الجيش طريق الصحراء مع (العرقوب) الواقع فوق الوادي ، وهي ارض حرة لا ماء فيها .

ويقول الرواة « ان محلة اخرى يقودها حمد الصويحلي شقيق رمضان كانت سبقت الى منطقة السدادة لمطاردة المسمى (عبد القادر المنتصر) الذي كان في جماعة من المغامرين ، يغيرون من حين لاخر على ارزاق رمضان واتباعه ، انتقاما لاخيه ابي القاسم المنتصر الذى كان قتله رمضان في حادثة مشهورة اشرنا اليها في الفصل الرابع واتى على تفاصيلها محمد مسعود فشيكة في كتابه (8) ، وقضى حمد السويحلي على عصابة عبد القادر ، وقصد من هناك بني وليد حسب تعليمات من رمضان .

وكان عبد القادر هذا التجأ الى بني وليد لما سمع بالخصومة المندلعة بين عبد النبي ورمضان ،ولكن عبد النبي طرده من بلده ، فذهب مع عصابته الى منطقة السدادة .

السلاح الجديد : تحدث الرواة عن اهمية تسليح هذه الحملة ، فاكدوا انها كانت مسلحة تسليحا هاما وان سلاحها وعتادها وذخائرها وحتى خيامها كله جديد خارج من صناديقه ، حسب تعبيرهم ، فمن اين جاء هذا السلاح ؟ هنا تتهم ورفلة رمضان الشتيوي بانه تلقى سلاح الحملة من الايطاليين ، مستدلين بالاسلحة الايطالية التي غنموها من الحملة.

قال لي احد الرواة : « ان رمضان طلب من الايطاليين ان يمدوه بقوة لتطويع عبد النبي ، وذلك ما اقر به (قرازياني) (9) واذا انكر الايطاليون امداده فانما هم يتملصون بذلك من المسئولية ، ولولا انهم امدوه فعلا بما طلب ، لما تجرأ رمضان على مهاجمة بني وليد » .

وليس بغريب في تلك الفترة أن يتلقى رمضان الاسلحة من الايطاليين ، ولو بدون طلب منه ، فقد كانوا يسعون جهدهم لاثارة الفتنة بين الزعماء ،

---

8) رمضان السويحلي ص 29 وما بعدها

9) يشير الى قول قرازياني في كتابه (نحو فزان) ص 29 : ان هذا الاخير (رمضان) الذي استبد به الحقد على منافسه (عبد النبي) كان يدعي بان حكومتنا قدمت له الوسائل اللازمة للزحف على بني وليد .

وهم يدركون أن تسليح مثل رمضان يجعلـه أكثر جراة على تحقيق طموحه في السلطة .

ولم يبق اليوم شك في أن الحملة كانت مسلحة بالسلاح الايطالي ما دام رمضان قد استخدم فيها الجيش النظامي المسلح بالسلاح الايطالي ، والحاصل على مرتباته من الخزينة الايطالية .

وبالرغم من معارضة الوالي الظاهرية فـي اعداد الحملة ـ حسبما يقول (قابيلي) ـ فان الوثائق تدل على أنها كانت بموافقة السلطة الايطالية المتسترة وراء رمضان ، ويؤيد هذا ما جاء في تقرير الضابط محمد شرف الدين الى رؤسائه ، وقد صاحب الحملة مع رمضان فـي الجيش النظامي وأسر حيث يقول : « صارت حركتنا من مصراتة بموجب تلغراف رسمي ».

ولا شك أن التلغراف الرسمي صادر من القيادة العليا للجيش النظامي ، ولا يمكن ان تتصرف القيادة التي يشرف عليها الايطاليون بدون علم الوالي .

ويحسن بنا أن نورد هنا ما قاله (قابيلي) في كتابه خاصا بالحملة :

« وكان رمضان يظهر التقرب الشديد الى جانب الوالي لكي يساعده ويقدم له العون في تجهيز الحملة التي ينوي القيام بها على ورفلة ، ولكن الوالي (منزنجر) تساوره الشكوك في نجاح هذا المسعى الغيـر مضمون العواقب ، وقد اقترحت رومة على الوالي بان لا يذعن لمطالب رمضان ، بل له (أي الوالي) ان يستغل القوى المضادة يردع بها رمضان ويحفظ التوازن في المنطقة ، ويقول رمضان بأنه بعمله هذا ، يرمي الى اخضاع المنشقين عن سلطة الحكومة الايطالية » .

ويضيف الكاتب :

« ان رمضان الشتيوي قد وضـع نفسه تحت الطلب لخدمة الحكومة الايطالية وتلبية مطالبها ، وأعلن ذلك صراحة وبمحض ارادته ، بخلاف عبد النبي بالخير الذي اتخذ موقفا بعيدا عنا ، حتى وان كان هذا الموقف غير متشدد ، الا انه لم يترك الفرصة في قبول مبدأ تبادل الآراء ، طالما تكون هذه الاراء تخدم المصلحة التي يعمل من أجلها ، وكان عبد الرحمن عزام مسيطرا

ومهيمنا على المجلس المشكل من ثماني زعماء الذين سبق ذكرهم (10) وكان في نفس الوقت يتظاهر بالروح المسيرة للحزب العربي وهو حزب الاصلاح الوطني ، كما يمثل لسان حال جريدة اللواء الطرابلسي ، هذه الصحيفة التي ذكرتها دائما صحفنا الايطالية بألقاب التقدير لكل ما تناولته من مواضيع لها صلة بهذا المجلس وبأعضائه ، حيث توخت دائما وجهة نظرنا ، وهي التي تنطق بالحقائق ، وقد أبدت هذه الصحيفة رغبتها في التعاون معنا بما يخدم المصلحة المشتركة ، علاوة على ذلك فقد كان عزام يبث الفتن ويحيك المؤامرات بين أعضاء المجلس ، وذلك لغرض الوصول الى أغراضه الخاصة »

ويقول الكاتب أيضا :

« تقدم بالحاح بعض الاعضاء من المجلس العربي المصراتيين بطلب الى الوالي (منزنجر) محاولين اقناعه بوجوب الموافقة على اعداد وتجهيز قوة للحملة على ورفلة ، وكان أغلبية هؤلاء الاعضاء قد قرروا ذلك فيما بينهم في بادىء الامر ، ثم لم يلبثوا أن أعلنوها صراحة في جلسة عامة ، وطالبوا بطرحها للتصويت ، غير أن طلبهم هذا رفض من قبل الوالي (منزنجر) رفضا باتا ، حيث ضمن هذا الرفض في رده على الاعضاء ، وبصورة حادة ، وكان الوالي قد استاء جدا من موقف هؤلاء الاعضاء الذين تظاهروا بصورة جلية بعدم تعاونهم مع الحكومة ، وقد اتضحت كذلك مناوراتهم ، الامر الذي جعل الوالي ينتبه لهذه الالاعيب الماكرة والمناورات الخادعة التي تظاهر بها هؤلاء الاشخاص مما دفعه الى أن يعيد النظر في سلوكه معهم ، نظرا لأنهم فسروا ايحاءاته الهادفة الى الحل السليم ، عكس الحقائق التي كانت تنطوي عليها تلك الايحاءات التي أبداها في المجلس باسم الحكومة ، مطالبا الاعضاء بوجوب الأخذ بها ، وكان الوالي متمشيا مع القانون الاساسي المتفق عليه ، وهنا رفع الوالي الجلسة الى اليوم التالي .

وفي اليوم التالي عقدت الجلسة ، وواصلوا بحث المواضيع التي سبق بحثها ، ولما راى الوالي شدة تمسك الاعضاء بمطلبهم وبصورة خاصة

---

10) هم اعضاء الحكومة الطرابلسية المنبثقة عن الصلح .

رمضان الشتيوي ، اعلن لهم الوالي تمسكه بنصـــوص القانون الاسـاسي ، وخاصة تلك النصوص المتعلقة بالحل السلمي ، وقد ترك رد الوالي هذا على الاعضاء شيئا من الاستياء والنفور ، ورغم هذا فقد كان الوالي (منزنجر) يأمل في التغلب على الازمة ، وخاصة ما يتعلق منها بمشكل اعداد الحملة على ورفلة ، وقد استطاع الوالي ان يهدىء رمضان ، معلنا بأنه قد يشكل حالا لجنة لارسالها الى بني وليد مكونة من الاعضاء : المريض وثلاثة اعضاء من مستشاري الحكومة ، وذلك لدعوة عبد النبي للحضور الـــى طرابلس ، وبذلك استطاع الوالي أن يقول بأنه قد خرج من هذه المشكلة بهذه الوسيلة ، وفي نفس الوقت كان الوالي قد عين رمضان الشتيـــوي محافظا لمقاطعة مصراتة » .

وهكذا يردد (قابيلي) ويلح ، ان الوالي الايطالي كان معارضا للحملة ، كأنما يريد أن يمحو شكوك القارىء فيما جاء في كتابه ، ولكن هذا لا ينفي ان الحملة كانت بموافقة الوالي ، لان الجيش النظامي قد اشترك فيها ، ولا يمكن أن يقال ان رمضان استخدم هذا الجيش بدون علم القيادة فتقرير شرف الدين يصرح بأنهم تلقوا تلغرافا رسميا يأمرهم بالذهاب مع الحملة ، وهو صادر بلا شك من القيادة التي يشرف الايطاليون على حظوظها .

المعركة : سأقتصر في وصف المعركة على روايات الذين حضروها من ورفلة ومن جيش رمضان .

يقص الـــرواة : ان رمضان قاد الفـــي مسلح ، فيهم قـــوة عتيدة من الخيالة (11) في المقدمة يتبعها الراجلون ، وخلفهم فصيلة المدفعية ووراءها قافلة التموين ، واسرع في الطريق العالية التي تصل الى بنـــي وليد من الشرق مع (العرقوب) ، تاركا خلفه محلة أخيه حمد السويحلي لتلتحق به فيما بعد .

وخطة رمضان هذه ، خطة سليمة لو اعتمدت على جلب المياه الكافية ، فهو يريد الوصول الى بني وليد فجأة ، اذ كان يعلم ان القلعة غير محروسة ،

---

11) في تقرير شرف الدين أنها 751 فارسا من السواري .

ويذكر الرواة انه ارسل في اليوم السابق للهجوم جاسوسا يسمى (بانينة) دخل القصر قبل المغرب ورجع الى رمضان ليخبره ان القصر خال ، وان عبد النبي وحده مطمئنا ليس معه الا خادمه (مرسال) واثنان من الحراس (12) واسرع رمضان بخيله ليصل الى بني وليد ليلة عرفة التاسع من ذي الحجة ، وكان ينوى ان يبدأ هجومه منتصف الليل بيد ان الادلاء قد اضلوا الطريق ، ولم يفطنوا لغلطتهم الا عند وصولهم الى وادي (غبين) جنوب بني وليد ، فرجعوا الى الشمال ولم يصلوا الى قصر بني وليد الا مع الفجر .

وسبق المسمى (العوراني) احد ضباط رمضان ، وكان يعرف قصر بني وليد سابقا ،ومطلعا على جميع مسالكه ، ولم يلق صعوبة في التسلل الى غرفة نوم عبد النبي المقابلة لمدخل المدرج وقيـــل انه قتل الحارس الخارجي المسمى (مصباح سويسي القائدي) بخنجر قبل دخوله ، وكان (مرسال) حارس عبد النبي ينام في الغرفة الاولى على اليسار من مدخل المدرج فلم يتفطن للحركة .

وقف العوراني امام غرفة نوم عبد النبي ولا يـــزال الظلام سائدا ، فاستيقظ عبد النبي وقال له : من انت ؟ قال انا العوراني ، ومعي شيوخ الفواتير يطلبون مقابلتك خارج القصر ، فادرك عبد النـــبي في الحال ان رمضان قد وصل بجيشه وحاصر القصر ، فتظاهر بالاستعداد للخروج لمقابلة الفواير وفي سرعة مباغتة صفعه على وجهه صفعة قوية اسقطت بندقيته وكان عبد النبي قوي البنية متين العضلات وأمسكه بقوة وصاح في الحارس (اضرب عدو) ولم يتمكن الحارس مرسال من اطلاق النار عليه لعدم وضوح الرؤية فرمى به امام باب المدرج ، فاندفـــع هاربا واطلـــق الحارس عليه الرصاص ولم يعرف اين ذهب بعد ذلك .

اما عبد النبي فقد كانت ازاءه بندقيتان ، فصار يأخذ احداهما ويطلق النار من النافذة على الفرسان ، واشتهر بسرعته في اطلاق الرصاص ، وبأن رميته لا تخطيء الهدف ، وكلما ارتفعت حـــرارة حديد البندقية تركها واخذ

---

12) رواية عبد اللـــه معتـــوق .

الثانية ، ويقول الرواة ، ان يديه قد التهبت من حرارة البندقيتين حتى لفهما في الخرق ، وكان مرسال يملأ لسيده البندقيتين بالخرطوش ، وتفطن الناس فوصل بعضهم الى عبد النبي ، فأمرهم بالنزول الى السجن في الحوش السفلي واطلاق المساجين وتسليحهم والصعود بهم للمشاركة في المعركة الى جانبه ، وكانوا اربعة عشر سجينا ، فاستعان بهم على ابادة كثير من الخيل المهاجمة وفرسانها ، حتى اضطر عدد من الفرسان الى أن يلتجئوا الى المخازن السفلية الواقعة تحت غرفة المدافعين ، فامر عبد النبي بنقب السقف فوقهم ورميهم من هناك ، وهكذا قتل عدد منهم مع خيولهم داخل المخازن .

ولم يشتغل عبد النبي بالدفاع عن نفسه فقط ، بل كان عقله الجبار يفكر في كل شيء ، ولم تشغله المحنة عن اعداد ما يلزم لتقوية الدفاع ضد المهاجمين فأصدر أوامره بسرعة .

1 ــ بارسال مهرية البريد الرابضة بجانب القصر الى الهادي بن يونس قائد محلة (كاف حوية) يأمره بالاسراع بالرجوع للمشاركة في حماية البلد ، وكان يركبها رجل اسمه (العبيدي) .

2 ــ بهدم الروشن الكاشف على الوادى حتى يستطيع رجال ورفلة المتجمعون هناك ، الصعود الى القصر لتقوية دفاعه .

3 ــ بحراسة جميع الآبار ومنع الجيش المهاجم من امتلاكها .

ولم تكد قرى ورفلة تسمع الطلقات الاولى حتى هب الرجال بأسلحتهم وانحدروا نحو القصر الذي يدافع عنه عبد النبي ورفاقه ، وتجمع الرجال تحت الزيتون بالوادى ، ووصلتهم اشاعة ان (عبد النبي قد قتل) ، ولكنهم لم يصدقوا ذلك ، لان الطلق لا يزال مستمرا ، فلو قتل عبد النبي لسكت (البارود) ، وأطل عليهم عبد النبي بنفسه من روشن الغرفة ووصلتهم صيحاته ومن معه « قدموا يا رجال ورفلة ، ودافعوا عن بلدكم » وتسابق بعض الحماة الى القصر بينما صعد بعضهم الى الجنوب في حركة التفاف ، وصمد آخرون حول آبار الماء ، ووصلت مجموعة الحراس التي كانت رابضة في (بني تليس) وشاركت في المعركة .

واستمرت المعركة ضارية كامل يوم عرفة (وحجة) ووصـــل الهادي ابن يونس في فرسانه الخمسمائة عشية ذلك اليوم ، وحالا دفعهم للمعركة.

وكانت مدفعية رمضان تطلق حممها على منزل عبد النبي بقصر الصيعان غربي القلعة ، ويتولى المدفعية حسب بعض الـرواة رجل من ورفلة اسمه (مصباح سديرة) كان يعمل في جيش رمضان .

وفي آخر ذلك اليوم ظهرت بوادر انهزام محلة رمضان ، فقد كان حماة البلد يزداد عددهم ، بينما يتناقص عدد المهاجمين ، وكان أهل البلد يملكون موارد الماء ، بينما يفتك العطش بالمهاجمين الذين اصبحوا ابتداء من ليلة العيد ، يسلمون أسلحتهم للنساء في مقابل شربة ماء ، وكل من رفع منهم بندقيته فوق رأسه مشيرا الى الاستسلام يتقدم الى (الورفليات) اللواتي يحملن الماء الى رجالهن ، فيتسلمن بندقيته ويسقينه ويدفعنــه أسيرا الى رجالهن .

وهكذا بدأ استسلام المهاجمين جماعة اثر جماعة ، ورغم ذلك فالمعركة لا تزال بقاياها مستمرة ، وكان رمضان قد اتخذ من غرفة بمنزل الهادي بن يونس شرقي القصر مركز قيادة يصدر منه أوامره لجيشه ، وفي تلك الليلة أدرك رمضان فشل حملته نهائيا ، وعرف أن آماله قد تحطمت ، فأشار عليه بعض رجاله بالفرار ما دام في امكانه النجاة ، فقال فـــي شهامته المعهودة « باي مقتول ولا باي هارب » .

موت رمضان : وفي صباح يوم عيد الاضحى 10 ذي الحجــة 1338 الموافق 24 اوت 1920 قرر رمضان الاستسلام فارسل ورقة تحمل هذه الكلمة بخطه :

(عزيزي عبد النبي ، العفو عند المقدرة من شيم الكرام) (13) .

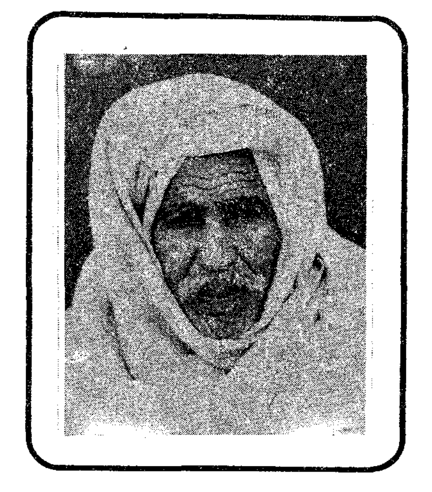
وأبى ان يستسلم الا لاحد اثنين : سعد بن عطيـــة ، او الهادي بن يونس ، فارسل اليه عبد النبي ! الهادي بن يونس ، ومسعود العريبي ، سلم لهما سلاحه وامر ضباطه بالاستسلام .

---

13) رواية : محمد شرف الدين هويدي الرياني .



المرحوم الهادي بن يونس .



الشيخ مسعود عريبي .

واجهة منزل الهادي بن يونس حيث استسلم رمضان السويحلي .

ويذكر الرواة ان الهادي بن يونس كان يخشى على رمضان من نزوة رجال ورفلة فالبسه (برنوصا) ليخفي امره على المحاربين ، وسار به في طريق القصر حيث يوجد عبد النبي ، ولكن الحماة استرابوا في امره فاقتربوا من صاحب (البرنوص) فعرفوه وصاحوا :

ــ أما والله لو وصل الي عبد النبي ما قتلــه ، والله لا نجا منا هذا الذي افسد عيد المسلمين ، واطلقوا عليه الرصاص ، فقال رمضان :

ــ خلاص يا ورفلة (14)

وسقط مضرجــا بدمائه بــجانب (دار عبد المطلب) شرقــي القصر وتكدست حوله جماعات من الحماة يتفرجون على جــثة قائد الجيش الذي هاجم بلدهم ليضعه تحت سلطته فلقى مصرعه دون ذلك .

وهنا يختلف الرواة : فبعضهم يؤيد الرواية السابقة وهــي ان قائل الكلمة :

ــ لو وصل الى عبد النبي ما قتلــه .

هو احد رجال ورفلة الذين قتلوه في الطريق ، ومن هؤلاء محمد شرف الدين هويدي (15) احد ضباط محلة رمضان حيث يقول :

« جاء الهادي بن يونس فقام معه رمضان ، وكنت معهم ، وفي الطريق قامت ضجة وعلمت ان احد ابناء ورفلة قال : اذا وصل الى عبد النبي فلن يقتله ، وأطلقوا عليه النار فصرعوه ، والتجأت انا ومن معي الى القصــر فقدمونا الى عبد النبي ، وكان يعرفني فاستقبلنا بترحاب الخ » .

وبعض الرواة ينسب الكلمة الى عبد النبي نفســه حين وصله نبــأ

---

14) رواية الحاج عبد الحميد الغطـاس .

15) محمد شرف الدين هويدي الرياني ولد 1890 وتعلم في يفــرن ثم بالمـدرسة الابتدائية العسكرية ، ثم الرشدية بطرابلس ، ثم الكلية العسكرية بالاستانة ، وتخرج ضابطـا وشارك في حــرب 1914 ، ثم ارسل مساعدا للسيد احمــد الشريف في بــرقة ، ثم رجع للاستانة ومنها ارسل الى طرابلس لينضــم الى جيش الجمهورية عام 1918 وهو الان موظف بادارة قدماء المحاربين بطرابلس (1977) .

استسلام رمضان فقال : اذا وصلني لن يموت ويقولـون : ان كلمتـه تلك كانت تشير من طرف خفي الى وجوب التخلص منه قبل وصوله اليه ، ولعل دهاء عبد النبي هو الذي أملي عليهم هذا الفهم لمضمون كلمته ، ان صح انه هو الذى قالها ، اذ الواقع ان ظاهر الكلمة لا يدل على هذا المضمون ، والمعنى الصريح لها ، : اذا قدر لرمضان ان يصل الى عبد النبي فلن يصيبه شيء ، وهو المتوقع والمعروف عن شهامة عبـد النبي ، وكرهه للقتل ، مهما كان نوعه ، وسياتي الحديث في هذا الموضوع ، على ان عبد النبي لو شاء قتله حقا لوصل الى ذلك بدون احتياج الى الغاز واشارات .

اخطاء رمضان : من أغرب ما يلاحظه القارىء البسيط فضلا عن القائد العسكري ان رمضان ارتكب عدة اخطاء في هذه الحملة كانت نتيجتها الحتمية والطبيعية موته واستسلام جيشه ، وسنحاول بيان تلك الغلطات الفادحة فيما يلي :

1 ــ اهماله مسالة الماء في تقديراته ، فلم يحمل منه الكفاية ويظهر انه كان يحسب احتلال بني وليد مسالة سهلة لا تقتضيه اكثر من دقائق ، والماء كثير في بني وليد ، وهو يريد السرعة في سيره ، فتخفف من الماء في شهر اوت وحرارته المحرقة ، وفي حرات بني وليد المشتعلة ، فلم يصل جيشه الى بني وليد حتى كان على آخر رمق من العطش رجالا وخيلا .

قال قرازياني في هذه النقطة بالذات (16) .

« اخذه غرور العظمة ، واعتقد انه يمكنه التغلب بسهولة على منافسه (عبد النبي بلخير) زعيم ورفلة ، ومن غلطاته التي لا تغتفر بوصفه زعيما وطنيا انه اهمل التنظيمات المائية الخاصة بقواته حتى ان هذه القوات ، ولو انها وصلت فجاة الى بني وليد ولكنها كانت منهوكة القوى من العطش وغير صالحة للقتال ، وكان رجاله يقدمون بنادقهم للنساء في نظير قربة من الماء ».

ولم تكفه غلطته في الهجوم بجيش انهكه التعب والعطش ، بل اغتر

16) نحـو الفـزان ص 36 .

بقوته فأهمل المبادرة بالاستيلاء على بئر او اثنتين من الآبار الكثيرة ، والقريبة من القصر قبل بدء الهجوم ، وقد كانت الآبار لا يحرسها أحد .

2 ـ اختياره ليوم عرفة موعدا للمعركة ، وربما بني هذا الاختيار على ان العادة جرت برجوع الناس الى منازلهم وعائلاتهم واشتغالهم بالعيد واعداد لوازمه ، وهو يدرك أن كثيرا من ورفلة يسكنون في شميخ وفي جهات بعيدة عن بني وليد ، ولكنه خطأ خطير ، اذ المسالة تتعلق بعقيدة دينية راسخة في النفوس يستنكر فيها المسلم قتال أخيه المسلم في يوم عيده ، فربما نظر رمضان للمسالة من جهة رجال ورفلة المدافعين عن البلد ، ولم ينظر للمسالة من جهة جيشه الذي كان كارها لهذه الحملة في العيد ، ولا شك أن أكثر الجيش لم يكن ناصحا في هذه الحملة ، بل ربما كان مخذلا متبرئا متحرجا ، او متهربا من المواجهة الجريئة التي تكسب النصر .

قال الضابط محمد شرف الدين هويدي :

ـ « لقد راجعنا رمضان في الطريق ، وطلبنا منه ان يوقف الزحف ، ويرسل الى شيوخ ورفلة أن يوافوه في الحد بين البلدين ، وهناك يستطيع الزعيمان المفاهمة مع بعضهما وجها لوجه ، وعلى الضباط من الجانبين أن يضمنوا الامن وعدم قيام أي شر، وان ذلك الاجتماع ربما أدى الى أن تسود العافية بين الزعيمين ، وكنا كارهين للزحف في أيام العيد ، ولكن رمضان اكتفى بأن أجابنا بأنه مكلف من رجال الحكومة المركزيــة باخضاع ورفلة ، وامرنا بالتقدم » .

وقال شرف الدين أيضا :

« ان قوة رمضان كانت كبيرة تستطيع احتلال ورفلة ، الا انها كانت منكرة للحملة غير راغبة فيها ، فانحلت حزمتهم مع العطش وفشلت الحملة ».

3) اعتماده على جماعة من ورفلة اضاد عبد النبي وادماجهم في جيشه ، مما يدل على انه كان بعيدا كل البعد عن التفكير في العواطف البشرية والنفوس الانسانية المعروفة بالحنين الى وطنها والى أهلها ، ولو كانت عدوة لبعض اولئك الاهل ، اذ مهما بلغت هذه العداوة من الشدة فان نفس الانسان لا

ترضى ان ترى غازيا يخرب بلدها او يقتل أهلها ، ولو كانت ضمن الجيش الغازي ، فلا تكاد تحل بترابها حتى تحاول أن تبتعد من الميدان ، وربما انقلبت ضد الغزاة ، وهذا ما وقع بالنسبة لجماعة ورفلة المصاحبة لجيش رمضان ، فقد اختبأ بعضهم ، فلم يشاركوا في المعركة ، وانقلب بعضهم يقاتل مع بني عمـــه .

قال الحاج علي الامين :

« كان والدي مغاضبا لعبد النبي فهاجر بأهله الى مصراتة : ولما أراد رمضان مهاجمة ورفلة كنا مجندين معه : والدى وابناءه الثلاثة ، فالتحقنا اربعتنا بالجيش المتجمع على حدود مصراتة الخارجية ، وسرنا معه ، وفي الطريق التقينا بقافلة قاصدة ورفلة فأجبرها رمضان على السير مع الجيش ، ولما احتج اصحاب القافلة أجابهم :

ــ لا خوف عليكم ، ولكم الامان في أنفسكم وأرزاقكم حتى تصلوا معنا الى بلدكم ، واعذروا صنيعي معكم ، لاني لو أطلقتكم ، لا سرعتم في السير ، ووصلتم غدا الى بني وليد ، فأخبرتم عبد النبـــي باتجاهنا نحوه ، وهذا لا يمكن ان اقبله .

وكان معنا جماعة من ورفلة ضد عبد النبي ، وذكر بعضهم لرمضان أن ورفلة كلها ضد عبد النبي الذي لا يوجد معه الا اربعة ضباط ، وهذا ما كذبه الواقع بعد ذلك .

وفي التنظيم يقتضي ان تسبق فرقة من 50 فارسا فتدخل هي الاولى الى القصر ، تتبعها قوة من الخيالة يقودها رمضان بنفسه ، وخلــفها قوة المدفعية والرجالة ، ولا اخفي عليكم ان رجال مصراتة الموجودين في الجيش كانوا غير راضين على مهاجمة بني وليد في عيد الاضحى .

ووصلنا وبدا الضرب في الفجر ، ولم تصل الفرقة الثقيلة (المدفعية) الاضحى يوم عرفة ، ولما اشتدت المعركة تحولنا نحن جماعة من ورفلة الى مربوعة (غرفة) فاختفينا فيها ولم نشارك في الضرب ، وحوالي عصر يوم عرفة سمعنا أن محلة عبد النبي (التي يقودها الهادي بن يونس) وصلت ،

وأن الضابط المصري (ابراهيم عوض) رئيس أركان حرب رمضان قد قتل ، واشتد علينا الحصار ، فخرجنا نحن جماعة ورفلـــة قبل اطباق الحلقة حولنا لنختفي عند أقاربنا » .

هذا ما رواه الحاج علي الامين وهو شاهد عيان ، وواضح ان جماعة ورفلة التي حرضت رمضان على غزو بنـــي وليد لم ينتفع منها ، بل كان ضررها اكثر من نفعها .

نجدة ترهونة : وصلت انباء المعركة الى ترهونـــة فنادى عبد السلام المريض في قومه وكان مريضا ـــ وقال لهم (17) :

« ان رمضان السويحلي ، اذا تغدى بعـــبد النبي ، فانه سيتعشى بترهونـــة » .

وأمر بضرب الطبول وركوب الخيل نجدة الـــى ورفلة ، ولما وصلت النجدة الى وادي (دربوك) في الحدود بين ترهونة وورفلة ، وصلها سعد ابن عطية مرسلا من عبد النبي يخبرهم بموت رمضـــان وانكسار جيشه ، ويشكرهم على نجدتهم واخوتهم ، ويطلب منهم الرجوع الى بلدهم مشكورين.

فظـــاعة : سقط رمضان وهو في طريقه الى القصر حيث ينتظره عبد النبي ، فتركه مصاحبوه وذهبوا لاعلام عبد النبي ، وكان عبد القادر المنتصر ، عدو رمضان ، قد وصل في ذلك الحين الى بني وليد فارا مـــن محلة حمد السويلحي التي قضت على عصابته ، في اليـــوم السابق ، وكان يحمـــل لرمضان حقدا دفينا ، لانه كان قتل اخاه ابا القاسم المنتصر في حادثة (حواء غباين) المشهورة .

فلما وقف عبد القادر على جثة رمضان ، واشتغل عنـــه الناس بجمع الاسرى والغنائم ، اغتنم الفرصة فقطع رأس الضحية ، وفر به في طريق ترهونة ، ربما كان يقصد ان يحمله الى اهله ليريهم انه انتقم لاخيه ابي القاسم من قاتله .

---

17) رواية الشيخ ابرهيم عبد الصمد النعاس .

وسمع عبد النبي بهذه الفعلة الشنيعة ، فغضب غضبا شديدا ، واطلق وراء الجاني فرسانا للقبض عليه ، على راسهم (الطاهر جلغم) احد ضباط عبد النبي ورئيس الحرس الذي ركب جواد عبد النبي فاجهدوا خيولهم حتى التحقوا بالجاني فـي وادى دينار ، فرمى لهم بالراس وافلـت منهم على جواده ، وكانت نتيجة المطاردة ان نفق جواد عبد النبي ، وارجع الاعوان الراس ليدفن مع جثته .

الخسائر : وكانت الخسائر باهظة بالنسبة لجيش رمضان خاصة ، فبالاضافة الى قائد الجيش ورئيس اركانه ابراهيم عوض ، سقط في المعركة مئات القتلى من البشر ومن الخيل ، أما المعدات والاسلحة ومـا يتبع ذلك من اثاث فقد غنمته ورفلة .

وكانت الجثث مطروحة من ساحة القصر الى البناية المسماة (الفبريكة) وعلى كامل الساحات وحول المنازل والبنايات ، وتمتد الجثث حتى شرقي المكان الذي دفن فيه الاموات .

واسرع الناس الى معاولهم فحفروا قبورا للموتى في الجنوب الشرقي من القصر ، اما الخيل فقد طرحت في حفر هنا وهناك .

الاسرى : وكان الاسرى كثيرين ، فقسمهم عبد النبي على قبائل ورفلة، تقوم كل قبيلة باطعام مجموعة منهم . قال الحاج عبد الله معتوق الدعيكي : كان عندي من الاسرى خمسة وعشرون اطعمـهم واقوم بشئونهم وكانت معاملتهم طيبة حتى اطلقهم عبد النبي فرجعوا الى اهلهم .

وقال الضابط محمد شرف الدين متحدثا عن الاسرى :

« اما عامة الناس من الجيش فقد اعتذروا لعبد النبي فاطلقهم ، واما الضباط امثالي فكنا عند الهادي بن يونس تاتينا قصاع الطعام ، ونتقابل مع الناس ، حتى قدم الينا احمد الغساطوي مبعوثا من قبل الحكومة المركزية فتسلمنا من عبد النبي » .

والملاحظ ان الضابط محمد شرف الدين كـان شديد التقيـد بالانظمة العسكرية ، ولذلك لم يكد يصل الى مركز الحكومة حتى سلم لرؤسائه تقريرا

عن حركة رمضان ، كان خير وثيقة استفدنا منها في هذا الموضوع ، كما ارسل مع رفاقه اعتذارا الى عبد النبي اثر وقوعهم في الاسر ، وسنورد نص هاته الوثيقتين الهامتين مع صورتين اصليتين فيما يلي :

1 ـ وثيقة الاعتذار ، وهي تتهم ـ صراحة ـ رمضان السويحلي ـ بجبرهم على مصاحبة هذه الحملة ، وانه هددهم بالقتل ، بل وتذكر انه قتل بعض العساكر الذين تخلفوا عن تنفيذ اوامره الخ ، وهذا نص الوثيقة :

« حضرة متصرف لواء ورفلة عبد النبي بك الاكرم ، نحن الواضعون اسماءنا اسفله عموم ضباط محلة رمضان السويحلي بك بأن المذكور أجبرنا على التوجه الى ورفلة لقتال أهلها والاستيلاء عليها باى طريقة كانت ومهدد كل من يخالف امره بالقتل رميا بالرصاص **كما فعل بمن تخلف من أفراد العسكرية قبل وصولنا الى ورفلة** ، وحيث انه لا قدرة لنا على مخالفة أمره خوفا من بطشه بنا اضطررنا الى السفر مرغمين وقبل وصولنا الى ورفلة راجعناه للمرة الاخيرة بترك سبيلنا متضرعين اليه كثيرا فلم يجبنا بشيء سوى انه مكلف من بعض رجال الحكومة المركزية باخضاع ورفلة والاستيلاء عليها ، ولما يئسنا ووصلنا الى ورفلة واشتد الحرب علينا ولقي رمضان بك جزاءه ووقعنا نحن جميعا اسرى في ايديكم نسترحموا (كذا) عطف النظر الينا بعين الرحمة لاعترافنا بالحقائق المذكورة والله لا يضيع أجر من احسن عملا والسلام في 14 ذي الحجة 1338 هـ (29 اوت 1920) (التوقيعات : انظر الاصل في الصورة الفوتغرافية) .

2 ـ التقرير المرفوع للحكومة من أحد ضباط الحملة النظاميين ، وهو وثيقة هامة كشفت كثيرا من الغموض في هذه الحركة وبينت مدى تورط رمضان في أحبولة نصبها له الايطاليون فأوقعوه في هوة ، وقالوا له نحن برآء منك ، واستخدموه لصالحهم وهو يظن أنه يخدم نفسه ، وضد وطنه وهو يظن انه يعمل لصالحه فهم كالشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك ، اني أخاف الله رب العالمين .

وهذا نص التقرير :

يوم الاحد الموافق 7 ذى الحجة سنة 1338 هـ ـ صارت حركتنا من



1



2



3

1 الشيخ علي عبد السلام الامين .

2 السيد الطاهـر جلغـم .

3 الضابط محمد شرف الدين هويدي الرياني .

الى حضرة متصرف لواء ورفلة عبد النبي بك الاكرم

نحن الواضعون اسمائنا اسفله عموم ضباط حملة رمضان السويحلي بك بأن المذكور اجبرنا على التوجه الى ورفلة لقتال [illegible]
السلام علينا وأي [illegible] ومهدودكم من مخالفة امره بالقتل رمياً بالرصاص كما فعل مع [illegible]
قبل وصولنا الى ورفلة وحيث انه لا قدرة لنا على مخالفة امره خوفاً من بطشه بنا اضطررنا الى [illegible]
وقبل وصولنا الى ورفلة [illegible] المدة الاخيرة [illegible] فلم يمكننا [illegible]
من [illegible] رجال الحكومة [illegible] ورفلة [illegible] وصلنا الى ورفلة واشتد [illegible]
[illegible] رمضان بك [illegible]
[illegible] والله لا يضيع اجر [illegible] والسلام ١٤ محرم [illegible]

رسالة ضباط حملة رمضان الى عبد النبي بلخير .

مصراتة **بموجب تلغراف رسمي** ، ومعنا ستمائـــة وتسعون نفرا عسكرى وضباط عدد 16 ، مدفع سريع الطلق واحـــد ، وقنابله عـــدد 240 ، مدفع سريع الطلق صغير كذلك معه قنابل ستون صندوقا لكـــل صندوق خمسة عشر قنبلة ، رشاشـة عدد 2 بكل واحدة حملين خرطوش وحملت ابل النقلية ما يقارب 350 جملا محملات ارزاق (جملة غير واضحة في الاصل) من قسم النقلية ، واما رمضان الشتيوي تحرك من مسلاتة ولحقنا في وادى دوفان ، وبصحبته ما يقارب 200 سوارى ثم أخيرا التحقوا بنا (550) سوارى من جهات مختلفة ثم صار تقسيم المحلة الى قسمين قسم العسكرية ــ قومندانه ابراهيم عوض تحرك هو الاول حسب الامر ورمضان الشتيوي والسوارى ومن معهم تحركوا في اثرنا قاصدين ورفلة ومع هذا لنا يوم كامل ما راينا لون الماء وفي يوم تسعة من الشهر وصلنا ورفلة وصـــار الحرب بيننا من الصباح الى المساء ونحن ضمآنين ومع هذا مهاجمين للقصر ولم يوجد حسب الاخبار الا عبد النبي في حوشه مع نفرين فقط وبعض الاهالي في الحياش من كل جهة وقد قاومونا اربعة ساعات ، ثم ضبطنـــا القصر عندها تكاثر الفزع من كل مكان ــ وداوم الحرب الى صباح يوم العيد وقد تلف منا كثيرين (كذا) بالعطش وتضايقنا مضايقة شديـــدة وصرنـــا محصورين واختلت عساكرنا وسلمنا انفسنا وفي الساعة الواحدة عربي اخرجونا مـــن حوش الهادي بن يونس متوجهين بنا الى عبد النبي وفي اثناء الطريق بقرب صرار هناك ضربوا رمضان الشتيوي بالرصاص من ورائه وبعده الشيخ الهلولي قتلوه والعاجز لما شاهدت قتلهما وجدت فرصة وفريت الـــى نحو القصر ودخلت على عبد النبي في بيته وبقيت في امانه وضيافته الى ان اتى احمد بك الفساطوى واخذني معه وهذه صورة الواقع 19 ذي الحجة 1338 (3 سبتمبر 1920) .

قومندان البطارية

التوقيع

محمد شرف الدين

(وانظر صورة التقرير الآتية)

أما بالنسبة للاسارى من جماعة ورفلة المشاركين في الحملة ضد عبد النبي فسنترك الحاج علي الامين وهم منهم ــ يقص علينا معاملة عبد النبي لمثله ، قال :

« كنت ذكرت لكم اننا اختفينا عند اقاربنا اثناء المعركة حتى انتهت ، وفي يوم ثاني عيد ، 11 ذي الحجة اخرجونا (والدي وابناءه الثلاثة) من دار عمتي اخت والدي فوضعونا في السجن ، وبعد ثلاثة او اربعة أيام نزلت الامطار ، وسال الوادي بالمياه ، فجاءنا ضابط بأمر من عبد النبي ، يرخص لنا فيه ان يخرج أحدنا ليباشر حراثة ارضنا ، فخرج أخي محمد الى الحرث ورجع منه الى منزلنا حرا .

وكان السجن حرا تأتينا فيه قصاع الطعام ، ونطبخ الشاي ونتصل باقاربنا ، وقد أشار بعضهم على عبد النبي بوجوب قتل جماعة ورفلة الذين أسروا مع جيش رمضان لان وجودهم مع العدو يعتبر خيانة لبلدهم واهلهم ، فكان جوابه :

ــ محال ان يقع هذا مني ، فما هم الا ابناء بلدي ، وسوف ادخرهم ليوم هو اشد هولا من هذا اليوم (نلقاهم في يوم أحرف من هذا) .

وقال للمشير عليه بقتلنا :

ــ انتم الذين تستاهلون القتل ، لانكم تاكلون طعامي وتبيعون راسي ، ولو وقعت أنا في أسر رمضان لاشرتم عليه بقطع رأسي ، وبعد شهرين من الواقعة أطلق عبد النبي سراحنا » .

رجوع حمد السويحلي : ووصل الخبر الفاجع الى حمد السويحلي الذي لا يزال بمحلته في الطريق فرجع الى مصراتة قبل وصوله الى بني وليد.

أحلام وارهاصات : وحادث مثل حملة رمضان على بني وليد لا يتركه سكان البوادي السذج يمر دون أن يجدوا تعليلا للنصر فيه والانهزام ، وهذا التعليل دائما يتخذ طريقا غيبيا ليس في قدرة الانسان المادية ، فهو ينسب دائما لدعاء أحد الصالحين في حالة النصر ، أو لغضبه في حالة الهزيمة .

تقرير محمد شرف الدين الى رؤسائه عن حملة رمضان .

وقد ظهرت بعد انكسار الحملة وموت رمضان عدة أحلام ، وروايات عن دعوات ضد رمضان ، ولا ارى بأسا من ايرادها حتى لمجرد التفكهة والتخفيف عن قارىء ربط أفكاره مع المواضيع الجافة ، فدس بعض الطرائف في الدراسات والبحوث يراها الجاحظ رحمه الله ، من لوازم الكاتب لاراحة قارئه بين الحين والآخر .

مما يرويه الرواة من أدعية وأحلام وارهاصات تنذر بهزيمة الحملة :

1 ــ ان الفواتير الذين سعوا للمصالحة بين الطرفين كانوا دعوا وقرأوا الفاتحة على اثر دعائهم ، بان (من فات الحدود ، فيه دعوة الجدود) ورمضان هو الذى فات الحدود ولذلك انكسر جيشه .

2 ــ وان عجوزا فيتورية لها ولد وحيد ، جند في هذه الحملة ، فجاءت الى رمضان طالبة ان يعفي ابنها من الجندية ، فغضب رمضان وأمر بشنق الولد عبرة لمن يتهرب من الجندية من الجنود أو من آبائهم ، فدعت العجوز على رمضان بقولها : « الله يجعلك ، البندقة ما تضرب ، والفرس ما تهرب » .

3 ــ وان والد الشيخ المهاجر قريرة كان بجهة (سوفجين) فرأى في منامه رؤيا أهمته ــ وكان رمضان في ذلك الوقت ، يستعد لغزو ورفلة ــ وجعل الشيخ يبحث عن مسافر متوجه الى بني وليد ليحمله رسالة الى عبد النبي بلخير حتى عثر على رجل يسمى (جبنون) فسلم له الرسالة وفيها يقول :

ــ « اني رأيت في نومي ، رمضان السويحلي في سوق بني وليد ينادى عليه الدلال ، وبيع بأربعين بارة .

ولما قرأ عبد النبي الرسالة قال ساخرا :

ــ كيف يباع رمضان بأربعين بارة فقط ؟!

ثم قص على جماعته رؤيا رآها هو نفسه في منامه فقال :

ــ رأيت رمضان صاعدا الى نخلة من نخلتين متجاورتين محملتين

بعراجين التمر ، حتى وصل العراجين ، ومد يده الى عراجين النخلة الثانية فانزلقت رجله وسقط بين النخلتين .

4 ــ وأن احد الاولياء الصالحين وقف على أحــد جنــود رمضان في نومه قبل الهجوم وقال له ؟

ــ دبر قبل السبيب يغبر ، وعلى حلمتك ما تخبر ،

والمقصود ظاهر ، وهو ان الولي ينصح الجندي بان يدبر لنفسه مخرجا قبل ان تهجم الخيل (السبيب) ويأمره بان لا يتحدث برؤياه حتى لا يعرض نفسه للعقوبة .

الى غير هذه الادعية والاحلام والارهاصات التي تكثر عادة عند البسطاء اثر كل حادث من الاحداث .

الشيخ الزاوي والحملة : بالرغم مــن ارتكاب رمضان هــذه الغلطة الفادحة المتمثلة في هجومه بخيله ورجله على بلد اسلامــي في يوم عيد اسلامي ، وهو وعدوه يقفــان في صف واحد ضد عــدو استعماري ، هذه الغلطة التي ارتكبت تحت تأثير غضب شخصي كان يــجب ان يكبت أمام مصلحة الوطن ، بالرغم مــن ذلك فان الشيخ الطاهر الزاوي ــ عفــا الله عنه ــ يجد لها مبررا ، بل يرى القيام بهذه الحملة مــن واجبات رمضان السويحلي بصفته قائدا حربيا ، وزعيما وطنيا ، متناسيا انــه قائد لمحلة مصراتة فقط ، وليس بقائد عام ، وبأن زعماء آخرين يشاركونه في الزعامة وفي الحكم وبأن قيامه بهذه الحملة انما يخدم مصلحة الايطاليين وحدهم .

يقول الشيخ الزاوي بعدما تحدث عن الحملة : (18)

« هذا قصص ما يتعلق بهجوم رمضان السويحلي على ورفلة نقصه للحقيقة والتاريخ .. على من يريدون انصاف الناس ومن يقدرون ظروف الاحوال ومقتضياتها وما تقتضيه واجبات الوطن من تضحية ومن أخذ الامور بالحزم حتى تكسر قرون الفتنة ويقضى على دعاتها ، وهم لا شك واجدون

18) جهاد الابطال ص 282

فيها ما يبرر موقف رمضان من ورفلة ومقدرون له هــذه المغامرة التي أودت بحياته في سبيل خدمة طرابلس ، وهو وإن لم يصحبه التوفيق فيها ، فقد صحبه في كثير من أمثالها مما رفع شأن طرابلس ، وخلد لــه من الذكــر الطيب ما سيحفظه لـه التاريخ في صفحاته البيض .

ويشيع بعض خصومه ، أن غزو ورفلة غلطة من غلطات رمضان أملاها عليه حب التسلط ، وغرور النفس ، ولكن ما اقترن بهذه الحادثة من أسباب لا يدل على شيء من هذا بل ما كان يبدو في افق السياسة من تحزب ضده وتحريض الطليان عليه ، وتلاعب عبد النبي واشياعه ، واتصالهم بالطليان ، كان يحتم عليه القيام بمثل هذه الحملة » .

منطق غريب ، وتبرير لغلطة سوداء ، اشد غرابة ، اذ كيف تكون مغامرة الحملة ، في سبيل خدمة طرابلس ؟ وأي فائدة تنتظرها طرابلس من تنحية عبد النبي وتفرد رمضان بالسلطة ؟ ما دام رمضان ليس من الذين تتوفر فيهم شروط التفرد بالسلطة ، وهو بعيد عن ادراك مــزالق السياسة المحلية والدولية ، بل اثبتت اعماله انه لا يمتلك حتى صفات القائد الحربي المحنك الذي يقرأ للاحداث حسابها ، ويعرف للحوادث اسبابها ، وكل ما يمكن ان يتصف به رمضان انه رجل شجاع الى درجــة الجراة ، قوي البطش الى درجة القسوة ، حازم في حكمه لا يتردد ، ولكنه الى جانب هذه الصفات الطيبة التي كان يتطلبها ذلك العصر ، كان شديد الغرور.طموحا الى السلطة والتفرد بها ، وكان يسعى في سبيل ذلك الى تحطيم خصومه ومنافسيه ولو كانوا اقرب الناس اليه . حتى انه كثيرا ما اختلف مــع الموظفين السامين فتسلط عليهم ، وافتك سلطتهم واضطرهم الى الاستعفاء (19) .

وصفة الطموح للتفرد بالسلطة عند رمضان أيدها جميــع المؤرخين والرواة من رجال ذلك العهد .

---

19) في مذكرات الباروني (صحف مختارة ج 2 ص 151 هذا النص : « جاء خبر من مصراتة تليفونيا بانه حصل نزاع بين رئيس الادارة صــادق ، ورمضان واستعفــى المامــورون وتعطلت سوقيات الارزاق) .

اقوال المؤرخين والرواة في رمضان : جاء في كتاب رمضان السويحلي للسيد محمد مسعود فشيكة ما نصه : (20)

« كثيرا ما كان رمضان يبت فـــي الامور الهامة منفردا فيهـــا برايه الشخصي لشدة حرصه على سريتها ، أو لاستعجالها ، ممـــا جعل بعض الناس غير الراضين عن انفراده برايه في مسائل عدة يصفونه بالدكتاري (الدكتاتور) أي الحاكم المطلق الذي أمره القانون ورايه الشريعة ، ولكن لم يتهمه احد في تصرفات حكمه بعدم الاخلاص والنزاهة في خدمة وطنه » .

ويقول محمد شرف الدين هويدي احد ضباط رمضان :

« كان رمضان مغرورا ، يظن انه اهل للرئاسة ، وهو خفيف وجسور جبار ، ولكنه لا يعرف السياسة » .

ويقول السيد علي ثامر :

« كان السويحلي يؤمل ان لا يزاحمه احد في السلطة ، وكانت بقية الجماعة (يعني الزعماء) يخشونه ، وهو رجل شجاع ، مجاهد ، مخلص الا انه كان يريد السلطة لنفسه » .

هذه أقوال بعض المؤرخين والرواة ، وكلها تؤيد طموح رمضان للتفرد بالسلطة ، دفعنا لاثباتها هنا ما اضفاه عليه الشيخ الزاوي من صفات تجعله في صف الملائكة ، وما الصق بخصمه عبد النبي من صفات تجعله في صف الشياطين ، عفا الله عنا وعنهـــ ، بينما الـــواقع ان رمضان كانت له من الحسنات والسيئات ما لغيره من بني آدم .

أما اتهام الشيخ لعبد النبي بانه كان متصلا بالايطاليين ، هكذا يطلقها بدون توضيح فالواقع ان اتصاله بالايطاليين كان أقل من اتصال غيره من الزعماء بهم قبل الصلح ، أما بعد الصلح فقد انقطع اتصاله بهم واستمر اتصال رمضان وجماعة الصلح بهم اتصالا معروفا مشهورا .

---

20) ص 136 .

وكانت قوافل التجارة متصلة بالعاصمة في ظل وثيقة الصلح ، من جميع الجهات حتى من مصراتة نفسها ، فلما كشف الايطاليون عن نياتهم في اعادة احتلال البلاد انقطعت قوافل جميع المناطق الا التي يشرف عليها انصارهم .

والشيخ الزاوي يذكر بلا شك كيف القي القبض على خليفة بن عسكر في جلسة له مع (قراسياني) ، اذ كان الاتصال متينا بين الايطاليين وبين كثير من الزعماء في ذلك العهد الذي كان فيه عبد النبي ممتنعا عنهم في بني وليد .

كما يعرف الآن ــ بلا شك ــ ما ظهر من وثائق تكشف اتصلات كثير من زعماء البلاد في ذلك العهد بالايطاليين ، فلماذا يغض الشيخ طرفه عنهم ، ويفرد من بينهم عبد النبي بالاتهام وبالتشهير ؟ ولماذا لا نعتبر تلك الاتصالات من طرف جملة من الزعماء ، مجرد غلطات أملتها ظروف خاصة ، ودفعت اليها في الغالب ، عصبيات عمياء ، وقبليات موروثة ؟

ملوك طوائف : كان تأسيس الجمهورية وحكومة مركزية ومجلس شورى ــ في الواقع ــ أمرا سابقا لاوانه ، والعصر لا يتقبله بارتياح ، فالنزعة القبلية لا تزال في عنفوانها ، ودكتاتورية زعيم القبيلة لا يمكن محوها والتغلب عليها بسهولة ، والجمهورية نفسها كانت تحمل في كيانها جرثومة هلاكها من يوم تأسيسها ، اذ لا يعقل ان تعيش جمهورية يتقاسمها اربعة رؤساء ، كل واحد وراءه عصبية قبلية عتيدة ، وهذا ما تسبب في قتل رمضان الشتيوي بمجرد محاولته التفرد بالسلطة ، فليس من الميسور ان يتقبل سلطته صديقه عبد النبي بلخير ووراءه ورفلة التي لها ترات ومشاكل قديمة مع مصراتة ، ولا أن يتقبلها احمد المريض ووراءه عصبية ترهونة وعداؤها المتجدد لمصراتة ، ولا أن يقبلها سليمان الباروني ولا غيره من زعماء القبائل .

وعلى هذا الاساس تفرق رؤساء الجمهورية كل الى بلده وشرع في تأسيس حكم مستقل تمام الاستقلال عن بقية البلاد ، لا تجتمع مقاطعته مع غيرها الا في ميادين الجهاد .

وهكذا أسس رمضان السويحلي في مصراتة حكما منظما اداريا شمل القضاء والتعليم والمالية والشؤون الحربية ، واستخلاص الضرائب الخ .

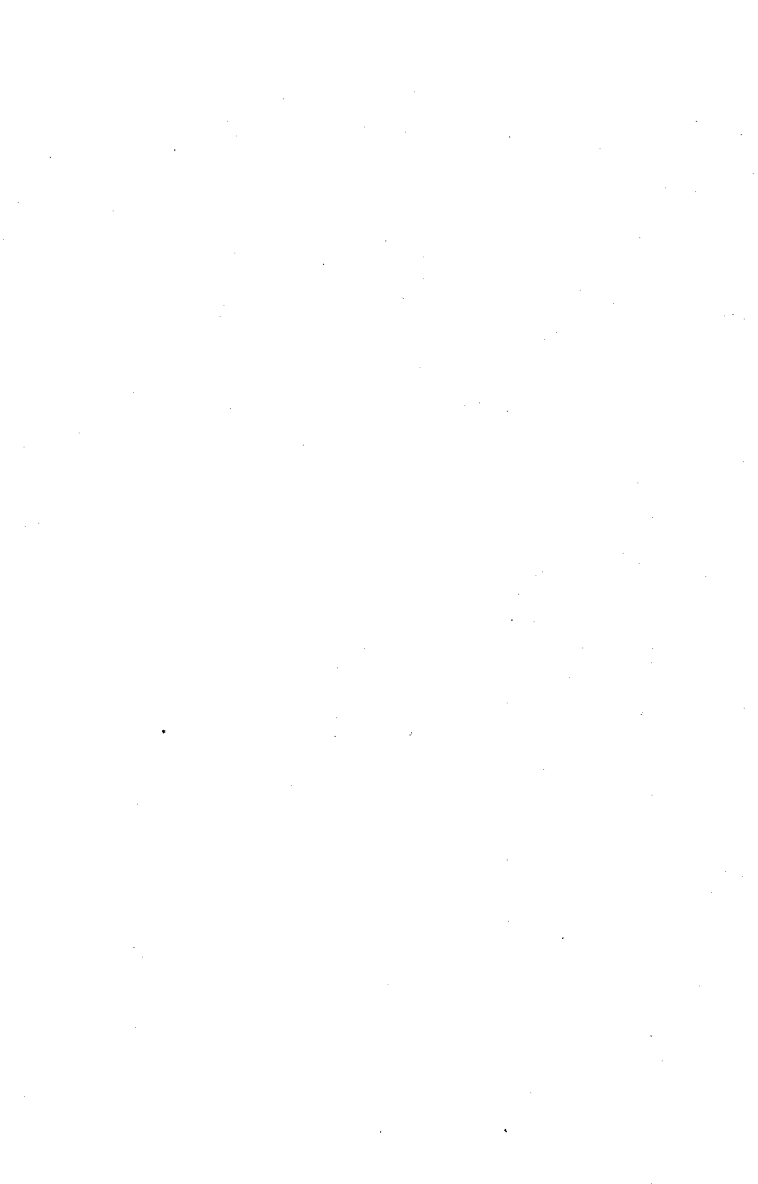
النظام الاداري والسياسي في ورفلة : وعلى غراره سار عبد النبي بلخير في ورفلة ، فأسس نواة لادارة منظمة تشتمل على المؤسسات اللازمة لحياة دولة صغيرة ، فقد كانت هناك ادارة مالية يشرف عليها موظف يسمى مدير المال ، ويعاونه مساعدون آخرون ، ويتبعهم جباة الضرائب وجامعو الاعشار ، وأعشار الحبوب بالخصوص كانت تتولى جمعها لجان في الجهات المرتبطة بالمركز والتي كانت تسمى (مديريات) وهي تشبه الولايات ، او المعتمديات في تونس ، كل جهة على رأسها (قائم مقام) وعددها اربعة او خمسة بالاضافة الى وجود شيخ في كل قبيلة ، وهناك ديوان يشرف على الشؤون الجهادية (الحربية) ومجلس شرعي من علماء الدين له قضاة نواب في المديريات .

والى جانب هذا النظام كان يوجد مجلس شورى من الاعيان والعلماء الممثلين لجميع المديريات ، وهذا المجلس يجتمع في الامور الهامة كالحرب والصلح ، وكان عبد النبي لا يقرر شيئا في الامور الهامة التي تتعلق بمصير البلد الا بموافقة هذا المجلس .

أما التعليم فقد كانت له دائرة تشرف على الاعانات والمرتبات للشيوخ المدرسين بالمساجد المنتشرة في القبائل وبالمدرسة التي أسسها عبد النبي بجانب قصر الحكومة .

والعملة المتداولة في ذلك العهد هي العملة التركية .

هذه صورة مصغرة للنظام السياسي والاداري في بني وليد اثناء عهد عبد النبي بلخير ، وهو نظام مستقل لا يرجع الى نظام مركزي في ذلك العهد الذي قسمت فيه البلاد الى دويلات صغيرة وشبه ملوك طوائف يتناحرون على السلطة وعلى توسيع دوائر النفوذ في الوقت الذي كان فيه العدو يربض على شواطئهم يغذي الفتن بينهم ويحرض هذا على ذلك بواسطة مستشاريه الذين اقرهم القانون الاساسي الناتج عن الصلح مع الطليان الى جانب كل زعيم او حاكم في جهة من الجهات ولله الامر من قبل ومن بعد.



الفصـــل السابع

عبد النبى و قراسيانى

بدأ الايطاليون يستعدون لتسديد الضربة القاضية للمقاومة الوطنية ، وادرك الوطنيون أن الايطاليين ناجحون في مهمتهم لا محالـــة اذا لم تتكل القوى الوطنية في وحدة صماء لمجابهة الخطر ، ولكن هيهات ، فالقبليات كانت لا تزال تسيطر على الاوضاع ، وهي عقيدة قديمة متأصلة في النفوس يصعب محوها بسهولة ويسر .

مؤتمر غريان : دعا الوطنيون لمؤتمر يعقد في غريان ، محاولين راب الصدوع ولام الجروح الناتجة عن خصومات العرب والبربـــر في الغرب ، ومصراتة وورفلة في الشرق ، فلم ينجح السعي في اطفاء الفتنة في الجهة الغربية ، ورفض حضور المؤتمر كل من الزنتان ، واولاد بوسيف ، والمشاشة ورفض الحضور أيضا سليمان الباروني احتجاجا على انفجار هذه الفتنة ، ورفض زعيم ورفلة أيضا حضوره ، مكتفيا بحضور العيساوي بوخنجر (1) وعبد الرحمان زبيدة من ورفلة ، ولعله كان مدركا أن لا فائدة في هذه المسكنات الوقتية التي لا تستطيع القضاء على جرثومة المرض واجتثاثها من أصلها .

ورغم ذلك ، فقد انعقد المؤتمر في نوفمبر 1920 ، وقرر توحيد القيادة في الجهاد ، ولكن هذا القرار بقي حبرا على ورق .

---

1) المجاهد النسابة ، ولد اواخر القرن 13 هـ وتعلم بالمدارس التركية ، جاهد من 1911 الى 1924 وهاجر الى مصر ورجع 1946 وتوفي في 20 سبتمبـــر 1961 كان مـــرجعا في الانساب عارفا بتاريخ القبائل وأمثالها وآدابها .

وكان الرجبان والزنتان وحلفاؤهم يستعدون بمنطقة مزدة الى الانتقام من اخوانهم البربر الذين كانوا اجلوهم عن ديارهم .

نداء عبد النبي : ورأى عبد النبي بلخير ان تلك الفتنة ستقضي على قدرة المقاومة في المجاهدين بمقدار ما تضيف الى صفوف العدو قوة مع قوته فاجتمع بعد نحو شهر من مؤتمر غريان بأعيان ورفلة الذين اتفقوا على ارسال رسالة حررها عبد النبي ، يدعو فيها اخوانه في مزدة الى اجتماع على الحدود بين مزدة وورفلة لمحاولة القضاء على الخلاف ونسيان الماضي والاستعداد لمقاومة العدو الايطالي ، بدل اهدار القوى في الانتقام من بعضهم بعضا .

وفيما يلي نص الرسالة المذيلة بنيف واربعين توقيعا !

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

حضرات الافاضل الاجلاء الحاج محمد بك فكيني ، والشيخ علي بك الشنطة ، والشيخ احمد البدوي ، والشيخ سالم بن عبد النبي ، والشيخ احمد بك اصيد ، والحاج احمد بك المخترش ، والحاج مفتاح الهمالي ، وكافة أعيان ومشائخ الزنتان والرجبان والسبعة والغنائمية ، حفظهم الله جميعا ، وهدانا واياهم لما فيه راحة البلاد وهناء العباد .

نظرا للاحوال الحاضرة واجتماعكم عموما في جهة مزدة واتصال اهاليكم بأهالي ورفلة ، علاوة على اتصالنا واخوتنا القديمة ومحبتنا المعلومة لديكم ، فقد رأينا من المناسب الاجتماع في مكان متوسط للطرفين ، لأجل المذاكرة فيما يلزم لراحة الطرفين حالا واستقبالا حسبما اتفق عليه أعيان ورفلة ، غير اننا نتمنى من حضراتكم الكف عما أنتم من صدده من الحركات الموجهة لجهات الجبل ، وأن لا يقع شيء يكدر حتى يصير الاجتماع وعليه حررت هذا متفقا ، والسلام عليكم ورحمة الله اولا واخيرا في 1 ربيع الثاني سنة 1339 هـ (13 ديسمبر 1921 م) .

عبد النبي بلخير

التوقيعات

محمد العيساوي بوخنجر	الشيخ عقيلة بن سعيد	الشيخ المبروك بن حزاز
محمد بن زغبان	مفتاح الازرق	عبد السلام الشاملي
محمد الهادي بن يونس	القاضي عبد السلام زبيدة	مفتاح التائب
صالح بوخنجر	الشيخ بلقاسم بن سعيد الضبع	الشيخ محمد ضو
الشيخ محمد بن بلعيد جويليق الهمالي	الشيخ محمد سباقة المنسلي	الشيخ عبد الله النقراط
الشيخ علي بن ميلاد	الشيخ عبد الجليل لابه	الشيخ محمد رقوص التلماتي
الشيخ محمد شفتر	الشيخ خليفة عمر اللطفي	الشيخ السامح غلبون السكبي
الشيخ عمر عمر الفقهي	علي محمدانبية الدعيكي	الشيخ امحمد بن عيسى بن قطنش
الشيخ ميلاد بن علي سالم	الشيخ المبروك شطيب	الشيخ سعيد بن عمر
الشيخ رحيل المحجوب	الشيخ المبروك الحصني	الشيخ عبد الله بوحمرة
الشيخ خليفة عبد الحفيظ الزلبي	الشيخ منصور البب	الشيخ عبد السلام شرير
الشيخ محمد المطاع	الشيخ سالم ابوبكر الدائري	الشيخ محمد بن علي
علي بن عمار	الشيخ المبروك	الشيخ محمد قاجة
الشيخ عبد السلام قاجة	اعيان محمد عبد الجليل	الشيخ حسين ابوكراع
الشيخ رحومة بن عمر	اعيان الغناي عون الله	اعيان حسن عبد الله

ولكن لم يتحقق الاجتماع المطلوب ، واشتعلت نار الفتنة من جديد بين العرب والبربر وتم احتلال نالوت مركز خليفة بن عسكر من قبل الاولين .

تحرك الايطاليين : وتحركت الجيوش الايطالية لاسترداد البلاد من جديد ، وتقدموا في حذر يحتلون البلدان ، بلدا اثر بلد ، ووصلوا غريان في 15 نوفمبر 1922 وجعلوا منها مركزا لابتلاع الجهات الغربية كلها ، وبعد نحو ثلاثة اشهر فقط ، تحركوا الى الجنوب فاحتلوا ترهونة في 6 فيفري 1923 ، وبعد عشرين يوما من احتلال ترهونة دخلوا مصراتة في 26 فيفري 1923 ، وقضوا على آخر جيوب المقاومة فيها في معركة سواني المشرك يوم4 ماي 1923 اثناء معركة ضارية استشهد فيها الشهيد الفارس سعدون السويحلي بعد ما اظهر الوانا من البطولة رفعت راس الفروسية العربية .

في السدادة : وانحاز مجاهدو اغلب المناطق ومن مختلف القبائل الى السدادة من اراضي ورفلة ، حيث وجدوا من ورفلة وزعيمها عبد النبي كل ترحيب واكرام ، فانتشروا في اراضيها الخصبة فلم تبخل عليهم بخيراتها ، وفتحت لهم ورفلة اسواقها ومخزونات زيوتها وحبوبها ، ولم تضق عن عددهم الضخم الذي يجعله الشيخ علي ثامر : « نحو مائتي الف شخص ، وقدر الله ان تنزل في ذلك الموسم (1922 ـ 1923) الامطار بغزارة ، وتحصلنا على (صابة) ما رأينا مثلها في حياتنا » .

ويجعلهم بعض الرواة الاخرين نحو مائة الف تجمعوا حول الزعماء احمد السويحلي ، واحمد المريض ، وعبد الصمد النعاس ، والصويعي الخيتوني ، ومحمد سوف ، والمبروك المنتصر ، والمختار كعبار ، واحمد راسم ، وفرحات الزاوي وغيرهم من زعماء القبائل .

حرب العصابات : ويردف الشيخ على ثامر :

« واقترح عبد النبي ان نشرع في حرب العصابات واشغال العدو في كل مكان حتى لا نترك له الفرصة لتجميع جيوشه ونعمل على عرقلته في اماكنه » .

وفعلا تكونت عصابات جهادية عديدة اختلط فيها المصراتي بالورفلي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى [illegible]نا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

حضرات الافاضل الاجلاء الحاج محمد بك آفلي والشيخ [illegible] الشلطه والشيخ احمد البدوي والشيخ سالم بك بن عبدالنبي والشيخ احمد بك الصـ[illegible] والحاج احمد بك الخرش والحاج مفتاح الرحالي وكافة اخواننا اعيان [illegible] الزنتان والرجبان والسبعه والقايعه حفظهم الله جميعا وهدانا واياكم لما فيه راحة البلاد وهناء العباد

نظراً للاحوال الحاضره [illegible] عزمنا [illegible] الاتصال بكم بالاهالي لو فيه علاوةً على اتصالنا واخوتنا القديمة ومحبتنا المعلومة لديكم فقد رأينا من المناسب الاجتماع في محل متوسط بين الطرفين لاجل المذاكره فيما يلزم لراحة الطرفين حالا [illegible] الجبل وان لا يقع شيء [illegible] حسبما اتفق عليه اعيان اورفله غير اننا نحن من حضراتكم [illegible] اتم بصدده من الحركات الموجهة لجهة الجبل يصير الاجتماع اللازم وعليه حررت هذه تفهيماً والسلام ورحمة الله اوله واخراً ١ ربيع ثاني ١٣٣٩

رسالة أعيان ورفلة الى أعيان الزنتان والرجبان والسبعة .

والترهوني والسليماني ،وانتشرت علـــى طول أراضـــي مصراتة وترهونة والجبل الغربي وبذلك أصبحت بني وليد محمية من جميع الجهات .

محاولة اخرى للتوحيد : ورأى المخلصون أن الفرصـــة سانحة لتوحيد الصفوف من جديد وبدأوا بمحاولة المصالحة بين حمد السويحلي وعبد النبي بلخير ، وكان حمد السويحلي رجلا هادئا رصينا مخلصا لوطنه ، فاستجاب للدعوة ، واعلن أنه مستعد لطرح جميع الخصومات جانبا في سبيل الوطن ، كما استجاب لذلك عبد النبي بلخير ، ورأى أن الـظرف منـاسب لتوحيد الصفوف .

ولكن فرح المخلصين لم يستمر ، اذ قضى ابراهيم السويحلي نجـل المرحوم رمضان على كل أمل في الصلح ، فقد خالف على عمه ، وأعلن أنه لن يسكت عن ثأر ابيه ، وأنه لن يجمعه مع عبد النبي بلخير الا السلاح .

جاء في كتاب (بعد القرضابية) للاستاذ التليسي (2)

« بذلت محاولات للتقريب بينه (أي عبد النبي) وبين احمد الشتيوى الا أن هذه المحاولة قد اصطدمت بمعارضة ابـراهيم الشتيوي ابن رمضان الذي كان يرفض التقارب والتفاهم مع الشخص الذي يعتبـــره مسؤولا عن مقتل والده » .

ونشب الخلاف بين العم والحفيد حتى فارق ابراهيم عمه فيمن تبعه من الجيش ، وفشلت المحاولة نهائيا ، واغتنمها الايطاليون للزحف على بني وليد والسدادة التي احتلوها يوم 22 ديسمبر 1923 ، اي قبل احتلال بنـــي وليد بخمسة أيام ، ولم يتفطن عبد النبي لاحتـــلال السدادة الا قبل وصول الايطاليين لبلده بيوم واحد .

تاخير مقصود : لماذا أخر الايطاليون الزحف على بني وليد عشرة اشهر كاملة بعد احتلالهم لمصراتة ؟ لقد شرح قراسياني في كتابه (نحو فزان) خطته العسكرية لاحتلال (بني وليد) شرحا ضافيا ، ويمكن لنا ان نلخص

---

2) ص 217

أسباب التأخير لاحتلال بني وليد متمثلة في صعوبة الطـرق المؤدية اليها وتجمع أهاليها في منطقة واحدة استعدادا للدفاع عن أرضهم ، بالاضافة الى ما يعرفونه من مواقف الدهاء لزعيمها عبد النبي بالخير حيث يعسكر بقواته على مواقع المياه الرئيسية بالاودية ، واذا لم تكن هناك خطة دقيقة محكمة، وقوة تفوق قوات المجاهدين بأعداد كبيرة لا يمكن احتلال هذه المنطقة بسهولة ولهذا جمعت القيادة الايطالية قواها بعد أن استـرجعت أنفاسها باحتلال الجهات الاخرى ، وجاء الغزو من جهات متعددة وبأعداد هائلة ، وكان عبد النبي على علم تام بما يدبره غراسياني وأعوانه من القادة الايطاليين وواضعا في استراتيجيته الحربية كافة هذه الاحتمالات ، مركزا جل قوته على الجبهة الشمالية التي يقودها الجنرال غراسياني بنفسه .

أما القوات الايطالية الزاحفة من جـهة الشرق والتي كـان يقودها الجنرال ميزتي فان عبد النبي كان يعتمد الى حد كبير في دفع هذه القوات ومنعها من التقدم ، على المجاهدين المعسكرين في السدادة ، وهم تشكيلة من جميع المناطق الطرابلسية التي نزحت بعد احتلال مناطقهـا الى بنـي وليد ، وعلى رأس هؤلاء الزعماء : أحـمد المريض ، وسوف المحمودي ، وأحمد السويحلي ، والصويعي الخيتوني وغيرهم ، حيث كانت ورفلة هي المعقل الاخير لايوائهم واعادة تنظيم صفوفهم لمواصلة الجهاد، لذلك كان عبـد النبي مطمئنا علـى هذه الناحية ، ولكن مع الاسف لـم تتمكن هذه المجموعات من صد هجوم ميزتي والوقوف امامه طويـلا حيث كانت قوته متفوقة في العدد والعدة .

وبعد معركة عنيفة وقعت بينهم ، تمكنت القوات الايطالية من تفتيت هذه الجبهة ، وواصلت سيرها نحو بني وليد حسب الخطة المرسومة ، وهي الوصول الى منطقة بني وليد من جميع الجهات في وقت واحد ومحاصرتها .

أما غراسياني فبعد ان يئس من جميع المحاولات التي بذلها من أجل الضغط على عبد النبي بالخير بتسليم المنطقة لاحتلالها دون مقاومة ، قرر تنفيذ الخطة التي رسمها كما سياتي تفصيل ذلك :

الإستعدادات للمعركة : ويظهر أن الايطاليين كـانوا يجعلون اهمية

كبرى لمعركة بني وليد ، فقد استعدوا لها استعدادا لم يستعدوه لغيرها من المعارك عددا وعدة ، مما يدل على انهم كانوا يخافون الفشل في حملتهم قال الاستاذ التليسي (3)

« وقد تم تشكيل الحملة الايطالية على ورفلة على النحو التالي :

ـــ قوات الجبل بقيادة الجنرال قرازياني ، وتتكون من 4ر000 بندقية ـــ 530 فارسا ـــ 4 قطع مدفعية .

ـــ القوات الشرقية بقيادة الكلونيل متزتي ، وتكون من 3ر500 بندقية ـــ 530 فارسا ـــ 4 قطع مدفعية .

ـــ قوات ماريوتي وتتألف من 850 بندقية ـــ 130 فارسا ـــ وقطعتين مدفعيتين .

ـــ قوات مالتا وتتكون من 800 بندقية .

ـــ قوات فولبيني ، وتتكون من 500 بندقية ـــ 50 فارسا .

ـــ قوات غلياني ، وتتكون من 250 بندقية ـــ 90 فارسا .

وبذلك يبلغ مجموع قوات الحملة 9ر900 و 1330 فارسا عدا القوات الاحتياطية الموزعة في مختلف المناطق المحيطة بميدان العمليات ، ونستطيع ان نتبين مدى الاهمية التي كان يوليها الايطاليون لهذه الحملة التي جردوا لها كل هذه الامكانيات الضخمة التي لا تتكافأ في واقع الامر مع امكانيات المجاهدين المحدودة » .

الزحف على بني وليد : كان عبد النبي قد أخذ احتياطاته منذ احتلال مصراتة وترهونة والجبل الغربي ، فجند ورفلة ، وحصن البلد ، ووفر الذخيرة لمعركة كان يؤمل أن ينتصر فيها ، فيبعد خطر الاحتلال الى زمان آخر ربما تتغير فيه الاحداث وتتطور الامور .

واعتمد خطة للدفاع كان يظن انها خطة محكمة ستوقع قراسياني

3) بعد القرضابية ص 215 ـــ 216

الزاحف من ترهونة في كماشة لن يفلت منها ، فحصن ضفتي وادي دينار بالمجاهدين الذين انتشروا على طول الروابي الحامية للوادى من الجانبين ، واخذوا اماكنهم وراء التحصينات التي لا تزال احجارها شاهدة الى اليوم ، ودفع في هذا الوادي بقوة لا تقل عن اربعة الاف مجاهد (1) بين فارس وراجل باعتبار ان وادى دينار هو المسلك الوحيد لجيش قرازياني ، واكتفي في الجهات الاخرى بمحلات صغيرة للحراسة فهنـــاك محلة ربضت فـــي الجهة الغربية الشمالية من البلد ، واخرى ارسلها للجهة الشرقية من البلد .

واهمال عبد النبي للجهتين الشرقية والغربية ناتج عن اطمئنانه الى استبعاد هجوم الايطاليين من الجهة الغربية ، بينما تربض قوة ضخمة من المجاهدين في السدادة ، فلا يمكن ان تترك الطريق مفتوحا الى بني وليد ، فلم يبق امام الايطاليين الا طريق وادى دينار مـــن الشمال . يقول الشيخ علي الجدي :

« كان طريق الطليان الينا من وادي دينار الذى هو طريق الجيوش المعتاد ، فمنه جاءتنا جيوش تركيا وجيوش ايطاليا سابقا ، فكان علينا ان نترصد العدو في هذا الوادي لانه مكان استراتيجي يمكـــن ان يقاتل فيه الانسان وهو مطمئن الى النتيجة اذ تحف به من الجانبين مرتفعات جبلية يمكن التحصن فيها بينما يكون العدو محصورا في الوادي ، معرضا للخطر .

وكنا مطمئنين ، فالمشاشة وأولاد سليمان على مقربة منا ، والزعماء الاخرون حمـــد السويحلي ، وحمد المريض ، والشيـــخ سوف ، والمختار كعبار ، وغيرهم من المتجمعين في السدادة قريبون منا ايضا ، فما علينا نحن الا محاصرة العدو في وادي دينار ، بحيث اذا جاء الطليان من الجهة الشرقية اعترضهم زعماء السدادة ، واذا قدموا من الغرب اعترضهم اولاد سيف النصر والمشاشة ، فلم يبق لهم الا طريق واحد هو وادي دينار من الشمال .

وعلى هذا الاساس نظم عبد النبي جيشه للمعركة ، فقسم « من الجيش

---

4) رواية قراسياني وتجعلها خمسة الاف مجلة الوحدة العربية عدد 21 السنة 2 بتاريخ 1 ديسمبر 1972 .

يمتد مع ضفة الوادي اليمنى ، وقسم يمتد مع المرتفعات بالضفة اليسرى ، فيصبح العدو ضمن كماشة . كنت القسم الشرقي من الوادي حين جاءنا عمي ليلا ، واخبرنا ان العدو يوجد في راس دينار زاحفا ، وان علينا ان نتقدم على جانبي الوادى ، فتقدمنا ، وفي نحو الساعة الثالثة صباحا (5) وكان الوقت شتاء ، والبرد قارسا ، وصل الى عبد النبي رجل من زليطن يسمى (شرف الدين العمامي) واخبر ان الزعماء النازلين في السدادة قد تخلوا عن موقعهم وارتحلوا الى جهات اخرى وتركوا الطريق مفتوحا الى بني وليد ، وان الايطاليين يزحفون من الشرق ، وطلب من عبد النبي ان يمده بقوة من الفرسان تنضم الى نحو 300 مسلح من رفقائه فعساه بذلك ان يتمكن من ايقاف الايطاليين (الزاحفين من الشرق) يومين على الاقل ، واسعفه عبد النبي بمجموعة من الفرسان ، ولكن ـــ من سوء الحظ ـــ وجد قوته قد فرت امام قوات القائد (ميزتي) وتركت الطريق امامه حرا وحاول فرسان ورفلة بقيادة الهادي بن يونس ايقافه دون جدوى في معركة جرت في وادى غبين شرقي بني وليد .

وفي هذه المجابهة سقط من فرسان ورفلة والد السيد علي ثامر شهيدا في المكان المسمى (مردان) اثناء محاولته التصدي لزحف الايطاليين في شجاعة وجراة رحمه الله .

مراسلات ومفاوضات : وقبل وصول الجيوش الزاحفة الى مشارف بني وليد حاول الجنرال قراسياني ان يستجلب عبد النبي بالحسنى فارسل اليه عدة رسائل مع جماعة كان عبد النبي يحترمهم ، محاولا اقناعه بعدم جدوى المقاومة ويعده ويمنيه ، ولكن هيهات فعبد النبي كان مصمما على المقاومة الى الموت ، بيد انه لم يصرح بنيته هذه الى قراسياني في رده على رسالته التي عمد فيها ـــ حسب عادته ـــ الى الغموض والتملص من اظهار نواياه الحقيقية .

يقول قراسياني (6)

« كان من الواجب ضرب الثوار ضربة قاضية بحرمانهم من تلك الوسيلة التي كانت لا تزال باقية لهم ، وهي اتصالاتهم باقليم ورفلة .

---

5) من يوم 26 ديسمبر 1923 .

6) نحو فزان ص 202 ـــ 203 و 217 ـــ 218 ـــ 219 .

ولقد كان رئيس هؤلاء الاهالي الاخيرين عبد النبي بلخير في الظاهر بعيدا عن عمليات الثوار ، ومع هذا فقد وجد زعماء الثوار ورجالهم المسلحون في أرضه ملاذا وموارد لهم ، وكان هو ايضا قد قام شخصيا بانشاء وتسليم بعض محلات كان الغرض منها مجهولا .

كان في الاتصالات التي تمت بينه وبين سلطـاتنا السياسية يحاول كسب الوقت ، وبينما كان يعمل على أن يذيع بين رجاله انه على اتفاق مع الحكومة ، وفي مفاوضات معها كانت نيته لا يستطيع أحـد ادراكها ، ولا يعرفها حتى أخلص خلصائه .

ولقد كان الهدف النهائي هو بلدة بني وليد عاصمة اقليم ورفلة ، ومقر عبد النبي ، وهي مركز عظيم الاهمية لالتقاء طرق القوافل ، وكان قد عسكر حولها اكبر عدد من القوات التي كان من الممكن أن يوجهها عبد النبي ضدنا متى لزم الامر .

ثم قال متحدثا عن الزحف وعن المفاوضات مع عبد النبي قبل الوصول :

« ولاسباب سياسية تأخر التحرك لمدة يومين آخرين حتى يمكن وضوح مسلك عبد النبي بلخير بما فيه الكفاية بعد تبادل هذين الخطابين » .

رسالة قراسياني : « الى عبد النبي بلخير »

أرسلت اليك خطابا مني بواسطة الحاج المبروك ، مع خطاب من أحمـد الفساطوي الموجود معي هنا ، وخطابا آخر من حسونة باشا تعطيك ضمانا وتأمينا كاملين ، وفي حالة ما اذا كانت الخطابات المرسلة مع الحاج مبروك لم تصل اليك ، فانني أنقل اليك مع هذا نسخة من خطابي ومن خطاب أحمد الفساطوي ، وأرسل اليك فضلا عن ذلك ، نسخة من منشور اذاعه على الاهالي سعادة الحاكم العام .

وبهذه المناسبة الفت نظركم أن هذه أول مرة يذاع فيها منشور من قبل سعادة الحاكم العام ، ومن ذلك تستطيعون ان تدركوا أهميته .

واني أخطركم ـــ فضلا عن ذلك ـــ بأن الجيوش قد تلقت امرا بالتحرك

في اى اتجاه في الاراضي للبحث عن الفارين واعادتهم لبلادهم ، لذلك كان من الانسب لكم ولاهالي بلدتكم ان ترودا علي في أقرب وقت ممكن .

19 ديسمبر 1923

الجنرال قراسياني

رسالة عبد النبي :

الى الجنرال قراسياني المحترم ،

بعد التحية ــ قد تسلمت خطابكم وخطاب السيد حسونــة باشا ، وكذلك خطاب احمد بك الفساطوي ، وقد قرأت هذه الخطابات على زعماء البلاد الذين فهموا الغرض الحقيقي منها ، ولقد صرحــوا جميعا انهم لم يتصوروا قط أن الحكومة ترمي للذهاب الى ورفلة بالقوة وذلك أن ورفلة كانت منذ ابرام معاهدة الصلح حتى الآن ، قد بقيت محائدة ولكن ،لما كانت القوات تتقدم دون تأخير ، فان هذا يخالف ما تم الاتفاق عليه في الماضي .

أرجو أن تتفضلوا بقبول احترامي وتحياتي .

14 جمادى الاولء 1923 (7)

المخلص : عبد النبي بلخير

وعلى اثر هذه الرسائل ، تقدم قراسياني بجيشه سالكا (العرقوب) الواقع غربي دينار ، بينما تقدمت محلة ميزتي من الشرق مع وادي سوفجين وكانت على موعد مع محلة الكولونيل (مالتا) القادمة من مزدة لتحولا معا دون هروب ورفلة الى الجنوب .

المعركة : غفل عبد النبي عن انه أمــام قائد عسكرى محنك علمته تجاربه السابقة في حرب الليبيين أن يكون متحذرا من المزالق الى أبعد حدود التحذر ، ولذلك لم يقع في الشرك الذى نصبه له ، فلم يسلك طريق وادي دينار ، قال قراسياني (8) .

---

7) يلاحظ ان تاريخ 14 جمادى الاولى المذكور يقابلــه 2 جانفــي 1924 حسب الـرزنامة التونسية والظاهر ان خطــا وقع في نقل تاريخ الرسالــة اذ ان الرسالة كتبت قبل 26 ديسمبر بلا ريب وهو اليوم الذي وصل فيــه قراسياني الى مشارف بنــي وليد ووقعت فيه المعركة الفاصلة .

8) نحــو فــزان ص 230 .

« لما كانت لديه (لدى عبد النبي) قوة قوامها أربعة الآف بندقية تقريبا فقد كان متأكدا كل التأكد من أنه يستطيع انزال الهزيمة بجنود الحكومة بتجديد مأساة العطش التي كان ضحيتها رمضان الشتيوي » .

تنبه اذن — قرازياني الى الكماشة التي أعدها عبد النبي ، فخرج من الوادى الملغم أمامه الى (العرقوب) غربي الوادي بحيث فاجأ الحماة الموجودين في الضفة الغربية من الخلف .

يقول الشيخ علي الجدي واصفا المعركة :

« غيرت القوات القادمة من الشمال طريقها عندما أدركت أن المجاهدين يحتلون مرتفعات دينار ، وصعدت الى اليمين نحو المشارف غربي دينار بحيث ظهرت وراء المجاهدين .

وفوجيء المجاهدون بوجود الايطاليين خلفهم يسيرون مع العرقوب الموصل الى ساحة النصب التذكاري الآن ، فأسرعوا لصد القادمين بدون نظام ، وفي فوضى ، ورغم ذلك استطاعوا أن يرجعوا الفرقة الحبشية على أعقابها ثم الفرقة العربية ثم اصطدموا بقوة الفرسان التي كان يقودها (خربيش)
ولكن السلاح العصري الذى يملكه العدو ، والاضطراب الحاصل في صفوف المجاهدين نتيجة مفاجأتهم بتغيير الخطة تسبب في استشهاد كثير من المجاهدين في ساحة المعركة ، بالرغم من البطولات التي أظهروها ، والاستماتة في الدفاع عن بلادهم ، فلقد رأيت بعيني أحد المجاهدين دخل وسط ابل التموين للجيش الايطالي يقاتل منفردا حتى قطعوه بالسيوف .

ووصلت الطائرات لتشير الى الايطاليين بأن محلتهم الشرقية تقترب من البلد فتشجعوا وتجمعوا ، وواصلوا زحفهم الى بني وليد ، وكنا نحن المجاهدين الباقين أحياء نسير في جهد ومشقة بإزائهم من الشرق .

ودامت المعركة من قبل طلوع الشمس الى العصر تقريبا وبقيت الساحة الواسعة حيث يوجد النصب التذكارى الآن مغطاة بالجثث ، منا

ومنهم ، وانتقل القتال الى القرى ، قرية بعد قرية علـى طول وادى بني وليد ،ولم تنته المعركة الا في اليوم الثالث ليلا (28 ديسمبر) .

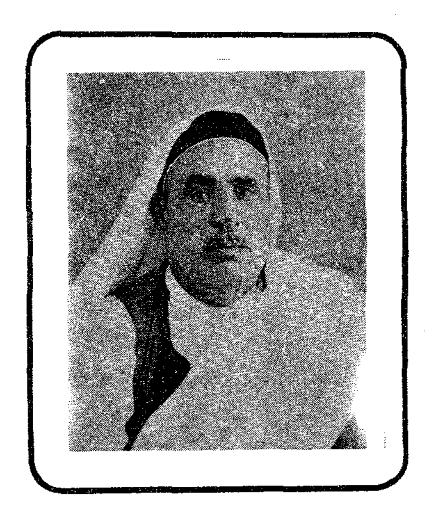
واثناء الايام الثلاثة للمقاومة كان الناس يتسللون جماعات بنسائهم واولادهم خارجين من البلد ، وخرج عبد النبي ، وتبعه من أهل البلد 90 أو 95 بالمائة من السكان » .

وقال الشيخ علي ثامر :

« سلك الايطاليون الى اليمين وراء صفوف حراس الوادى وانتبهنا لهم حين أصبحوا خلفنا ، فأطللنا عليهم فرساننا ورجالة ، وتضعضعت صفوف محلتهم في الصدمة الاولى ، وكانت الطائرات تحوم فوقنا وتمطر المناشير داعية للاستسلام ، وأرسلنا ننبه أهـل البلد للخطـر ، فاعترض السكان الايطاليين ، ووصل الخبر أن محلة ايطالية اخرى وصلت (سوفجين) فدب الخوف في الناس ، وكان عبد النبي يحرض على مواصلة المقاومة ، ومحاولة الافلات من الكماشة الايطالية ، وأذن للناس في الارتحـال والافلات مهما امكنهم ذلك » أ

وقال الشيخ الكاسح زبيدة ؟

« في الصباح الباكر سمعنا دوى المعركة من جهة دينار ، وذهب عبد النبي بنفسه مع مدفع الى العرقوب ، وظهر الايطاليون من جهة (غلبون) حيث كانت توجد محلتنا الغربية ، وفيها عثمان بن خليفة سكيب ، وعبد الرحمان الباص ، وعبد الرحمان زبيدة بالاضافة الى المرحوم عون بن محمد سوف الذى شارك في الدفاع عن ورفلة ، وكانت المعركة ضارية دامت من الصباح الى ما بعد الظهر ، حين وصل الخبر الى عبد النبي بأن محلة ايطالية ثانية قادمة من (سوفجين) فأمر الناس بالرحيل ، ووصل هو الى منزله ، وخرج منه قرب المغرب في خمسة فرسان ، وصعد من (شعبة فزان) شرقي منزله وأخذ طريق (شميخ) ، وكان أرسل عائلته قبل ذلك في حماية أقاربه ، على أن المعركة لم تهدأ فقد بقيت جماعات من حماة الـوادى يقاومون زحف جيش قرازياني حتى يتيحوا الفرصة لاهلهم فيفلتوا مـن الاسر ، واستمر السكان في الارتحال كامل ليلة 27 ديسمبر ورغم احتلال قصر بني وليد يوم



الشيخ علي ثامر .



الشيخ الكاسح زبيدة .



الشيخ عبد الله معتوق الدعيكي .



الشيخ علي محدد الجدي .

27 ديسمبر 1923 فقد استمرت المقاومة في القرى ، ودامت الى نهاية اليوم الموالي 28 ديسمبر ، وتمكن أغلب السكان من الرحيل ، فمنهم من أفلت من شميخ ومنهم من صدته قوة (مالتا) عن شميخ فمال الى جهات أخرى أفلت منها الى أراضي فزان جنوبا وسرت شرقا » .

وقال الحاج عبد الله معتوق الدعيكي :

« وصل الايطاليون بقيادة قرازياني ، وكنا ننتظرهم في روابي دينار ، وعند الفجر ، علمنا أنهم سلكوا (المحيمل) فملنا اليهم ، وبدأت المعركة ، فانهزم الاحباش ودخلت المعركة فـرق (السبابيس) : الخيالة ، واحتدم الضـرب ، وهناك أصيب جـوادى ، واستمـرت المعركـة الى نحـو الساعة الرابعة مساء ، وقد اثروا فينا تأثيرا بينا .

وقبل انهزامنا كان عبد النبي قد وصل الى (مقراوة) (9) مع المدفع ، ولكن خبرا مفاجئا بقرب محلة ايطالية اخرى اضطر عبد النبي الى الرجوع للبلد فوجد الناس قد شرعوا في مغادرتها فركب جواده ، وأفلت من شعبة فزان سالكا طريق شميخ .

فـي صباح اليوم الموالي كنا فـي شميخ وهنـاك اصطدمنا بالقوة الايطالية فناوشناها القتال حتى تلخصنا من الحصار ، وذهب عبد النبي الى المساعيد في زمزم فارسل الينا من يبحث عنا الخ » .

تطويق عبد النبي : يقول الشيخ الكاسح زبيدة :

« وصل عبد النبي الى شميخ ليلا فأمر بتجميع الناس هناك والاستعداد لغزو الايطاليين في بني وليد نفسها ، ولكن فوجيء فـي الصباح بوصول الايطاليين الى شميخ ، ووجد نفسه محاصرا ، فركب جواده بسرعة وتبعه بعض الفرسان ، وهاجم الفرسان الايطاليين المقتربين منه .

وكان هجومه سريعا أربكهم ، وحاولوا ان يجعلوا له ممرا بينهم حتى يتمكنوا منه فداهمه نحو خمسين فارسا انقسموا الى قسمين ، كل قسم

---

9) مقراوة : اسم المكان الذي ينتصب فيه الان النصب التذكاري لمعركة دينار .

جاءه من ناحية ، فمرق بين القسمين كالبرق وهــو يطلق رصاصه يمينا وشمالا ، وجروا وراءه ، ولكن جواده كان سريعا فابتعد عنهم » .

وقال الشيخ علي الجدى :

« قصد عبد النبي شميخ ، وكان يريد ان يجمع الناس هناك للمقاومة ولكنه فوجيء بأنه مطوق من طرف محلة مالتا فاضطر للخروج على جواده وفك الحصار في مغامرة عجيبة ، والتجأ الناس للفرار يمينا وشمالا .

وكان رحيل أهلي (عائلة الجدى) في الليلة الثانية من المقاومة ، وفي طريقنا الى شميخ وطلنا الخبر بأن المعركة على أشدها بين محلة الطليان وبين عبد النبي في شميخ ، فاضطررنا الى التوجه نحو طريق ثان يصل بنا الى (النفد) وهو مركز الماء الوحيد بعد (شميخ) وهناك التحقنا بمن سبقنــا من الراحلين ، ومن نفد تحولنا الى (سرت) حيث وجدنا حمد سيف النصر قرب (بوهادى) وعلمنا ان الايطاليين يتحركون نحو (سرت) نفسها » .

ضعف وتخاذل : بدا الندم يدب في النفوس ، وبدأت مناشير الطليان تؤتي أكلها فتبعث الضعف والتخاذل في قلوب بعض المجاهدين ، وتدفعهم الى الطمع في حياة طيبة هادئة تمنيهم بها ايطاليا بعد يأسهم من جدوى المقاومة فرجع كثير منهم الى بلدهم رغم الحاج عبد النبي عليهم في الصبر والبقاء في صفوف المقاومة كما يمليه الشرف . ولما وجد عبد النبي نفسه في بقية لا يقدر بواسطتها على الصمود أمام الايطاليين ارتحل الى جهة فزان .

انتقام قرازياني : احتل قرازياني بني وليد يوم 27 ديسمبر 1923 ، ولم يكد يقضي على جيوب المقاومة حتى أباح البلد لجيشه مــدة ثلاثة أيام يفعلون فيها من الانتقامات ما يشاءون فنهبت الارزاق ، واحرقت المنازل ، وقتل الناس شنقا وذبحا كالخرفان وهدم منزل عبد النبي بقنابل المدفعية .

فعل قرازياني هذا انتقاما لاسرى من الايطاليين كانوا محبوسين عند عبد النبي ، فلما التجأ الناس الـــى مغادرة بلدهم قتلــوا أولئك الاسرى رميا بالرصاص (10) .

---

10) انظر قصة هؤلاء الاسارى في (نحو الفزان) ص 241 ــ 242 .

العور المساكين : وشاع لدى الايطاليين أن رجلا أعور هو الذي قتل اولئك الاسارى ، فأمر قرازياني بجمع كل العور الموجودين في البلد وقتلهم، ونفذ أمره في المساكين الذين ليس لهمذنب الا العور .

قال الحاج عبد الله معتوق :

« رجعت للبلد بعد ستةَ أشهر من مغادرتها ، فلم اكد أستريح في منزلي حتى أحاط بي الاعوان الايطاليون ، ففتشوا المنزل واستاقوني الى مركزهم ، ولم انج من السجن الا بعد تحقيقات وتضييقات وتعذيب ، لكني رأيت من الفظائع ما جعلني أندم على رجوعي للبلد ، فقد شاهدت ناسا يقتلون يوميا أمام أعين السكان الذين يجمعونهم ليرهبوهم بمناظر القتل الفظيعة » .

ولكن تلك الفظائع لم تذهب سدى ، فقد خلقت في النفوس حقدا على المستعمر ، ودفعت القبائل المتناحرة المتنافرة الى توحيد الصفوف والسعي في التخلص من المستعمر الذي لم يذق طعم الراحة في ليبيا الا نحو عشرة أعوام او تزيد قليلا .

مصادرة الارزاق : وعمد الايطاليون بعد استصفاء الارزاق المنقولة بالسلب والنهب الى مصادرة الممتلكات غير المنقولة للمجاهدين ، ومن ضمنها أرزاق عبد النبي بلخير وأولاده التي صدر فيها مرسوم من والي طرابلس بتاريخ 22 فيفري 1924 بعد أقل من شهرين من احتلال بني وليد ، وهذا نص المرسوم :

والي طرابلس الغرب

مرسوم ولائي رقم 211 سلسلة ــ 1 ــ

منشور بالجريدة الرسمية مجموعة 1924

وبعد الاطلاع على المرسوم الملكي المؤرخ في 27 مايو 1919 رقم 886 وبعد الاطلاع على المرسوم الولائي المؤرخ في 17 يوليو 1922 رقم 6140 وبعد الاطلاع على المادة 1 من المرسوم الولائي المؤرخ في 11 أبريل 1923 رقم 1320

يــأمــر

بمصادرة الاملاك المنقولة وغير المنقولة اينمــا كانت الخاصة بملكية العصاة الآتــي بيانهم :

ــ عبد النبي بلخير

ــ مصباح عبد النبي بلخير

ــ أبو عزوم عبد النبي بلخير

ــ يوسف عبد النبي بلخير

طرابلس في 22 ــ 2 ــ 1924

الــوالــي

فولبـــي

هذا بالاضافة الى بيع عقاراته بمدينة طرابلس سنة 1917 وقد صدر اعلان عن طرحها للمزايدة في الجريد ةالرسميــة لولايــة طرابلس الغرب بتاريخ 21 جونيو (جوان) ــ 1 لوليو (جويلية) 1917 ، وهذا نصه :

ولاية طرابلس الغرب الخ

ديوان الكتابة العامة للامور الملكية والسياسية

ادارة الاموال المضبوطة

اعلان مزايدة

انه بتاريخ 12 لوليو (جويلية) 1917 من الساعة 10 الى الساعة 12 صباحا بديوان الكتابة العامة وبين يدي الكاتب العام أو مــن ينوب عنه ، سيوضع في المزاد العلني : الحوش القائم البناء العائد الى الاموال الميرية والمعلن ضبطه ومصادرته من متصرفه الاول وهو عبد النبي بن الخير الاورفلي طبقا للاحكام القانونية وبموجب أمر الولاية الصادر بتاريخ 24 سبتمبر 1916 عــدد 1 وسلسلة ب .

والحوش المذكور كائن بزنقة سوق الحطب عدد 6 ورقم الابواب 14 ــ 16 يشتمل على طبقة سفلية فيها خمسة ديار (بيوت) ووسط حوش ومطبخ وبيت الراحة وماجن (ماجل) وبئرين ، وهو مجهز بمــاء بومليانة ، وعلى

طبقتين عاليتين تحتويان على أربعة دوائر (شقق) منقسمة ، منها دائرتان بالطبقة الاولى ، احداهما تشتمل على أربعة ديار وبيت راحة ومطبخ ومجهز بماء بوملبانة ، والدائرة الثانية تشتمل على ثلاث ديار ومطبخ وبيت راحة ومجهز أيضا بماء بوملبانة ، وعلــى سطح الحوش المذكور موجودة دار مشتركة بين سكان المنزل وهي تصلح لاحتــفاظ ونشر الثياب المغسولة ، والحوش مقيد بدائرة الاملاك بدفتر نومرو 173 .

اخطـــــــار

يفتح المزاد بقيمة 30٫400 فرنـــك ويواصل طبقا للتعاليـــم الادارية والحسابية المسنونة بالمستعمرة والموافق عليها بالامر الملوكي الصادر بتاريخ 22 اغسطس 1915 عدد 1363 ويباشر بالمزايدة ولو بحضور طالب واحد (11).

(نقلا عن الجريد ةالرسمية الايطالية بدار المحفوظات التاريخية ــ طرابلس)

الوثائق المنهوبة : ونهب الايطاليون جميع الوثائق التي كانت موجودة بمنزل عبد النبي .

قال قرازياني في كتابه (نحو فزان) (12)

« ما هي الاسباب التي أدت بعبد النبي الى المقاومة ؟

كان هناك سبب ذو صفة عامة يتركز في المسلك الذى سلكه أثناء الثورة كلها كما ثبت ذلك بوضوح من الوثائق التي وجدت فـــي مسكنه بعد هربـــه » .

---

11) وشاء ربك ان يرفع هذه المظلمة بفضل رجال ثورة الفاتح فصدر قانون من مجلس الثورة المباركة رقم 50 لسنة 1974 باعادة الاملاك المغصوبة الى اهلها من بينها امــلاك عبد النبي بلخير وابنائه التي استرجعت بموجب قرار (لجنة الفصل في طلبات رد العقارات المصادرة والمغصوبة او التعويض عنها) اتخذته اللجنــة في جلستها المنعقــدة بتاريخ 26 ذي الحجة 1395 الموافق 28 ديسمبر 1975 استجابة لطلب يونس عبد النبي بلخير المقيد بالسجل العام تحت رقم (113) .

12) ص 235 .

ما هي هذه الوثائق ؟

وما هي قيمتها ؟

لا شك أنها ذات أهمية كبيرة لم يرد (قرازياني) الكشف عنها ، بل عمد للتعمية حتى في تعبيره اذ ما معنى قوله ؟

(هناك سبب ذو صفة عامة في المسلك الذي سلكه اثناء الثورة) ؟ اليس هذا تعمية مقصودة ؟ اللهم الا أن تكون التعمية ناتجة عن نقص في الترجمة .

ولا شك ايضا ان الوثائق المتحدث عنها تحمل اسرارا كبيرة لو كشف عنها يوما لاضاءت لنا كثيرا من الحقائق عن ذلك العهد وما فيه ، ولكشفت لنا خاصة ما غمض علينا من حياة عبد النبي وسلوكه السياسي والاجتماعي والحربي .



الفصل الثامن

عبد النبى فى فزان

ارتحلت ورفلة مع زعيمها ، من بني وليد ، وانتشرت جماعاتها من شميخ الى النفد ، واجتاز بعضها هذه المناطق الى الجنوب نحو حدود فزان وبعضها الى الشرق نحو سرت .

ونزل عبد النبي شميخ ، واجتمع برفاقه هناك ، وحدثهم في وجوب تنظيم المقاومة واقلاق راحة قرازياني في بني وليد نفسها ، حتى لا يجد فرصة لتنظيم جيشه والالتحاق بالفارين نحو الجنوب والشرق .

معركة شميخ : ولكن هذه الاحلام تبخرت اذ وصلت قوة ايطالية بقيادة الكولونيل (مالتا) قادمة من مزدة الى الشميخ في صباح يوم 28 ديسمبر 1923 اي في اليوم الموالي لاحتلال بني وليد قبل قوات قرازياني آ

وفوجيء عبد النبي الذى وصل الى الشميخ فـــي الليلة السابقة بهذه القوة ، فركب جواده في عدد من فرسانه ، وانشبوا المعركة مع الطليان ، وكاد العدو يطبق عليهم حلقة الحصار ، ولكن رباطة جاش عبد النبي في مثل هذه المواقف الحرجة مكنته من تحطيم الحلقة والخروج منها سالما ، اذ اندفع بجواده في هجوم سريع ، ومرق من بينهم مروق السهم ، وغاب في زوبعة من البارود ، وحماه الله فافلت منهم ، فركضت خلفه فرقة من الخيالة نحو خمسين فارسا (1) انقسمت على قسمين ، قسم اسرع في جانبه الايمن

---

1) روايـــة الكاسح زبيـــدة .

وقسم جرى في جانبه الايسر ،مؤملين الاطباق عليه من الجانبين ، ولكن سرعته في اطلاق النار ، وسرعة جواده في الركض مكنتاه من الافلات سالما ، ورجع المطاردون خائبين .

عبد النبي في الجفرة : وصل عبد النبي الى (الجفرة) مركز اولاد سيف النصر فرحبوا به ، وشرعوا في تنظيم المقاومة على طول حدود فزان ، واختلط المجاهدون في محلات متساندة ، فكانوا من الرجبان ، والزنتان ، وأولاد سليمان ، وورفلة ، والقذاذفة ، ومصراتة ، ومسلاتة ، وترهونة ، ومعدان ، وفرجان ، وصيعان ، وسبعة ، وغنمائمة ، وقوليش ، ومغاربة ، ومجابرة الخ ...

فكان حمد سيف النصر يقود المجاهدين في جهات سرت ، وكانت معه جماعة من ورفلة ، بينما وقفت جماعات أخرى من ورفلة في حدود بلادهم الجنوبية ، وتفرقت جماعات اخرى بين سرت وحدود مزدة ، وكان المدد يصلهم من قبل عبد الجليل سيف النصر وعبد النبي .

عبد النبي في ودان : ويظهر أن المحن المتوالية على الوطن لم تقض على روح القبلية وطموح الزعماء للتفرد بالزعامة ، فحدثت منافسة خفية بين عبد الجليل سيف النصر وعبد النبي بلخير ، وحسب أقوال الرواة ، أن هذه المنافسة ظهرت من قبل عبد الجليل ولم يقابلها عبد النبي بالمثل ، فلم يقاومها ولا تحداها ، بل تألم لها وتأسف ، وبدا منه اليأس والامتعاض ، فلم يكد يرى تصرفات غير سليمة من عبد الجليل ، ويبلغه ما يتحدث به في غيبته ، وما يأمر به الناس من الابتعاد عن عبد النبي ، حتى بادر هذا بالانزواء وابداء رغبته في الانتقال الى مكان بعيد ، وترك الحرية لورفلة في اختيار من تراه صالحا لزعامتها ، فأشار عليه عبد الجليل بالانتقال الى ودان ، وانتقل اليها فعلا ، وهناك ألفى نفسه وحيدا ، وأبلغوه أن عبد الجليل ينهي الناس عن زيارته (2) .

تأثر عبد النبي ، وفاضت نفسه بالاحزان ، فقد تفرقت عنه ورفلة في

2) رواية الحاج حسن الطبولي .

صفوف الجهاد، وكان يدخر لنفسه صديقا مؤملا أن يجد عنده ملجأ ونصرة في وقت الشدة هو خليفة الزاوي ، قائم مقام فزان من قبل الجمهورية منذ تأسيسها 1918 ، فخان الصداقة وحبس عنه قافلة التموين التي أرسلها اليه منذ مدة (3) واستند الى أصدقائه اولاد سيف النصـــر ، فاذا بهم يتبرمون بوجوده ، وربما تمنوا أن يبتعد عنهم .

قال الحاج حسن الطبولي :

بلغنا ونحن في واجهة الجهاد ما ظهر من تصرفات عبد الجليل سيف النصر ازاء عبد النبي ، فأرسلني الشيخ عبد السلام الحقيق الطبولي ، شيخ قبيلة الطبول من ورفلة ، برسائل خاصة الى حمد سيـــف النصر ، وأخيه عبد الجليل، وعبد النبي بلخير، فأما رسالتا ابني سيف النصر فمضمونهما : انه اذا وقع المساس بظفر من عبد النبي بلخير ، فان ورفلة لن تسكت عن الانتقام لزعيمها ، وان ورفلة لن تنقاد الا لعبد النبي ، ولا تسمع كلمة لغيره .

وأما رسالة عبد النبي فمضمونها : أن لا يخشى أحدا فان ورفلة كلها من ورائه .

ولما وصلت الرسائل اعتذر عبد الجليل سيف النصر ، وانكر أن يكون صدر منه ما يمس بعبد النبي من قريب أو من بعيد ، وسعى بنفسه في ارجاع عبد النبي الى مركزهم بالجفرة واحاطته بمظاهر الحفاوة والاكرام .

تحدث عبد النبي الى اولاد سيف النصر (5) عن تخوفاته من تصرفات

---

3) سنأتي بقصة خليفة الزاوي في هذا الفصل .

5) تنتسب عائلة سيف النصر الى قبيلة اولاد سليمان ، ولهم ارتباط تام بورفلة ، فهم حسب تعبير الجهة (الصف الفوقي) الذي يقابله (الصف اللوطي) اي الساحل ، وبلادهم هي الجفرة ومن بلدانها ودان ، وهون ، وسوكنة .

كان جدهم عبد الجليل سيف النصر الكبير ، ثار على الاتراك ، وقتلـــه هؤلاء في (قارة عبد الجليل) بوادي (سوفجين) سنة 1842 م ، وترك ولده سيف النصر الذي انجب حمد ، وعبد الجليل ، وعمر ، وسليمان ، ومحمد ، ومات سيف النصر في ودان بعد سنة 1926 ، ويلاحظ ان حمد وعمر شقيقان ، وبقية الاخوة هم من أم ثانية .

ولما احتلت ايطاليا فزان للمرة الثانية ، هاجرت العائلة الى (تشـــاد) وتحول عبد الجليل وشقيقه حمد الى مصر ، وهناك توفي عبد الجليل ، وكان اخوهما سليمان قـــد قتله الطليان قرب زلـــة .

ولما احتلت فرنسا فزان في الحرب العالمية الثانيـــة جلبت حمد وعمـــر من السودان

خليفة الزاوي المسيطر على فزان ، وعن يقينه أنه على اتصال بالايطاليين واجتمع رايهم على وجوب محوه ، حماية لظهورهم .

ابراهيم السويحلي : احتلت ايطاليا سرت ، فهاجر حمد السويحلي الى مصر ، أما ابراهيم بن المرحوم رمضان السويحلي فقد افترق عن عمه ورجع الى منطقة (سرت) ، فضاقت به السبل هناك ، ومعه قوة من الجند والعتاد ، بعد ما فارقه حمد سيف النصر الى فزان ، وهاجمه الايطاليون هناك ، فتحول الى فزان ، قاصدا الاتصال بخليفة الزاوي ، وكان ابراهيم راسله في الانضمام اليه ، فرحب بالعرض ، وكل منهما ينوى قضاء حاجة في نفسه ، فاما ابراهيم فكان ينوي الاعتضاد بخليفة للانتقام من قاتل والده عبد النبي بلخير — حسب تأكيد الرواة — وأما خليفة فكان ينوى الاعتضاد بابراهيم للقضاء على عبد النبي واولاد سيف النصر ، حتى يمهد الطريق للاحتلال الايطالي .

وسمع ابراهيم بوجود عبد النبي في الجفرة فقصدها بمحلته واثقاله ليزور اولاد سيف النصر ظاهريا ، بينما كان يخفي في نفسه محاولة قتل عبد النبي — ان أسعفه الحظ بالفرصة السانحة .

وفي طريقه وجد قافلة من ورفلة اكثرها من قبيلة (الطبول) ، محملة بالمؤن ، وفيها نفر من الساحل فحياهم وجلس يتحدث مع أهل القافلة ، بينما استولى أتباعه في غفلة على القافلة وأسلحة حماتها ، ونهبوا منها 40 ناقة محملة تمرا .

وافلت من القافلة نفران ، اسرعا بالنبأ الى عبد الجليل سيف النصر ، فأمرهما بانذار عبد النبي في ودان ، ووزع السلاح على الناس استعدادا لملاقاة ابراهيم السويحلي ، وحاول رجال عبد الجليل الهجوم على محلة ابراهيم ، ولكن عبد الجليل منعهم من ذلك ، ورأى أن يستدعي ابراهيم اولا

ونصبت الاول واليا على فزان وأقره عهد الاستقلال في الولاية حتى توفي 14 جويلية 1954 عن سن تناهز المائة ، فخلفه في الولاية اخوه عمر حتى توفي هذا الاخير ايضا أما محمد فقد رجع من مصر وتوفي بعد ثورة الفاتح ، وكان رجع معه من مصر ابن اخيه سيف النصر بن عبد الجليل الذي سمي رئيسا للمجلس التنفيذي .

لمحاولة استرجاع المال المنهوب بالحسنى ، وقدم ابراهيم الى مجلس عبد الجليل بغرفة علي السنوسي ببلدة سوكنة ، ومعه أربعون مسلحا ، وتبادل الرجلان التحية وجرت بين الاثنين المحاورة التالية :

قال عبد الجليل :

ـ كيف سمحت لك نفسك أن تنهب أرزاق الناس وهم في حمايتي ، وكان الاولى أن تطلب منا موافاتك بالتموين الـلازم ، ان كنت محتاجا الى ذلك ، دون ان تورط نفسك في نهب أرزاق المجاهدين بالغصب .

ـ انا لا علم لي بالنوق المنهوبة الا بعد وصولها للمحلة ، وانا مستعد لارجاع ما نهب لورفلة ، أما ما يرجع لاهل الساحل فامره راجع الي ، اتصرف فيه بما اشاء .

ـ اسمع يا ابراهيم ، انت شاب صغير ، ومتحمس للجهـاد ، وانا مستعد ان اساعدك بالمال والسلاح للرجوع الى ميادين الجهاد ان شئت ، وان شئت البقاء معي انت ومن معك ، فعلى الرحب والسعة ، واذا شئت الالتحاق بعمك في مصر فلك ذلك .

ـ انا حر في تصرفاتي لا يستطيع احد ان يصدني عن مقصدي ما دمت لا اضر باحد من اهل هذه الجهة .

ـ اذن ماذا تقصد من مجيئك الى هذه المنطقة ؟

ـ اطمئن ، فانا لا اريد البقاء فيها ، وما انا الا ضيف عابر سبيل ، وسالتحق بخليفة الزاوي في فزان .

ـ لن تستطيع ذلك ، فعسكرك يجب ان يوجه الى ميادين الجهاد ، وأما انت فيمكنك التوجه الى أي جهة شئت . قال الراوي الحـاج حسن الطبولي :

فظهر الغضب على وجه ابراهيم ، وكان في يده كاس شاي فرماه بعيدا بحركة فيها تحد واحتقار لمخاطبه وقال : يستحيل ان اسلم عسكري .

وقام من مجلسه غاضبا ، وتبعه اصحابه ، واراد الناس ان يعترضوا

سبيله فمنعهم عبد الجليل لانـــه كان امنه قبل ذلك ، ولكنه امرهم بحمل السلاح والاستعداد للحرب .

مقتل ابراهيم : والتحق عبد الجليل فـــي اتباعه بمحلة ابراهيم بمكان يسمى الرواغة بوادي الحصان وحالوا بينه وبين الرحيل ، ونشبت الحرب بين الجانبين ، وسقط القتلى من هنا وهناك ومن بينهم ابراهيم السويحلي ــ رحمه الله وغفر له (6) .

قصة خليفة الزاوي : كان خليفة هذا متصرفا على فزان ، فناواه أولاد سيف النصر ، ولم يذعنوا لحكمه ولا سلموا له النفوذ فوقعت بينه وبينهم مصادمات ، ثم اتفقوا على أن يترك لهم الجفرة ويكتفي هو بفزان ، وكانت لخليفة الزاي علاقات وثيقة مع عبد النبي بلخير وتربطه به صلات صداقة منذ ان اقترح تعيينه متصرفا للواء فزان خلفا لسلفـــه التركي الذى كان خليفة يعمل معه سكرتيرا ، فقد اقترح عبد النبي علـــى حكومة الجمهورية سنة 1918 م ان يعين خليفة على رئاسة منطقة فزان ، بعـــد ان انسحب منها المتصرف التركي ، ولذلك كانت اتصالاته الادارية بـــعد تنصيبه على اقليم فزان ، عن طريق عبد النبي بلخير ، وكانت كل شؤونه الادارية والمالية تتم عن طريق بني وليد ، حيث كانت هي أقرب منطقة الى اقليم فزان ، وكان يربطها خط لاسلكي بالمحطة الرئيسية ببني وليد التي اقامها الاتراك ، وعن طريقها يتم الاتصال باسطنبول مباشرة ، كما أن جميع الاعتمادات المالية والادارية مرتبطة بعضو الجمهورية المقيم ببني وليد ، ولذلك كان خليفة شديد الصلة بعبد النبي بلخير .

لهذه الاسباب كان عبد النبي يثق في خليفة الزاوي ويطلعه على كثير من أسراره التي من بينها انه في حالة غزو الايطاليين لمنطقة ورفلة واحتلالها سيلجا الى فزان لمواصلة الوقوف في وجه القوات الايطالية التي سيصعب عليها دخول اقليم فزان ، وأظهر خليفة الزاوي لعبد النبي استعداده لذلك ،

---

6) ولد ابراهيم سنة 1905 أو 1906 وقاد الجيش بعد استشهاد عمه سعدون سنة 1923 وعمره 17 سنة ومات في وادي الحصان في 19 مارس 1925 .

واخذت حكومة الجمهورية تمد خليفة بكل ما لديها من الاحتياطي من المال والسلاح لتركيزه بفزان ، حتى اذا ما حل يوم الحـــاجة وجدوا امامهم قوة ومركزا حصينا يساعدهم على مواصلة الجهاد .

واستمر خليفة الزاوي على هذه الحال طوال سبع سنــوات الى ان جاءت ساعة الحاجة اليه ، وتمكنت قوات العدو الايطالي من احتلال مناطق طرابلس والجبل وورفلة ، واخذ المجاهدون يلجأون الى الجفرة بعد احتلال مناطقهم ، ولكن عبد النبي بلخير لاحظ في المدة الاخيرة بعض التصرفات المريبة عن موقف خليفة الزاوى من الجهاد والمجاهدين ، فقد وقف موقفا جامدا ولم يحرك ساكنا عندما زحفت الــقوات الايطاليــة على بني وليد ومزدة المجاورتين لاقليم فزان ، فدب الشك الى عبد النبي بلخير حول الموقف الذى وقفه خليفة الزاوي ، وأخذت الظنون تتأكد عنــده بأن خليفة الزاوى له اتصالات مريبة بالحكومة الايطالية ، وفي هذه الحالة ستكون كارثة كبرى على حركة الجهاد باقليم فزان تكسر ظهور المجاهدين ، لانه لم يبق للحركة الوطنية اي مقر ولا ملجأ يتجهون اليه الا اقليــم فزان الذى يسيطر عليه الزاوى .

وقبل أن يتجه عبد النبي بالخير الى منطقة الجفرة ، اراد أن يختبر موقف خليفة الزاوي ويتحقق من وضعه ، فجهز قافلة كبيرة من الابل تقدر بحوالي (150) بعيرا ومعها بعض من رجاله . وأرسل معهم رسالـــة الى خليفة الزواي بسببها ، يطلب فيها تزويد رجاله بما يستحقون اليه من المؤن، ولكن ــ مع الاسف ــ تحققت كل الظنون التي كانت تســاور عبد النبــي بلخير ، فقد اتخذ خليفة الزاوي موقفا معاديا مع عبد النبي بلخير ، فاستولى على القافلة ، واعتقل الذين معها (6) ، ومنع دخول أي نازح من المجاهدين الى اقليم فزان ، وبذلك ظهر موقفه واضحا أمام الجميع ، وعندما وقعت هذه الواقعة تجمع كل الناس الذين كانوا متجهين الى فزان من قبائل ورفلة والقذاذفة ، والزنتان ، وغيرهم من سكان الوطن القبلي ، تجمعوا حول عبد

---

6) لم يرجع رجال القافلة الا بعد نحو ثمانية اشهر جماعات وأفرادا متفرقين لا يحملون في ايديهم شيئا مما ذهبوا من أجلــه .

النبي بلخير وطلبوا منه الراي في خطة يتخذونها لفتح الطريق امامهم ، حيث وجدوا أنفسهم محاصرين بين فكي كماشة ، العدو الايطالي من ورائهم ، والعميل خليفة الزاوي امامهم ، فأين المفر ؟

هناك قرر عبد النبي بلخير الاتجاه نحو الجفرة والاجتماع بأولاد سيف النصر لتوحيد الجهود حيال هذا الموقف ، لكي يسلكوا مسلكا مناسبا لفك هذا الحصار الذي ضرب عليهم من الامام والخلف ، وبعد تبادل وجهات النظر واستشارة رؤساء القبائل ، استقر الرأي على التدابير التالية :

1 ــ يقوم احمد سيف النصر على راس قوة من المجاهدين من مختلف القبائل بالتصدي للقوات الايطالية ومنعها من الزحف نحو الجنوب للالتحاق بالمجاهدين ، ويعسكر بقواته على نقاط متفرقة بوادي زمزم .

2 ــ يقوم عبد النبي بلخير على راس قوة اخرى من المجاهدين بالاتجاه نحو فزان والعمل على تطهيرها من أنصار الطليان بقيادة خليفة الزاوي الذي أصبح اتجاهه واضحا بعد اتخاذه موقف العداء باستيلائه على قافلة المجاهدين .

3 ــ يبقى عبد الجليل سيف النصر بالجفرة كمركز لحماية الاسر والعائلات التي اتخذت من الجفرة مركزا لتجمعها منذ عام 1924 م ، وفعلا اتجه عبد النبي بلخير نحو فزان ، ودارت بينه وبين خليفة الزاوي معارك كبيرة، ورغم العتاد الذي كان مخزونا لدى خليفة منذ زمن بعيد ، والذي كان يعتمد عليه زعماء المجاهدين كاحتياطي امامهم ، لاستعماله عند الحاجة في الحرب ضد القوات الايطالية ، واصبح الآن يستعمله خليفة الزاوي ضد المجاهدين النازحين الى هذا الاقليم في أدق الظروف واحرجها ، بالاضافة الى الكميات التي تلقاها من الايطاليين .

ورغم الفارق بين الجبهتين في العدد والعدة ، فقد استطاع المجاهدون بقيادة عبد النبي أن يطهروا اقاليم فزان من هذا العميل واتباعه بعد حرب استمرت زهاء سنة كاملة ، لجأ بعدها خليفة الزاوي الى (مرزق) عاصمة اقليم فزان ، واعتصم داخل أسوارها ثمانية أشهر ، وخلال هذه الفترة

التحق عبد الجليل سيف النصر بعبد النبي بلخير ، وحاصرا معا خليفة الزاوي داخل مرزق ، الى أن استسلم ، وقد عهدا به الى أحمد السني وسالم ابن عبد النبي ليبقى تحت كفالتهما بدلا من أن يعدم ، ولكن هذا المارد استطاع الفرار من بين ايدي ضامنيه وتوجه الى صفوف العدو الايطالي ، ووصل الى غريان ، وقدم نفسه لرئيسه الحقيقي الجنرال غراسياني ، فعينه على رأس قوة كبيرة من المرتزقة ، وواصل بعد ذلك متابعة المجاهدين ، وملاحقة صفوفهم ، حتى تمكن الايطاليون من احتلال كامل اقليم فزان .

يقول قراسياني عن خليفة الزاوي (7) .

« في سنة 1918 بعث خليفة (الزاوى) بصفته متصرفا لمدينة فزان

مندوبا الى طرابلس (احمد العياط) زعيم أولاد بوسيف ، ليسلم الى صاحب السعادة الحاكم العام السنيور مركاتيللي بعض خطابات صرح فيها انه يظهر الولاء والخضوع الى الحكومة الايطالية ثم استمر على اتصال بالحكومة الايطالية عن طريق المراسلة بواسطة قيادات هذا الاقليم ، الا أنه نظرا لمعارضته في امداد زعماء الثوار من جديد بالاسلحة والمؤن وقع في نزاع معهم ، ونجح في ان ضرب أولا عبد النبي بلخير ثم عبد الجليل سيف النصر على أن الحظ لم يبتسم له طويلا عندما جمع الزعيمان المذكوران آنفا محلاتهما واصطدما معه في الزيتونة ، ونجحا في ضرب خليفة الذى ما كان منه ، وقد اصيب بالهزيمة ، الا أن انسحب الى مرزق حيث بقي محصورا فيها مدى ثمانية أشهر ، ولذلك تحتم عليه بسبب نفاذ الاقوات لديه ، ان يرضخ لارادة الزعيمين عبد الجليل سيف النصر وعبد النبي بالخير اللذين ، بعد ان اصبحا منتصرين ، عملا على تحطيم خليفة والتخلص منه ، فعهدا به أولا الى أحمد السني ثم الى سالم بن عبد النبي ، بيد أن خليفة استطاع الفرار من بين يدى هذا الاخير وتوجه الى الطابونية (1926) حيث لاقى شعورا عدائيا سواء من جانب زعماء أولاد بوسيف أو مدير المشاشي وقتئذ محمد بن حاج حسن ، على أن زعماء أولاد بوسيف تذرعوا بحجة اصلاح الاضرار التي

7) نحو فزان ص 290 ـ 291 ـ 292 .

احدثها من قبل رجال خليفة المسلحون ، واستطاعوا بذلك أن ينتزعوا منه ما كان قد بقي في حوزته من ثروة بما في ذلك جواده وخادمه وبندقيته وجمله .

اما محمد بن حاج حسن فقد ابقاه سجينا حتى لا يستطيع مراسلة الحكومة الايطالية لكن خليفة الزاوى ، وقد وجد نفسه في هذا الضيق الشديد ، انتهز فرصة حديث تبادله مع الشيخ احمد قرزة وتمكن من الابتعاد عن مدينة الطابونية ، وأن يجد له مؤئلا في مزدة حيث قدم نفسه الى سلطاتنا ، ومن ثم وصل الى غريان واستقبل فيها باحترام بالغ وسرعان ما انخرط في صفوفنا .

انه رجل يتحلى يالاخلاص والشجاعة النادرة ، ويتمتع بقوة الشخصية ، وله تأثير كبير على جنوده ، وبوجه عام على كل العرب في فزان ومنطقة القبائل ، كما أدى خدمات جليلة بصفته قائدا للقوات المسلحة ، ولسوف يكون في مقدوره ان يؤدى خدمات اخرى ، طالما انه يضمر كثيرا من الحقد والكراهية لكافة المتحدثين بلسان الثوار وزعمائهم الذين اصلوه كل نوع من أنواع الضيق والعذاب .

ولقد كان خليفة يحكم فزان في ذلك الوقت حكما مستقلا كما كان يعلن أمام كل زعماء الثورة الاخرين ميله الى الاستناد الى الحكومة الايطالية ، ثقة منه في أننا سننزل في فزان باسرع وقت ممكن ، وكان هو من غير شك سيعمل على تسهيل هذا النزول وشد ازره ، وكانت قد عقدت في ذلك الوقت علاقات وثيقة مع (ابي بكر لقوي) زعيم غات . الذى تم تعيينه (قائمقاما) واعترفنا به ممثلا وطنيا لنا في تلك الواحة النائية التي لم نقم بعد باعادة احتلالها » .

انتهى كلام قراسياني عن خليفة الزاوى ، وهو غني عن الشرح والبيان للادوار التي قام بها خليفة الزاوي ضد حركة الجهاد .

ويتضح للقارىء من كلام قراسياني موقف هذا الرجل العميل الذي منذ ان نصبته حكومة الجمهورية سنة 1918 متصرفا لاقليم فزان ووضعت فيه

ثقتها ، كان على اتصال وثيق مع قوات العدو الايطالي ، وقد ذكر غراسياني مراسلاته واتصالاته ونواياه بكل وضوح ، وافتضح امره من موقفه من قافلة الزعيم عبد النبي بلخير التي ارسلها الى فزان لاختباره بعد أن بدأت الشكوك تحوم حوله ، فكان أخطر على الجهاد والمجاهدين من العدو الايطالي نفسه ، فهو يعرف أسرار وتحركات المجاهدين ونوايا زعماء الجهاد منذ ان كان يراوغهم طوال سبع سنوات وبموقفه هذا كون اكبر واخطر جبهة أمام النازحين الى الجنوب من المجاهدين ، وهم على حالة سيئة من فراغ الزاد والعتاد ، واستغل هذا الضعف وتصدى لهم بالمقاومة نيابة عن القوات الايطالية ، ولولا بسالة المجاهدين وشدة عزمهم لما استطاعوا ان يشقوا طريقهم نحو تطهير اقليم فزان من هذا العدو الذي لم يكشف عن موقفه الا في الوقت المناسب لضرب المجاهدين من الخلف ، وفي الوقت الذي كانت فيه المعارك على أشدها بين المجاهدين بقيادة سيف النصر والعدو الايطالي الذي يحاول الزحف على الجنوب ، وحتى لا يبقى المجاهدون في حصار رهيب بين قوات الزحف الايطالي نحو الجنوب ، وبين قوات خليفة الزاوي الضاربة بالاقليم ، توزعت جهود الثوار للتصدي للقوتين ، كما اشرنا الى ذلك سابقا.

وبعد أن تمكن عبد النبي بلخير وعبد الجليل سيف النصر من احتلال فزان عاد عبد الجليل الى مركزه بسوكنة وبقي عبد النبي بسبها حاكما عاما على اقاليم فزان ، ونظم ادارتها وعين مأمورين اداريين وقضاة في كل المناطق والواحات التابعة لها ، والتحقت العائلات والاسر التي كانت مقيمة في الصحراء باقليم الجفرة بمنطقة فزان ، حيث اتخذتها مقرا لها ، اما الرجال الذين يحملون السلاح فقد عادوا الى جبهة القتال مع اخوانهم في معية أحمد سيف النصر ، وبقي الوضع العام على النحو التالي :

الرجال المجاهدون بقيادة أحمد سيف النصر في الجبهة على طوال الصحراء بين اقليم طرابلس وفزان يهاجمون المعسكرات الايطالية بين حين وآخر ويعرقلون خططهم في التقدم نحو الجنوب ، وقد وقعت في هذه الفترة عدة معارك أهمها ــ معركة الحشادية ــ ومعركة قارة عافية ــ ومعركة الشويرف ــ والطابونية ، والقريات وغيرها .

ـ أما عبد النبي فدوره البقاء في حكم فـزان قائما بتنظيم الشؤون الادارية والمالية ومد صفوف المجاهدين بما يحتاجونه من أقوات وعتاد .

ـ عبد الجليل سيف النصر ، ودوره البقاء في الجفرة حلقة اتصال بين عبد النبي بلخير من جهـة واحمد سيف النصر من جهـة ثانية ، وتنظيم العلاقات والاتصالات بين القيادتين السياسية والعسكرية ومساعدة اللاحقين بهم من المناطق الاخرى ، وتسهيل اتصالاتهم بفزان خاصة العائلات والعجزة ، وبذلك تكونت في الجنوب خطة منظمة بعد أن تمكن الثوار من التخلص من العميل خليفة الزاوي واستمر هذا الوضع على حاله بفضل الجهود المكثفة بين زعماء الثوار منعام 1924 الى غاية 1930م عندما تمكنت القواتالايطالية بقيادة غراسياني من احتلال الاقليم ، وضرب المقاومة التي استطاعت الوقوف أمام الغزو بكل صلابة سنوات عديدة ، ولولا تعاون العملاء امثـال خليفة الزاوي وغيره مع العدو ، لما استطاع الايطاليون التقدم الـى الجنوب ولو شبرا واحدا ، ولكن المثل العامي يقول : (القريب الخائن سلوم العدو) .

وهكذا كان خليفة الزاوي سلما مريحا للاستعمار الايطالي وتغلغله في مختلف أجزاء الوطن ، ولو لم يكن خليفة الزاوى على هذه الصورة من الخداع ، ولولا الدور الذي لعبه مع الايطاليين منذ أن نصب على اقليم فزان لما كانت الحالة على الصورة التي حصلت . ومع ذلك كله لم يكـن احتلال الايطاليين للجنوب سهلا ، فقد تكبدوا في سبيل ذلك من الضحايا البشرية والاموال مالا يحصى .

والغريب أن فترة هذه الاعوام التـي كانت كلها معـارك وهجومات وكروفر ، كل هذه الاحداث بقيت مهملة في التاريخ ولـم يتناولها المؤرخون الليبيون ويعطوها حقها من التوضيح والبيان ، ولولا ما كتبه قادة العدو مثل غراسياني لبقيت هذه الاحداث طي النسيان (والفضل ما شهدت به الاعداء).

احداث وقعت خلال السنوات المذكورة تجـدر الاشارة اليها

1 ـ **نبؤه عبد النبي** : استسلم خليفة الزاوي ، وسلم قلعة مرزق ، ويقول الرواة انه بتداخل من الزعماء احمد السني من قنطرار ، وبوبكر قرزة

من أولاد بوسيف ، وسالم عبد النبي من الزنتان ، تخلص خليفة من القتل بشــــرط :

ــ ان يطلق سراحه ويبقى مقيما لدى الوسطاء وتحت ضمانهم

ــ ان يدفع حالا مبلغ (8000) ليرة ذهبية هــي دين في ذمته لعبد النبي كان أقرضه اياها حين كان عبد النبي في بني وليد ، واطلعهم الاخير على وثائق كتابية بامضاء خليفة تثبت صحة الدين المدعى به ، واقر خليفة بالدين ، ودفع مبلــغ (6000) وطــرح عبد النبــي (2000) تلبية لطلب الوسطاء ، ويؤكد الرواة : أن عبد النبي كان راغبا في قتل خليفة ، وهي أول مرة يخرج فيها عبد النبي عن صفته الملازمة وهي كرهه للقتل ، ولكن عبد الجليل سيف النصر عارضه وتمكن من الحصول على تخليصه فأطلق عبد النبي نبوءته التي حفظها الناس وحققها القدر ، وهي قوله لعبد الجليل :
ــ سيأتيك (اي خليفة) للجفرة في باندة (جيش) ويــقطع حلي نسائك) .

وقد رجع خليفة للجفرة في فرقة ايطالية ، واستولى على منزل عبد الجليل سيف النصر ، ومزق حلي نساء المنزل من آذانهن ورقابهن .

2 ــ **مقتل الزعيم فرحات الزاوي** : كان من بيــن الذين اتجهوا الى اقليم فزان المجاهد فرحات الزاوى ، وكان هذا الرجل يعتقد انه سيجد في خليفة الزاوي مسندا ونصيرا لحركة الجهاد والمجاهدين وايواء النازحين لاقليم فزان ، تلك كانت توقعاته ، ولم يكن يتوقــع أن خليفــة الزاوى له اتصالات مريبة مع الايطاليين ، فقدم فرحات الى فزان ومعه جمع من رفاقه من منطقة الزاوية (الكوارغلية) وكان مقدم فرحات الزاوي في الفترة التي استولى فيها خليفة الزاوى على قافلة زعيم المجاهدين عبد النبي بلخير ، وبما ان فرحات الزاوي كان في العهد التركي قائمقاما في الشاطىء بفزان ، ويعرف فزان ورجالاتها معرفة جيدة ، لذلك خشي خليفة الزاوى من نفوذه ، خصوصا عندما اتضح له موقف خليفة ، وفهم نواياه واتصالاته بالطليان ، وحاول أن يجره معه في هذا الاتجاه الا ان الزعيم فرحات اظهر معارضته له ، وحاول ن يقنعه بالعدول عن المسلك المخزي الذى يسلكه خليفة الا ان

هذا الاخير اصر على موقفه ، ولم ير بدا من التخلص من الزعيم فرحات ؛ وعندما اشتد الخلاف بينهما حاول فرحات الرجوع الى الجفرة للانضمام الى عبد النبي بلخير وعبد الجليل سيف النصر ، فمنعه خليفة من ذلك ، وبعد ان ابقاه مدة معتقلا لديه أرسله مع بعض من جنوده وامرهم بقتله في الطريق ، وتنفيذا لهذا الامر ، تحركوا به حتى وصلوا الى منطقة (زلاف) وهناك نفذوا فيه أمر القتل ، وهكذا انتهت حياة هذا الرجل العظيم المجاهد على يد السفاح خليفة الزاوي ...

وتجدر الاشارة هنا الى ما جاء في كتاب الشيخ طاهر الزاوي حيث يقول (8) :

« وهكذا انتهت حياة هذا الرجل على يد هؤلاء الظلمة في ظروف اكتنفها من الغموض ما جعل اسبابهامجهولة كل الجهل وكان ذلك في شعبان 1343 مارس سنة 1925 .

والواقع انه بعد سرد الوقائع والحقائق الواردة في هذا الكتاب اتضحت جليا الاسباب التي ادت بخليفة الزاوي الى قتل المجاهد فرحات ، ولم يبق هناك اي غموض ولا التباس ، ولم افهم الاسباب التي جعلت مؤلف كتاب جهاد الابطال يسدل ستارا من الغموض على وفاة فرحات الزاوي . ثم ينسب الى فرحات بعض الاتهامات التي لا تستند الى اي دليل أو برهان اذ يقول في كتابه (9) ان فرحات « اقترح على خليفة الزاوي أن يتصلوا بالطليان لعلهم يصلون معهم الى حل فيه شيء من الراحة للمهاجرين ؛ وحصلت اتصالات مع الطليان في طرابلس عن طريق غدامس وكانت محتلة بالطليان ، قام بها كمال بن فرحات بك الخ » .

والغرابة في هذا الامر ، كيف يقترح فرحات على خليفة الاتصال بالطليان لضمان راحة المجاهدين بعد ان وصلت الامور الى حد لم يكن فيه اي مجال للتباحث أو التفاهم مع الايطاليين ، علما بأن خليفة الزاوي كانت

---

8) جهاد الابطال ص 370 .

9) ص 369 .

اتصالاته مع الايطاليين وثيقة ومتينة منذ سنة 1918 كما تقدم ، والاغرب من ذلك ، كيف يعزب هذا عن الشيخ الطاهر الزاوي وهو يعتمد على كتاب غراسياني اعتمادا كليا في استقاء كثير من الوقائع الواردة في كتابه منه ؟

والحقيقة التي لا غبار عليها ، أن المجاهد فرحات الزاوي لم يقم باي اتصالات بالايطاليون ولم يحاول ذلك لا بواسطة خليفة ولا غيره ، ولو اراد ذلك لما خرج من طرابلس مهاجرا الى فزان ، معرضا نفسه للاخطار والمتاعب ولا كان خليفة الزاوي في حاجة الى من يوجهه للاتصال بالايطاليين ، وهو الذي ارتبط معهم منذ زمن بعيد بشهادة الايطاليين انفسهم على لسان الجنرال غراسياني ، وهكذا يتضح أن مؤلف كتاب جهاد الابطال قلب الحقيقة ونسب الى المجاهد الشهيد فرحات الزاوي اتهامات واقوالا لا تليق بمقامه ، مبرئا بذلك خليفة الزاوي من العمالة للحكومة الايطالية ، والاسباب التي دفعت الشيخ الطاهر لهذا المسلك غير واضحة وعدم الوضوح في مسلك الشيخ يتمثل أيضا في موقفه ازاء خليفة الزاوي عميل الايطاليين اذ يمر بعمالته متسللا ، محاولا ان تبقى الحقيقة مردومة فيكتفي في كتابه (10) بذكر حرب بين خليفة وبين اولاد سيف النصر استمرت تسعة اشهر وختمت باتفاق « على أن يترك لهم فزان ويذهب هو الى (اوباري) ونفذ هذا الاتفاق ، وكان الطليان آنذاك لم يخرجوا الى فزان ، ولكنهم كانوا يستعدون لها ، فاستأنف خليفة صلته بهم ، وتحصل منهم على وعود ورأى فيها ما يكفل له حياته ، فالتحق بهم في طرابلس » .

هكذا يخلط الشيخ بين المناوشات الاولى بين خليفة وأولاد سيف النصر وبين الوقائع الثانية بين الفريقين ، ويتناسى تماما ذكر اسم عبد النبي بلخير في القضية وهو صاحب القسط الاوفر فيانهزام خليفة والقضاء عليه قبل ان يجد الفرصة لخدمة الايطاليين ضد المجاهدين ، ويتناسى أيضا اسر خليفة وافلاته أو تهريبه ، كما يتجاهل كليا ذكر خيانته للمجاهدين من بني وطنه ، ويكتفي بالاخبار عنه : انه ذهب مع الطليان الى فزان (وتم احتلال فزان على يديه سنة 1348 (1929) » .

---

10) جهاد الابطال ص 370 — 371 .

هكذا بكل بساطة كانه يفتخر باحتلال فزان على يديه لفائدة الايطاليين .

3 ـ تمرد محمد بن الحاج حسن المشاي على الايطاليين : قدم محمد ابن حاج حسن المشاي زعيم قبائر المشاشي على عبد النبي بلخير حاكم منطقة فزان وأخبره بأنه تخلى عن العمل الى جانب الايطاليين ، وطلب منه السماح له بدخول فزان والعمل مع صفوف المجاهدين ، ولكن عبد النبي لم يسمح له بدخول فزان الا بعد ان يقوم بعمل ضد القوات الايطالية يكون برهانا على صدق نواياه ، وطلب منه العودة الى جبهة القتال ليقف في وجه القوات الايطالية ، وبالفعل عاد محمد بن حاج حسن الى منطقة مزدة ، وشكل محلة من جماعة المشاشي وبعض القبائل الاخرى ، وخاض بهم معركة شهيرة تسمى بمعركة (خرمة ابو غرة) على مشارف بلدة مزدة ، كبد فيها القوات الايطالية خسائر فادحة في الارواح والعتاد ، وبهذه المعركة شاد صيت محمد بن حاج حسن بين صفوف المجاهدين ، ودخل هو وأتباعه الى فزان ، وبقي مع عبد النبي بلخير الى أن هاجر معه الى الجزائر ، وهكذا آخر ايام هذا الرجل في ميدان الكفاح الوطني .

فزان تحت حكم عبد النبي : لم يكد عبد النبي يستقر في فزان حتى بادر الى تنظيم ادارته على غرار النظام الذي كان أقره في بني وليد ، فقسم البلاد الى مديريات سمى عليها مديرين ونوابا من بين أعضاده يذكر منهم الرواة .

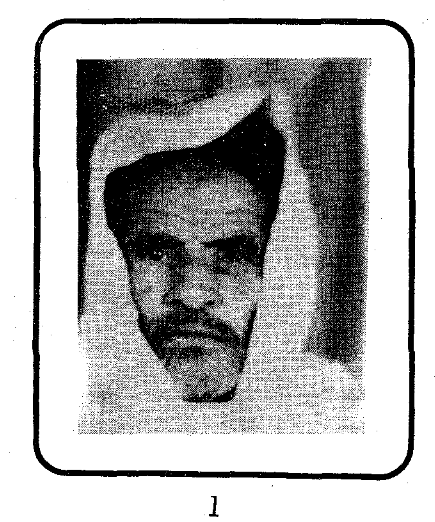
علي شاهين ــ عبد الهادي زرقون ــ محمد حلمي الجحاوي ــ الطاهر اليازي (مدير مالية) ابن جديرية ، عبد العزيز الجميل ، علي بوستة النائحي ، عبد الرحمان الباص الخ ، كما عين لهذه المناطق قضاة شرعيين من العلماء منهم : الشيخ محمد النعاس الفقهي ، والشيخ الطاهر عبد الواحد الخ .

ونظم المجاهدين في حصص يتناوبون الجهاد ضد الايطاليين ، وعين الموظفين الاداريين والماليين ، ورسم المرتبات والاجور ، واستخلص

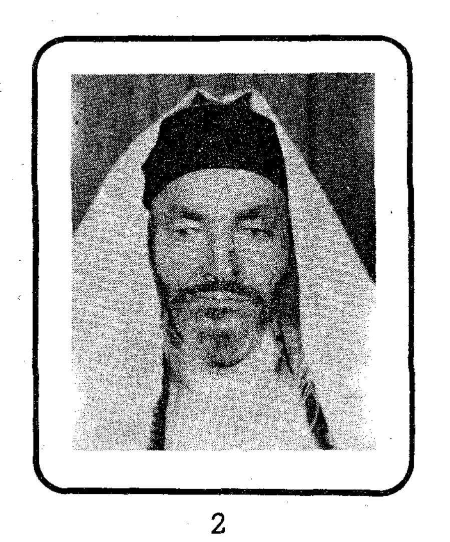
الضرائب والاعشـــار التي كان اغلبها يصرف في لـــوازم الجهاد ضد العدو الزاحف من الشمـــال .

وبقي عبد النبي يحكم فزان مستقلا من سنة 1926 التي استسلم فيها خليفة الزاوي الى أواخر سنة 1929 التي وصلت فيها الجيوش الايطالية الى فزان ، فاضطر عبـــد النبي الى فتح مفاوضات سرية مـــع الفرنسيين في (جانت) بصحراء الجزائر ليسمحوا له بالدخول مـــع أتباعه الى جهتهم ، فلبوا طلبه على شرط أن لا يدخل أحد لحدودهم الا بضمانه ، وان يسلموا اسلحتهم للسلط الفرنسية ، واذ ذاك قرر عبد النبي التـــحول الى مصيره الجـــديد .

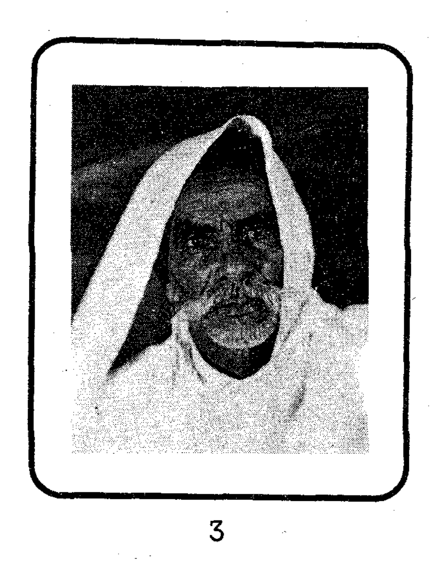
وفي طريقه الى الجزائر اعترضته صعوبات وأحداث سنشير اليها في بداية الفصل الآتي .



1



2



3

1 الحاج حسن الطبولي

2 الحاج مفتاح بشابش

3 الشيخ عبد الهادي زرقـــون

الفصل التاسع

نهاية عبد النبى

منذ معركة بئر تاقرفت 25 فيفري 1928 بدا الطليان في احتلال فزان بلدا اثر بلد ، وكانت حركتهم الاولى بطيئة يكنفها الحذر ، والاستعداد للطوارىء .

وكانوا قد احتلوا قبل ذلك ودان في 14 فيفري 1928 ، واتخذ منها قرازياني قاعدة لتغذية العمليات الحربية في فزان ، وتحول أولاد سيف النصر ، في أولاد سليمان والقذاذفة الى (واو) ،وهناك التحق بهم الايطاليون فاحتلوها في 5 ديسمبر 1929 فدخل أولاد سليمان ومن معهم الى حدود (تشاد) ، ولم يبق أمام قراسياني ألا عبد النبي بلخير في نحو اربعة آلاف من اتباعه .

عبد النبي في الصحراء : لم يبق أمام عبد النبي الا الاسراع بدخول حدود السودان ، أو الجزائر ، واتصل بالفرنسيين في منطقة جانت ، وجاء الرد بأنهم على استعداد للترحيب به مع اتباعه .

وكان قد تحول الى (وادي عتبة) بالصحراء بمجرد علمه بتحرك الايطاليين نحوه . وهناك انتظر رد الفرنسيين .

قال الشيخ علي الجدي :

« كنا نحن المجاهدين من ورفلة نقاوم فرق المرتزقة التابعة للايطاليين

في (زلاف) و (قضم) و (ربوة العياط) و (قرية الشنينات) و (تمزاو)، وفي هذا المكان الاخير كنا نحاصر قوة من العدو حين وصلنا النبأ بأن قوة أخرى عتيدة خرجت على (أم العبيد) و (تمزنت) وتقدمت الى (تمننت) قرب سبهـا ، وكانت اثقالنا في سبهـا ، فـرجعنا اليها مسـرعين ، وقصدنا هون ، وهناك وصلنا بريد من عبد النبي يخبرنـا أن أولاد سيف النصر قطعوا الرمل ، وأن العدو يزحف نحونا فعلينا ان نسرع الى اللحاق به ، فغربنا الى (وادي عتبة) حيث وجدنا عبد النبي ينتظرنا في قلة ، أما بقية النجع فقد تقدمت قبله ، وكان قد رتب أموره مع الفرنسيين للانتقال نحو حدود الجزائر » .

غارة تارقية : كانت ابل ورفلة الزائدة عن حاجة النقل تقيم في مكان يبعد عن النجع بمسيرة يوم ونصف ، ومعها من الحماة ثلاثة رعاة فقط ، فشن عليها التوارق من سكان (غات) غارة تتكون من ستين مهريا ونهبوها .

قال الحاج مفتاح بشابش احد رعاتها :

« كنا ثلاثة مع الابل ذهب احدنا لجلب الماء على ناقة ، وبقينا اثنين ففاجانا ستون مهريا واطلقوا علينا النـار ، فطاردناهم ، فـرجعوا الينا وارهبونا بشحنات من رصاصهم فجرح صاحبي ودافعت عن نفسي حتى وصلني صاحب الماء فرجعنا الى صاحبنا واركبناه ناقة الماء ، وقصدنا الحي وكان الوقت مغربا .

واخبرنا عبد النبي بالحادث ، فهاج رجال الحي واخذوا اسلحتهـم ليلتحقوا بابلهم ، فنهاهم عبد النبي ، ووعدهم بان ابلهم سترجع اليهم بدون قتال ، اذ ظهر ان المغيرين من (توارق) غات وان الابن الاكبر لشيخ غات وزعيمها المسمى (قولي) بتفخيم القاف ، هو الذي كان يقود الغارة ، وكان والده (ابو بكر اللقوي) يتظاهر بصداقة عبد النبي .

وارسلنا عبد النبي خمسة من الحي برسالة الى (اللقوي) فبتنا ليلة في (البرجوج) ومن الغد وصلنا الى (غات) ولما علم (اللقوي) بالواقعة ظهر على وجهه الخوف ، اذ يظهر انه كان غير عالم بالغارة ، ووعدنا بانه سيبحث عن مكان الابل وسيرجعها الينا .

واخبر ان نوقا منها جلبت الى (جانت) فارسلني مع احد اعوانه الى الحاكم الفرنسي بجانت ، وعثرنا على النوق في سوق جانت فاسترجعناها بواسطة الحاكم » .

وقال الشيخ على الجدي متمما قصة الابل المنهوبة .

« ارتحلنا في طريق (غـــات) ونزلنا بظاهرهـــا فاستقبلنا زعيمها (اللقوي) في ثلاثمائة مهرى ، وامر بنصب ملعب للمهاري مظهرا الترحيب بنا، وطلب اللقوي مقابلة عبد النبي فرفض مقابلته ، واعلموه انه غاضب لنهب الابل ، وبعد الحاح وعد باقتباله في اليوم الموالي .

وانتقلنا الى المدينة نفسها فنزلنا في مصب وادي (تنزوه) باحواز (غات) وانتشر رجال ورفلة فـــي المدينـــة واحوازهـــا ودكاكينها للبيع والشراء ، وخاف التوارق من هذا العدد الضخم الذي نـــزل ببلدهم ، وفي قدرته أن يكتسحها بما فيها .

وقابل (اللقوي) عبد النبي ، وتحدثا في قضية الابل فاعتذر (اللقوي) بان ابنه كان يظن الابل للزنتان ــ وقد كـــان التوارق نهبوا ابلا للزنتان ، فاسترجعوا أغلبها منهم ونهبوا مدينة غات ــ وادعى ان الابل تفرقت وليس في الامكان ردها باعيانها ، ولكنه مستعد الى دفع ثمنها مالا وعروضا ، فرفض عبد النبي وطالب بارجاع الابل في اجل ثلاثة ايام والا استباح البلد .

وجمع اللقوي نصيبا من الابل من عدة جـهات جلبها بواسطة اعوان ركبوا المهاري للبحث عنها ، ودفع مقابل نصيب آخر مالا وعروضا من اقمشة ومواد غذائية ، والباقي كتب فيه وثيقة اعتراف بانه مدين به الى عبد النبي يدفعه له متى طالبه به .

نحو الحدود : وارتحلنا من غات صحبة خبراء من أعوان (اللقوي) ونزلنا بمكان يسمى وادي (ركين) جنوب غات ، ومـــن هذا المكان رجع الخبراء ، وكان قراسياني الذي احتل غات يوم 24 فيفري 1930 يتبع اثرنا مرحلة اثر مرحلة ، فكلما ارتحلنا من مكان ، نزله قراسياني بقواته .

والتقى قراسياني بالخبراء الراجعين ، فسالهم عنّا فاخبروه ان عبد

النبي اجتاز الحدود الجزائرية في قوة مسلحة عتيدة لا يستطيع جيش في تلك الصحراء النيل منها .

وتقدمنا نحن في سرعة الى وديان (الشبرم) داخل الحدود ، فصادفنا هناك شهر الصيام المعظم ، وبيننا وبين (جانت) التي نقصدها وينتظرنا فيها الفرنسيون نحو عشرة مراحل ، فامرنا عبد النبي بقضاء رمضان هناك ، وطلبنا منه ان يذهب في وفد الى جانت لمقابلـــة الحاكـــم الفرنسي الذي ينتظرنا فقال :

ـــ لن اذهب اليهم الا بعد عيد الفطر .

وانتقد بعض اصدقائه هذا التصرف منه ، اذ ربما يكون سببا في ظن الفرنسيين فينا بعض الظنون » .

وقال الحاج مفتاح :

« وكان عبد النبي يخبرنا بتنقـــلات المحلة الايطالية خلفنا مرحلة مرحلة ، حتى لكأن فيهم من يخبره بتحركاتهم ، وحتى ظن البعض أن الرجل لا يخلو من الصلاح اذ الصالحون هـــم الذين تكشف الحجب بينـــهم وبين الاشياء التي يريدون الاطلاع عليها .

من ذلك ، اننا حين وصلنا الى الحد الجزائري ، وهو عبارة عن سطر من الربى المتناثرة ، وقد نالنا التعب من الارتحال المتوالي ، وطول المراحل، واستأذنا في الاستراحة هناك ، فقال :

ـــ تقدموا ، لا راحة الا بعد اجتياز الحدود ، لان الايطاليين سيبيتون هذه الليلة في هذا المكان .

ونزلنا داخل الحدود ، وفي الصباح الباكر افتقدنا بعض الابل فرجعت للبحث عنها ، وحين اشرفت علـــى الروابي التي عينهـــا عبد النبي لمبيت الايطاليين ، ظهر لي معسكرهم هناك ، وديدباناتهم فوق الربى .

ووصل الحي وادي (جانت) فنزلنا ، ونصبت خيمة عبد النبي الكبرى وفرشت ، وجلس هناك مطمئنا ، ونبهه بعض الاعيان الـــى وجوب زيارة الحاكم الفرنسي ، فابتسم وقال :

ـــ سيأتي هو بنفسه الى خيمتي .

وجاء فعلا الى الخيمة في وفد من الضباط العسكريين فجلسوا حوله يتحدثون ، ووزع عليهم الشاي ، وكان بعض الضباط يتلمسون الزرابي والستائر من الاثاث الموجود في الخيمة ، مظهرا اعجابه بجودته ، فكان عبد النبي يقول لكل من أعجب بشيء :

ـــ خذه ، هو لك هدية مني .

ووزع عليهم كثيرا من الطرائف ، وبذلك اصبحوا يترددون علينا ، ويتقربون الى عبد النبي ، ويتفقدون احوالنا ، ويحاولون أن يذللوا لنا كل صعوبة ، فكان يكفي ان تقول للفرنسي اني من أتباع الزعيم عبد النبي بلخير ليؤدي اليك التحية العسكرية (1) » .

قراسياني في جانت : ويظهر ان قراسياني كان له أمل في المفاهمة مع عبد النبي ، فالتحق به الى جانت في أربعمائة مهري ، حسب رواية الشيخ على الجدي ، بعد استئذان الفرنسيين ـــ بدون ريب ـــ ، لانه كان لا يريد ان يخسر أربعة آلاف من اتباع عبد النبي ، سيظلون أعداء لايطاليا هم وأبناؤهم ما كتبت لهم الحياة .

نزل قراسياني ضيفا على الفرنسيين ، ورغب منهم أن يكونوا واسطته للاجتماع بعبد النبي ، والمفاوضة معه على الرجوع بأتباعه الى بلده ، على شروط محترمة تلتزم ايطاليا أمام الفرنسيين باحترامها وتنفيذها.

وعرض الفرنسيون رغبة قراسياني على عبد النبي ، فكان جوابه الحاسم :

ـــ اذا لم يرحل قراسياني من هنا حالا ، فاني سآمر رجالي بمهاجمته .

ولكي يقرن القول بالفعل ، أمر بضرب الطبل فاجتمع اليه رجاله من كل

---

1) رواية الشيخ علي الجدي .

حدب وصوب ، ولم ير الفرنسيون بدا من مطالبة قراسياني بالرحيل ، حتى لا ينفتح باب مجزرة هم في غنى عنها ، ورحل قراسياني بـــدون رجعة .

وطلب الفرنسيون من عبد النبي ان يعين لهـم حـراسا من اتباعه يساعدون أعوانهم على حراسة الناس وأمنهم ، فأسعفهم بمرغوبهم ، وبعد مدة انتقل الحي الى وادي (تيهاوت) وهو قريب من حدود النيجر ، وفي هذا الوادي الماء الكثير ، والمراعي الخصبة التـي عــاش فيها الحيوان ، واطمان الناس ، الا ان هذا الوادي ـــ حسبما يذكر الرواة ـــ كان منقطعا عن الاسواق التي تبعد عنه كلها بحوالي أربعين مرحلة كأسواق هقار ، وعين صالح ، وورقلة ، وزاوية سيدي موسى ، فاضطر الناس الى توجيه قوافل كبيرة الى هذه الاسواق وخاصة ورقلة ، وعين صالح ، لجلب التموين .

عبد النبي في ورقلة : وبعد مضي مدة على نزولنا بـــ (تيهاوت) قاد عبد النبي قافلة ضخمة ومجموعات من الاتباع الى (ورقلة) لجلب التموين من جهة ، وللمفاهمة مع الفرنسيين على ترحيل الناس الى تونس .

ورحب الفرنسيون كثيرا فـــي ورقلة بعبد النبـــي وأتباعه ، فكانوا يترددون عليه وتتوالى زياراتهم له ، وبعد مفاهمات معه طلب الفرنسيون تعيين من يتولى احصاء الناس الراحلين الـــى تونس ، والاشــــراف على ترحيلهم ، فكلف عبد النبي (على شاهين) أحد اعيان ورقلة باحصاء الناس والاشراف على عمليات الترحيل ، كما كلـــف الشيخ علي بن محمد الجدي بالاشراف على تسليم المساعدات المالية والاطعمة والتجهيزات للمرتحلين .

قال الشيخ علي الجدي :

« كنت كلما ارسل السيد علي شاهين فوجا من ورقلة التحق به انا بعد خمسة عشر يوما الى وادي سوف على سيارة ، وهناك اسلم للفوج ما يلزمه من طعام ومـــال ليأخذ طريقه الـــى البلاد التونسية ، حيث تتلقاه السلطة هناك ، وتوزع الافواج على مناجم المتلوي وصهيب ، والمظيلة ، للعمل فيها .

وبعد ما نظم ترحيل الناس الى تونس رجع عبد النبي بقافلته المحملة بالتموين والسلع الى مخيمه بـــ (تيهاوت) .

سر لم يطلع عليه أحد : حرص الفرنسيون حسب الروايات المتواترة على ان يذهبوا بعبد النبي الى عاصمة الجزائر لمقابلة الوالي العام الفرنسي، بعد انتظام رحلات اتباعه الى تونس ، ثم يحولونه بعد ذلك الى باريس للمفاهمة مع حكومتها ، فأجابهم : بأنه لا يستطيع تلبية رغبتهم في تلك الظروف .

وكثر ترددهم عليه بسياراتهم في مخيمه بتيهاوت وتوالى الحاحهم في مصاحبتهم الى عاصمة الجزائر ، وتوالى امتناعه متعللا بشتى الحيل ، وكان اتباعه يتعجبون من موقفه ، وكان هو لا يبرد غلتهم باطلاعهم على سر امتناعه ، حتى يوم رحلته الاخيرة الى ورقلة التي مات فيها ، ففي يوم سفره من المخيم وقف بجنب جواده ، وقال لمشيعيه ومرافقيه في تأثر واضح :

يا جماعة ، اذا كانت هجرتي هذه خالصة لله ، فاني اطلب منه تعالى ان لا ارى الفرنسيين بعد يومي هذا (3) .

وتعجب الناس ، اذ ما الذي حمله على التلفظ بهذا الدعاء ؟ وما الذي انكر من الفرنسيين وقد اكرموا وفادته ، وساعدوه على حفظ كرامته وكرامة اتباعه ؟

ان هنالك ــ بلا ريب ــ سرا لا يعرفه الا هو ، ولكن الناس تكهنات كثيرة حول هذا السر ، اذ لربما عرض عليه الفرنسيون امرا يرمون من ورائه الى قضاء مصلحة من مصالحهم الاستعمارية ، وراى فيه مسا بكرامته ولكن ما هو هذا الامر ؟ ذلك سر انطوى بموته الى الابد .

نهاية عبد النبي : بقي عبد النبي في مخيم وادي (تيهاوت) نحو سنة وهو يرسل افواج ورفلة الى (ورقلة) فوجا اثر فوج ، والفرنسيون يترددون عليه في المخيم ، واعيان اتباعه يقومون على تسيير تلك الافواج في الصحراء بواسطة أدلاء نابهين ، ويشرفون على ترحيلهم الى تونس ، حتى آخر فوج منهم كان ينوي عبد النبي الانتقال معه بأهله ، ولكن ابنه

---

3) رواية الشيخ علي الجدي .

الاكبر (مصباح) كان لم يرجع بعد بقافلته من (عين صالح) ، فاضطر عبد النبي الى ابقاء عائلته وعائلات أقاربه في المخيم ريثـما يرجع مصباح من رحلته ، ويرجع اليهم هو من (ورقلة) ، ويرحل بهم الى المكان الذي ينوي الاستقرار به ، والتحق بالفوج الاخير الذي سبقه في طريق (ورقلة) .

كان يوم رحيله يوما عابسا مكفهرا اطلقـت فيه ريح السمـوم أعنتها فأثارت الرمال ، واشتعل بحرارة قاتلة تلفح الوجوه ، وتحرق الارجل داخل أحذيتها ، انه يوم من أيام شهر أوت الكالحة سنة 1932 .

التضحية في سبيل الغير : ركب عبـد النبي جواده الاصيل مجنبا مهريا فارها ، وتبعه نحو ثلاثين من أتباعه يسوقون أمامهم اربعة عشر بعيرا محملة بقرب الماء ، وأوغلوا في الصحراء الجهمة المخيفة ، تلفهـم برمالها الكالحة من جميع الجهات وتحصب وجوههم بحباتها الملتهبة ، وتلفحهم بوهج نارها المشتعلة .

وفجأة عثروا على الفوج الذي كان ارتحل قبلهم قد نفد ماؤهم، وشرع الموت عطشا يختطف بعض صبيانهم ممن لم تكن لديه قوة الاحتمال ، فأمر عبد النبي بانزال قرب الماء حالا ، وأسعف العطاش بادئا بالنساء والصبيان حتى نفذت الاحمال الاربعة عشر ، ولم يبق من الماء بعـد ارتواء الحي الا شربة واحدة قدمها له رفقاؤه ليدفع بها غائلة العطش القاتل ، فأمر بتسليمها الى صبيين كانا يصحبانه هما خادمه الاسود (فرج) وعمره نحو العشرين ، وابن اخيه (اللافي) بن المبروك ، وعمره لا يتجاوز الرابعة عشر ليتعللا بها ، ريثما يصلون الى بئر الماء القريبة حسبما أكد ذلك الدليل .

في طريق التيـه : وتقدمت القافلة تاركة خلفها الفو ج الذي ارتوى منذ قليل بزاد عبد النبي من الماء ، واشتدت الرياح ، وارتفعت حرارة الطقس ، وجفت حلوق الراحلين ، وصار الدليل يرتقي ربوة اثر ربوة ، وكثيب اثر كثيب ، ويمد ببصره الى جميع الجهات فلا يـرى الا سحابا من الرمال سد الفضاء ، وأطبق على الارض ، وحدق عبد النبي في وجه الدليل ، وتساءل :

ــ هل الماء قريب ؟

ــ لم أعد افهم شيئا في هذا الجو المكفهر ، ولم ار اي علامة تدل على مكان الماء ، ويظهر اننا أضللنا الطريق ، وأصبحنا نمشي في أرض التيه التي لا يعرف لها طول ولا عرض ، ولا شرق ولا غرب ، والامر لله . وسمع الراحلون كلماته فانهارت عزائمهم ، وارتعشت ركبهم ، ودب في نفوسهم الهلع ، فأردف الى عطشهم شدة ، والى تلهفهم على الماء التهابا ، وصارت الابل تتساقط ، والرجال تتهاوى ، فادرك عبد النبي أنهم اصبحوا بين مخالب الموت ، فأمر بالنزول وبناء الخيام ، ليستظل تحتها العطاش ، وتستريح الابل من الهول الذي تمانيه ، وكانت في القوم بقية ساعدتهم على نصب الخيام والالتجاء الى ظلها ، وبركت الابل حولها مادة رقابها على الارض الملتهبة ، مستسلمة للموت الذي ينتظرها .

فقدان الزعيم : واقام عبد النبي خيمته (قيطون) ووضع فيها صندوق ذخائره المغلق ، وسلم مفتاحه الى خادمه الصغير فرج ، الذي أوى الى الخيمة مع رفيقه (اللافي) وتقاسم الصبيان جرعة الماء الاخيرة عندهما واستسلما لمصيرهما .

اما عبد النبي فقد ركب جواده وتقدم به متوغلا بين كثبان الرمل المحرقة ، باحثا عن البئر المقصودة ، مؤملا أن يساعده الحظ في العثور عليها فينقذ من رفاقه من قدرت له الحياة .

وغاب الجواد بفارسه غيبة لم يرجع منها ، اذ تاه في ذلك البر المخيف ، وعثروا على الجواد ميتا بعد يومين (4) أما عبد النبي فلم يعثر له أحد على أثر رغم البحث المتواصل الذي مارسه أتباعه والفرنسيون وأعوانهم ، ويعتقدون انه مات عطشا وردمت جثته الرياح تحت أحد الكثبان الرملية ، وهو في الثانية والخمسين من عمره رحمه الله رحمة واسعة .

مات عبد النبي بن الخير شهيد العطش في الصحراء المخيفة التي لا ترحم ، والتي ابتلعت كثيرا من البشر قبله من الرواد والمكتشفين

---

4) يقول الرواة ان جواد عبد النبي هذا كان اهداه له صديقه محمد ابو منيار القذافي والد العقيد معمر القذافي عندما كانا معا في صفوف الجهاد بالمناطق القبلية .

والضالين السالكين مناكبها الجهمة ، انها ارض استوى فيها الطول والعرض تعطي خيراتها بغتة ، وتغضب فجأة فتدفن ابناءها تحت رمالها المهيلة والمتنقلة من مكان الى آخر .

دفنت الزعيم عبد النبي بلخير تحت كثبانها ، وتركت اللوعة في قلوب الآلاف من رفاقه وأصدقائه وأبناء عشيرته وعارفي فضله من العرب والاجانب .

انه جوهرة ارادت الصحراء ، بارادة الله ، أن تحتفظ بها لنفسها ، ولا تتركها لتعبث بها الايدي القذرة من المستعمرين من مختلف الاشكال .

لقد دعا الله أن لا يرى الفرنسيين بعد رحلته تلك ، فلبى الله دعاءه ، ومات شهيدا في الصحراء بعدما أنقذ قافلة من عشيرته بالماء الذي كان تزود به لحياته ، فضحى بتلك الحياة في سبيل حياة الغير ، ولاقى ربه عفا طاهرا ، مؤمنا به مخلصا له ، ليقبله برحمته ورضوانه ، في فراديس جنانه .

وفقدت ورفلة بفقده زعيما كان بمثابة الاخ للكبار ، وبمثابة الاب للصغار ، فقدمت لزعامتها بعده — حسب قول الرواة — صديقه ورفيقه عبد الهادي زرقون .

أما رفاقه الثلاثون فقد عثر عليهم أمواتا تحت الخيام ، عدا الصبيين ، وابلهم نافقة في مباركها .

ويتحدث الرواة ان الماء كان على مقربة منهم لا يبعد عن مكانهم أكثر من ثلاثة كيلمترات .

ويوجد الماء في بئرين شمال الرمل الذي مات فيه أصحاب عبد النبي تسمى احداهما (القاسي الطويل) والثانية (بئر التارقي) بينهما مسافة قليلة ، وقد وضعت علامات من الاعواد القائمة بينهما لهداية الضالين ، ورغم ذلك فقد أخفاهما القدر عن العيون لتنفيذ قضاء الرب الذي حكم باستشهادهم عطشا على مسافة قريبة منهما .

العثور على الشهداء : مر في اليوم الموالي ، رجل من التوارق يحمل البريد فعثر على الخيام والموتى ، ووجد في الصبيين بقية حياة تتمثل في نفس ضئيل يتردد في صدريهما ، وكانت شربة الماء الاخيرة التي تركها لهما عبد النبي سببا في ابعاد الموت عنهما الى الغد ، فبادر التارقي باسعافهما بالماء حتى افاقا ، واخبراه بما وقع ، فنقلهما الى احدى البئرين ، ودلهما على الدلو ورشائه ليمتحا الماء عند الحاجة ، ووعدهما بانه سيعلم اول من يجده في الطريق بخبرهما (5) .

صعوبة تعترض الطفلين : مكث الطفلان بازاء البئر ، وادلى فرج الدلو ليمتح الماء ، فانقطع الحبل وسقط الدلو في البئر ، فوقف الصبيان مذهولين امام هذه المصيبة الجديدة . فماذا يصنعان ؟ انه العطش المميت يتهددهما وهما على حافة بئر تتلاطم في قاعها المياه الصافية .

فكر فرج ، وهداه تفكيره الى وسيلة ظن انها كفيلة باستخراج الدلو، والتغلب على هذه الصعوبة ، فربط رفيقه (اللافي) بالحبل ، وانزله الى قاع البئر ، واستطاع اللافي أن يربط الدلو من جديد فيرفعه رفيقه مملوءا ماء ، وارجع فرج الحبل الى (اللافي) ليربط نفسه حتى يرفعه خارج البئر ، ولكن صعوبة جديدة وقف أمامها فرج ذاهلا اذ وجد نفسه عاجزا عن رفع رفيقه من البئر ، وحاول مرات أن يرفعه ، ولكنه كان أثقل مما تتحمل قوته .

وكان الصبي اللافي أشجع من صاحبه ، وأكثر اقداما ورباطة جاش ، فأمره برفع الحبل وبتركه في قاع البئر حتى تاتي النجدة ، وطلب منه ان يأتي بالخبز من المخيم وينزل له في الدلو نصيبه حتى تاتي رحمة الله .

النجدة : ومكث الصبي في البئر يومين قبل ان تصل النجدة متمثلة في قافلة تتكون ــ حسب بعض الرواة ــ من رجل من (شعانبة) الجزائر ، ورجلين من ورقلة ، كان التارقي صاحب البريد قد اخبرهم بوجود الصبيين على البئر بعد موت رفاقهما ، فأخرج هؤلاء (اللافي) من البئر ، واوصلوهما

5) عاش الصبيان بعد ذلك ودخلا البلاد التونسية مع اهلهما وتوفي اللافي مريضا في منجم (صهيب) من ولاية قفصة ، وأما فرج فقد توفي بتونس بعد الحرب العالمية الثانية .

الى حي ورفلة الذي كان عبد النبي قد ضحى بحياته من أجله ، وأخبروهم بالكارثة ، فخف الناس الى الشهداء ، فدفنوهم ، وقوضوا الخيام، ورفعوا معهم الصبيين .

وشكت السلطة الفرنسية في الثلاثة المنجدين ، فقبضت عليهم بتهمة استيلائهم على ذخائر الزعيم الشهيد ، فأقروا انهم عثروا في الصندوق على ثماني قطع ذهبية من الحلـــي سلموها للسلطة ، وكان النـــاس يظنون ان الصندوق كانت به أموال ، وأنواع من الحلي .

وامر الفرنسيون بسجن الشعنبي ورفيقيه ، منتظرين قدوم مصباح بن عبد النبي ليرى رايه فيهم ، ولكن مصباح بمجـــرد وصوله ، طلب اطلاق سبيلهم ، لانه كان لا يعرف ما في صندوق والده ، وأن تتبع اولئك النفر لن يرجع له والده ولا اموال والده .

عائلة عبد النبي في تونس : رجع مصباح النجل الاكـبر لعبـــد النبي بقافلته من (عين صالح) فوجد خبر الكارثة قد سبقه الى مخيم أهله ، فجمع أهله واقاربه ، وما لديهم من حيوان ، وارتحلوا الى (ورقلة) ثم تحولوا الى تونس حيث نزلت عائلة عبد النبي قرب منجم (صهيب) وهنـــاك عاشت العائلة الى سنة 1947 وفي هذه السنة رجع يوسف عبد النبي الى وطنه ، ثم تقاطر بعده أفراد العائلة الى بلادهم فوجا بعد فوج ، وكان آخر من رجع منها (أبو عزوم) عبد النبي ، النجل الثاني للشهيد ، وذلك سنة 1962 .

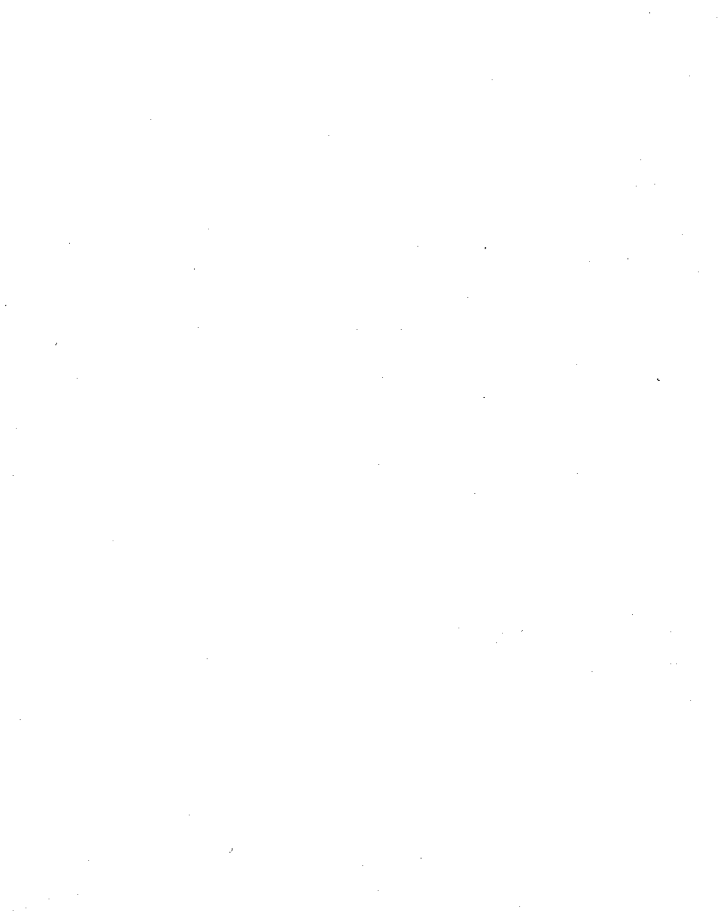
ذكرى معركة دينار : ولم تنس حكومة ثورة الفاتح المبارك جهاد عبد النبي بلخير ولا معركة دينار التي قادها مدافعا عن بلده ، فأذنت باحياء تلك الذكرى المجيدة .

وفي 27 ديسمبر 1972 امتلأت بلدة بني وليد بالوافدين عليها من مختلف جهات الوطن للاحتفال بذكرى معركة (مقراوة) المعروفة بمعركة دينار التي حدثت في 27 ديسمبر 1923 م ، وخرج السكان والضيوف في أهازيجهم وهتافاتهم الى ساحة المعركة التاريخية بمقراوة على بعد نحو 15 كيلومتر شمال بني وليد ، وهناك اقيم النصب التذكاري للمعركة ، وعلـــى جوانبه

ظهرت صورة قائدها عبد النبي بلخير على صهوة جواده الذي خاض به معارك الجهاد ، وفيما يلي صورة جانب مـن جوانب الاحتفال بالذكرى ظهر فيها الناس يهزجون حاملين صورة الزعيم الراحل العظيم .



مسيرة المواطنين بمناسبة ذكرى معركة دينـــار .



الفصل العاشر

اخلاق عبد النبي و اقوال الناس فيه

شعـــــره ــ رسائلـــه ــ عائلتـــه

وصفه الجسماني : وصف لي كثير من الرواة الزعيم عبد النبي بلخير ، قالوا : كان ربع القامة ، ليس بالطويل ولا القصير ، كـث اللحية ، أسود الشعر ، أحمر الوجنتين ، واسع العينين ، ابيض الاسنان ، قوي البنية .

اخلاقه : يستخلص من حديث الرواة الذين عرفوا عبد النبي ، أنه كان يتحلى بالاخلاق العربية الاسلامية العالية ، كالكـرم ، والشجاعـــة ، وضبط النفس ، والتواضع ، والترفع عن القتل ، والذكاء ، بالاضافة الى عقل رصين ، وراي حصين ، ونورد فيما يلي فقــرات مــن اقوال الرواة والمؤرخين فيـــه :

الدهاء : يتفق الرواة : وطنيون واجانب أنه كان على درجة عالية من الدهاء ، وصفاء الذهن ،وهذه نماذج من اقوالهم :

ــ كان بلخير واسـع الحيلة ، كثير الدهاء ، رابط الجأش .

(قرازياني ــ نحو فزان ص 36)

ــ كانت نيته لا يستطيع أحد ادراكها ، ولا يعرفها حتى ولا أخلص خلصائه .

(قرازياني ، نحو فزان ص 202)

ـ كان عبد النبي مكارا حاذقا عندما اعلن ارتباطه واخلاصه للحكومة الايطالية ، ومن الممكن القول بأنه كان روح الثورة والعصيان .

(قرازياني ، نحو فزان ص 236)

ـ ان عبد النبي كان يمثل لدى زعماء الثورة سرا يصعب النفاذ اليه وكشفه ، ولم تفلح معه حتى مهارة عزام ، كما اخفقت جميع المحاولات لجره الى جانبهم بصفة حاسمة .

(التليسي ، بعد القرضابية ص 218 نقلا عن بومبيو جيراردي)

ـ كان عبد النبي أول رجل في الدهاء والسياسة والادراك والمقدرة في تسيير الحكم .

(سالم عبد السلام الشاملي)

الذكاء وصدق الحدس : كان عبد النبي بلخير يخبر عن تحركات الايطاليين ، وليس عنده هاتف ولا تلغراف ، وهو ما يتعجب منه الناس ، خاصة عندما تظهر الحقيقة .

(علي ثامر)

التواضع : كان عبد النبي رؤوفا ومتأدبا ، وكان لا يركب في القبيلة ، بل يمشي على رجليه ، وكان شهما وخجولا ، ويحترم الفقير ، ولم يقتل في حياته احدا .

(الكاسح زبيدة)

الكرم : كان الضيف اذا نظر الى شيء في المجلس أعجبه أهداه له .

(مفتاح بشابش)

ـ كان يوزع في كل عيد اضحى بين 30 و 40 خروفا على فقراء ورفلة .

(عبد الله طليبة)

العقل : كان يلجأ اليه الزعماء طلبا للمعونات واستماع نصائحه وارشاداته ، وكانوا يطيعونه .

(قرازياني ـ نحو فزان ـ ص 236)



الشيخ سالم عبد السلام الشاملي .



الشيخ عبد اللـه طليبـة .

الشجاعةورباطة الجأش : كان رجلا شهما ذكيا الـى ابعد الحدود ، شجاعا ، ورغم الظروف القاسية فانه كان يترفع عن القتـل ، ولم يعرف عنه طوال حكمه أنه امر بقتل احد ، ولو كان من الد اعدائه ، وتعرض مرات الى الغدر ، وامتد السلاح الى جسده ، فكان يكتفي بالانقضاض على الغادر ، ويفتك منه سلاحه ويصفعه ، ويدفعه بعيدا عنه .

وفي واقعة رمضان اسر عددا من ضباط وجنود السويحلي ، فأكرمهم ، وكسا المحتاج منهم ، وأرجعهم الى أهلهم مكرمين مبجلين ، ولم ينتقم من أحد منهم .

(علي محمد الجدي)

ــ في واقعة رمضان ، دخل عليه العوراني في فراشه وطلب منه أن يصحبه ، فافتك منه بندقيته وصفعـه ، ودفعـه بعيدا ، وقال لخادمـه (مرسال) : خوذ الجيفة غادي ــ ولم يتنازل لقتله .

وعبد النبي له وقائع من هذا النوع : ففي مرة اخرى في فزان أرسل الايطاليون رجلا مسلحا ، ليقتل عبد النبي في خيمته ، فتفطن له ، وافتك بندقيته وصفعه ، ودفعه بعيدا ولم يقتله .

وكان في موقعة (الرقيبة) قاصدا ربوة فيها مدافعه ، وكان بعض رجال العدو يتسللون الى الربوة فالتقوا به ، فسدد أحدهم بندقيته نحوه ليصرعه ، فانقض عليه عبد النبي وافتك منـه البندقية وصفعه صفعة القت به بعيدا عنه ، ولم يقتله ، بل استمر في طريقه كأن لم يقع شيء .

ولست أدري كيف تبلغ كبرياء عبد النبي وشموخه الى درجة أنه يترفع عن قتل عدوه ، وهو بين يديه ــ وقد كنت شـاهد عيان فـي الواقعتين الاخيرتين ، اما واقعة العوراني فقد نقلتها بالسماع .

(علي محمد الجدي)

ــ كان الطليان عينوا عبد الهادي بن قطنش قائم مقاما على ورفلة ، وكان سلمهم البلد في غيبة عبد النبي ، وكان عبد الهادي قاسيا ، ولما احتل عبد النبي بني وليد اثر معركة القرضابية ، قبض على عبد الهادي ورفيقه

جلال .. وكره وجودهما عنده ، فأرسلهما مسجونين الى رمضان السويحلي فقتلهما شنقا .

وكان هذا سببا في انضمام عبد الله بن قطنش قريب عبد الهادي الى الطليان ، وجاء معهم لاحتلال بني وليد أواخر سنة 1923 ، وخرج في دورية فاقتنصه أعوان عبد النبي ، فاكتفى بحبسه ومن معه ، وأطلقه الطليان عندما احتلوا البلد وسموه قائمقاما في بلده .

(علي محمد الجدي)

شعره : لم نتمكن من الحصول على نماذج من شعر عبد النبي غير قصيدة واحدة من النوع الشعبي تدل على انه كان متمكنا من فنه ، تمكنا جعل تعابيره ذات جرس قوي ، والفاظه فخمة على أسلوب شعر الفرسان ونورد القصيدة فيما يلي ، وقد عثرنا على نصها عند ولده يونس عبد النبي ، وقابلناها بالنص المنشور في كتاب (صدى الجهاد الليبي في الشعر الشعبي) للصديق الاستاذ محمد سعيد القشاط ص 253 . 256 ويقول القشاط رواية عن أحد رفاق عبد النبي ، انه قالها في يوم عيد ، وهو في صحراء الجزائر :

صبرنا وطول الصبر ذقنا منه	امرارات علقم زاخمه في البنه

◇◆◆◇

صبرنا وطول الصبر ربى رايد	ودرنا لهن ليام دير جوايد
مع عكسهن درنا اعزوم شدايد	علينا وجب بالشرع فرض وسنه
وفي ما مضى المدوب ليه عوايد	رفيقات في وقت اللزوم يجنه
ميتين من جنس الاناث جوايد	وميتين من جنس الذكور احصنه
وفي وسطهن زباطهن بالزايد	وهن تحتهم في الامر يستننه
وميتين لاسمعن يجن جرايد (1)	بلا امر يلتمن عجل ياتنه
مكافيت سبق والسروز جدايد	يسيرن مع المكرود يحمن عنه
وها الوقت ها هو منفرد متكايد	مع جيش متلفق ووسطه غنه
وجيش العرب من قبل خارب بايد	يا بال هذا من عقاب مدنه

1) في رواية : ميتين كان سمعن تجيه جرايد .

رماه الصغي والوقت بيه تكايد ... لا عنتره لا جاه لا له صنه
كيف من ينكرس في حبال ابايد ... على بير غارق كيف بيسقنه
طوله كما دوفان والا زايد ... والدلو متمزق وفضلة شنه
ياجب خيوط المقط غزر جدايد ... ويعمد مناهل يا الله يرونه
ورود المطل وزغات غير شوايد ... صمط من ورد عطشان ما يرونه
ويا جب على ابنادم الصبر بزايد ... مع الصبر يرجى للفرج يستنه
ابواب الفرج ع الرب موش مكابد ... كل من استنى خير من يتمنى

*****

صبرنا وعقب الصبر عنا طول ... ومذبال منه عن مكانه حول
مع ذبلته لسبد بيي يسول ... مع عسكهن ليام بيعادنه
يفوض أموره والكريم يعول ... يغير ايام العكس يمشن عنه
وأما ابنادم ايش يبغي ينول ... بلا قدرة الرحمان ما يتمنى

*****

صبرنا وعقب الصبر عنا باطي ... واللي رفع العبد هو يواطي
كمين تبغي تصيب جبر (2) تخاطي ... تبي تبلغ المقصود تقصر عنه
مخلوق والمخلوق حيطه واطي ... لجله وقسمه دوم هو يستنى
حجاب الضماير للظواهر غاطي ... غفلات من غزر الجهل صابنه
ياجب يفوض للكريم العاطي ... ان كان هو بغي يعطيه ما يتمنى

*****

زاخمة في ريقه ... لين خلفن في الفكر منهن ضيقه
ياجب ابنادم لاجفاه رفيقه ... يكمل عوينه قبل يصمل عنه
وبعدن فهم دربه وشور طريقه ... بيعاد من منقد حبيب المنه
خشوش الخلا للعبد خبر حقيقه ... من رفقة اللي بالمليحة تظنه
خزن لماجع في قلوب غريقه ... خير من عللهن يعقبن بالغنه

*****

2) في رواية : خير ، بدل جبر

خير من عللهن يخلفن حوحايه ياجب رفيقك تحمله في سوايه
وكان تقدر الثنتين هي الغايه وفي الثالثة برم جوادك عنه

*****

زاخمات صعيبه والصبر تاريبه عليك مصيبه
يخللي رفيقك وين تحمل عيبه يزيد بالخطى ما عاد يرجع عنه
يستسهلك ما عاد عند ريبه ويستحقرك في العين شينك غنه

*****

زاخمات غزيرة لين خلفن في الفكر منهن حيره
والصبر تاريبه عليك نكيره معاه لا تصير العنترة (3) لا صنه
يخللي رفيقك كل شيء يديره يغير حقوقك لين تصمل منه
وبحال (4) ما تاجد معاه بصيره حتى لفظ بشي يرجع عنه
والله يا لولا شماتة غيره من اللي عدو في التاليه يستنى
يصير راي يصعب على تدبيره طلاميس ما ياجد معاهن بنه
تفطن عيون النايمات كثيره في ما مضى كانن سهايا عنه
وبعد الرفق عنه حقوق كبيرة تكميل ها المشوار لسبد منه
سوى طولت والاسوى تقصيره اتمامه وجب لين الرفق يتهنى
وبعدين تاجب فرقته بالشيره خير من يقول اختار نفسي منه
كان وافقك يبدى فهم تدبيره وكان خالفك برم جوادك عنه

*****

3) في رواية : معاه ما تصيرش عنترة .

4) في رواية : محال ما تاجد .

شرح الفاظ من القصيدة

ـ احصنه : جمع حصان

ـ البنة : الطعم

ـ بيعادنه : يجعلن منه عدوا

ـ تاربيه : بلا ريب

ـ تبيي : تبغي ، تريد

ـ حوحايه : مشكلة

ـ حيطه واطي : جداره قصير

ـ خشوش الخلا : دخول الارض الخالية

ـ خيره ابنادم الخ : ما بال ابن آدم الخ

ـ درنالهن : صنعنا لهن

ـ دوفان ، وزايد : علمان لبئرين معروفتين

ـ دير جوايد : صنيع الناس الاخيار

ـ عللهن : ترديدهن : عل الكلام يعله علا : اعاده ورده

ـ غنه : داهية ، مصيبة

ـ كان تقدر الثنتين الخ : اذا قدرت على تحمل غلط صديقك مرتين ، وفي الثالثة ابتعد عنه

ـ كانن : كن

ـ كم مين تبغي تصيب الخ : كم مرة تريد ان تصيب الخ

ـ لجله وقسمه الخ : لموته ورزقه ينتظر

ـ لسبد : لا بد

ـ لماجع : الوجائع

ـ المكرود : الجواد

ـ وبعد الرفق عند حقوق كبيرة : بعد الرفيق يكلف حقوقا الخ

ـ ورود المطل وزغات الخ : ورود البرك الصغيرة التي لا تروى

ـ يا الله يرونه « يروينه أولا يروينه

ـ زاحمه : فاسدة الطعم — يا بال هذا مـن عقاب مدنه : فما بالك بهذا الباقي من مخلفات معركة

ـ السروز : السـروج ، جمع سرج — ياجب خيوط المقط : يجب ان تكون حبال القنب جديدة قوية ، والمقط : القنب

ـ زباطهن : ضباطهن ، وابدال الضاد زايا لهجة تركية — يبعاد : يبعد

ـ سهايه : غافلات — يجنه : يجئنه

— يحمن عنه : يحمينه

ـ شينك غنه : مـا افظعهـا مصيبة — يستننه : ينتظرنـه

ـ الصغي : الفقر والذل والهم — يسيرن : يسرن

ـ صنه : الصنه : السمعة ، والاعتبار — يصمل منه : يفارقه ، يبتعد عنه

ـ طلاميس : غوامض — ياتمن : يجتمعن

ـ عزوم : عزائم — يمشن : يمشين

ـ ينكرس في جبال الخ : يعقد وصلات من حبال بائدة لوصلها ببعضها آ

رسـائله : اهداني قسما من رسائل المرحوم عبد النبي بلخير ، ولده السيد يونس عبد النبي ، سنثبت نصوصها هنا مع صور ما عثـرنا على مخطوطه منها ، لانها دليلنا الوحيد على قيمة اسلوبه النثري ولانها ذات قيمة تاريخية كوثيقة واثر من آثار المترجم له :

اما القسم الثاني من الرسائل فقد عثرت عليه فـي مذكرات المرحوم

الشيخ سليمان الباروني ، واتبعناه برسائل موجهة من الباروني الى عبد النبي ، وقد حاولنا ان نوضح ، ــ بقدر الامكان ــ المناسبات التي كتبت فيها الرسائل :

1 ــ رسالة موجهة الى الشيخ العالم محمد عبد الواحد تقضي بتمديد فترة بقائه في وظيفة مفتي لقضاء الشاطىء ونصها :

ذو الفتوى والمكرمة الشيـــخ العالم محمد افندي بن عبد الواحد وفقه المولى امين .

بناء عليَ تقليد جنابكم لوظيفة الفتوى لقضاء الشاطىء فقد صار تجديد وتمديد وظيفتكم بالقضاء المذكور حيث انكم احد المتنورين في العلوم المطلوبة المرشدة الى سبل الهدى ونظرا للاحوال الجارية بمناسبة الزمان والمكان فان عموم اللواء اشد لزوما لتلك الوظيفة ونتمنى من جنابكم التوفيق بانتشار الشرع الشريف في عموم اللواء انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وربنا يوفقنا واياكم لما فيه مصلحة البلاد والعباد ولذلك حرر في 1 شوال 1344 (14 ابريل 1926) .

متصرف لواء فزان
عبد النبـــي بلخير

2 ــ رسالة موجهة الى العالم الجليـــل الشيخ النعاس الفقهي (5) ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبـــي الكريم وآله وصحبه وسلم تسليما .

جناب المحترم سيدي النعاس حفظه المولى اميـــن ، الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته وازكى تحياته . وبعد ، فحين التـــاريخ يوم الخميس الموافق 6 صفر 1346 صار حركتنا الى لواء فزان ربنا يبلـــغ المقاصد بخير

5) الشيخ محمد النعاس الفقهي ولد 9 ذي الحجة 1301 (30 سبتمبر 1883) .

ذو الفتوة والمكرمة الشيخ العالم محمد افندي بن عبد الواحد

وفقه المولى

آمين

بناء على تقليد جنابكم بوظيفة الفتوة بقضاء الشاطئ فقد تجدد عليه

وتقديره [illegible] وتعيينكم بالقضاء المذكور حيث انكم احد المنتسبين

في العلوم الطاهرة المرشدة الى سبل الهدى ونظرا للاحوال الجارية

بحنا بسبب الزمان [illegible] عموم للدار الشرعية [illegible]

الوظيفة [illegible] لجنابكم [illegible] من الشرع الشريف [illegible]

للواد ان على ما [illegible] وقدره وبالاجابة جدير [illegible]

واياكم لما فيه مصلحة البلاد والعباد ولذلك حرر [illegible]

متصرف لواء فزان

عبد النبي

رسالة عبد النبي الى الشيخ محمد عبد الواحد .



الشيخ محمد النعاس الفقهي .

بحرمة خير البرية ثم ارجوكم الدعاء الصالح وعلى الله القبول ودمتم باحترام والسلام 6 صفر 1346 (5 اوت 1927) .

محبكم : عبد النبي بلخير

3 ــ رسالة موجهة للشيخ النعاس ايضا بدون تاريخ ونصها :

حضرة الجناب سيدي الشيخ النعاس ابن الاستاذ الشيخ الحسين حفظه الله امين .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وازكى تحياته فقد بلغنا انكم بلغتم (برجوج) وجملة اخواننا الفقهاء فصرنا ممنونين بذلك كما ان عموم الصف صار ممنونا وعليه فمنذ سمعنا بذلك والعموم في انتظار سرعة حركتكم فنؤمل ذلك حيث ان الوقت لا يساعد على كثرة التأخر وباقي اخواننا بخير .

والسلام : عبد النبي بلخير

4 ــ رسالة موجهة للشيخ النعاس أيضا :

المحترم الشيخ النعاس ابن الاستاذ الشيخ الحسين بعد السلام والاحترام فمنذ جنابكم بالهروج ارسلنا لحضرتكم جوابا بواسطة اخ الجميع احمد بك والمفهوم انه صار بلوغه لديكم ولم تردوا مضمون ذلك كما انه الى حد الان لم نر تعريفا من جنابكم حتى انه قد حصل لنا ان بفكركم نوع تقصير من العجز وعليه نؤمل من جنابكم المخابرة بحيث لا تنقطع بيننا وان لم يكن رجوعنا الى سبها نرجو ولو بنية الزيارة باقي احوالنا بعافية ودمتم باحترام والسلام . 25 رجب 1347 هـ (7 جانفي 1929) .

اخوكم : عبد النبي بلخير

5 ــ رسالة موجهة الى الشيخ سليمان باشا الباروني تتعلق بخلاف بين ترهونة وورفلة منقولة عن مذكرات الباروني ج 2 ص 37 ، ونصها :

+ ببني وليد ، وحفظ القرآن الكريم ودرس بالمعاهد الدينية وشارك في الجهاد الوطني من اوله الى نهايته في فزان ، وهاجر مع ابناء بلده ورفلة الى الجزائر ثم الى تونس جيث سكن بلدة زغوان فكان محل تبجيل واحترام ، ورجع الى وطنه في 21 ماي 1957 وتوفي في 1 ربيع الاول 1388 (28 ماي 1968) رحمه الله رحمة واسعة .

بسم الله الرحمن الرحيم ٥٠ وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وآله وصحبه وسلم تسليما

جناب المكرم سيدي النعاس حفظه المولى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى تحياته وبعد فيهديك أخاك [illegible]

يوم الكبش [illegible] صار [illegible] الى [illegible] فنرجو ربنا

يبلغ المقاصد [illegible] خير البرية

ثم أرجوكم الدعاء الصالح [illegible] القبول [illegible]

والسلام [illegible]

رسالة عبد النبي للشيخ النعاس .

٥٠

حضرة الجناب المكرم سيدي الشيخ النعاس ابن الأستاذ

الشيخ الحبيب حفظه المولى آمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى تحياته قد بلغنا انكم بلغكم

برجوع مولانا [illegible] اخواننا الشرفاء فصرنا محزونين [illegible]

كما انه عموم الصف صار محزونا وعليه فحين سمعنا بذلك

والعموم في انتظار سرعة حركتكم فنؤمل [illegible]

حسب [illegible] الوقت لا [illegible] عند [illegible]

رسالة ثانية منه للشيخ النعـاس

٩٠

المكرم السيد الشيخ النعاس ابو الاستاذية الحبيبة

حفظه الوهاب

بعد السلام والاحترام منذ جئنا بالحضور ارسلنا لكم

جوابا بواسطة ابو الجميع [illegible] والمفهوم انه صار

لديكم ولم تروا خصوص ذلك كما انه الى هذا الان لم نرى

تصريحا من جنابكم حتى انه قد حصل لنا ان [illegible]

فرح [illegible] وعليه نؤمل من جنابكم المخابرة بحيث

لا تنقطع بيننا وان لم يكن رجوعنا [illegible]

ولو بالمكاتبة [illegible] ودمتم بالاحترام

[illegible] ١٣٥٢

رسالة ثالثة للشيخ النعاس.

حضرة الجناب المحترم والي وقومندان سعادة سليمان باشا

حفظه المولي آمين

بعد مزيد السلام وكامل الاحترام بعد تشريف سعادتكم الى مركز مصراتة كثرت الغارات من أهالي ترهونة على ورفلة فاضطرت اورفلة إلى ان وقعت منهم غارة على اربعة اغنام من ترهونة والآن محفوظة بمعرفة الحكومة وبحسب افكاري ان أهالي ترهونة معتمدين على المهدي السني خاصة ولهذا تسليمهم الى الدولة العثمانية فيه نوع عدم تقريب .. احد القادمين الى سعادتكم الشيخ عبد الهادي اغباش فانه من الرجال الكمل الذين تخرج منه النتيجة من جانب القذاذفة خاصة انه مسموع الكلمة فيهم نرجوكم مباحثته واخذ ما بيديه من الافكار ورجوعهم الينا بسرعة مع صدور أمركم بتسريح ارسال القافلة لنا بعجلة واذا امكن ان تكون حمولتها شعيرا اولى لاننا قد بتنا في انهى درجة من المضايقة وليس عندنا اقتدار على تشكيل حكومة الا بمعونة جماعة مصراطة لنا بارك الله فيهم ودمتم بعز وسرور والسلام .

3 محرم 1335 (30 اكتوبر 1916)

محبكم : عبد النبي

6 ــ رسالة موجهة للشيخ سليمان باشا الباروني بدون تاريخ نقلناها من مذكرات الباروني ج 2 ص 64 ونصها :

حضرة الجناب المحترم الشهم الغيور صاحب الحمية الاسلامية والغيرة الوطنية صديقنا سليمان باشا الباروني حفظه الله المولى آمين .

بعد السلام وكامل الاحترام بلغنا جوابكم وما حواه صار معلوما لدى العموم وقد انسر به عموم القضاء كما انه لدى وضع رسم مولانا السلطان أيده الله جعلنا موكبا واحتفالا تاما واستبشر به الجميع ونرجو الله سبحانه وتعالى اجتماعنا بسعادتكم ودمتم بعز واحترام .

قائمقام اورفلة رئيس المجاهدين

محبكم : عبد النبي

7 ــ رسالة موجهة للشيخ سليمان الباروني مؤرخة في 8 محرم 1335 هـ (4 نوفمبر 1916) عن مذكرات الباروني ج 1 ص 37 وهي توصية بشخص .

حضرة جناب والي وقومندان ولاية طرابلس غرب سعادة سليمان بك الباروني حفظه المولى آمين .

بعد مزيد السلام وكامل الاحترام . قدم لطرفنا الشيخ سيدي عبد السلام البصير وبيده اجوبة من اخيه سيدي ابو بكر البصير ومن سيدي محمد البشير مآلها بعد رجوع المذكور قدوم أعيان وأشراف أولاد بوسيف ومن تبعهم الى قضاء ورفلة ثم المواجهة لسعادتكم في المحل الذي تامروا به (؟) وعليه فقد صار توجيه المحترم سيدي عبد السلام من طرفكم (؟) الى سماحة اعتابكم أرجو من مكارم اخلاقكم البهية احترامه وتوضيح ما يلزم له مع أن حضرة سعادتكم خبير بان أهم جانب الغرب والقبلة هم أولاد بوسيف ومن تبعهم فيلزم اتخاذ الاسباب التي توجب اتفاقهم نظرا للاحوال الحاضرة ودمتم بعز وسرور والسلام .

8 محرم 1335

محبكم : عبد النبي بلخير

8 ــ رسالة موجهة للشيخ سليمان الباروني مؤرخة في 14 نيسان (10 جمادى 2) 1334 (1916) في الاعتذار بمشاكل النهب عن عدم المكاتبة ، منقولة عن مذكرات الباروني ج 1 ص 113 .

الى حضرة جناب ذي السعادة والي وقومندان ولاية طرابلس غرب وملحقاتها المجاهد المحترم سليمان بك الباروني دام عزه آمين .

بعد تقديم كامل الاحترام اللائق برفيع المقام السؤال عنكم وعن عافيتكم بلغكم الله لآمالهم آمين ، وان تفضلتم عنا بالسؤال فاننا نحمدوه (؟) تعالى على العافية ، ولا كن لا يخفى سعادتكم كثرة المشاغل والمشاكل الحالة بنا من جهة أهل الشرق وتعدياتهم المانعة لراحتنا والموجبة لتعبنا وعدم

لحضرت جناب ذي السعاده والي وقومندان ولاية طرابلس الغرب ومحافظها
المجاهد المحترم سليمان بك الباروني دام عزه آمين

بعد تقديم فائق الاحترام اللائق برفيع المقام السؤال عنكم وعن عافيتكم
بلطفكم انه لا زالتم آمين وان تفضلتم علينا بالسؤال فانا نحمده
تعالى على العافيه . ولا يخفى سعادتكم كثرت المشاغل والمشاكل
الحالة بيننا من جهة اهل الشرق وتعدياتهم المانعة لراحتنا والموجبة لتعبنا
وعدم استقرارنا بمحلنا يوم واحد من مدة الى اليوم . وبهذه
الاسباب الشاغلة تأخرت وتعطلت منا المكاتبة لسعادتكم ولكن
املي وطيد ان محبتنا القديمة الراسخة في القلوب لا يحيطها بعد ولا
جفاء بل لا زالت باقية كالعاده
هذه المده قد جعلنا وبنينا عدة نقط قريبة من عسكر ومجاهدين
لمنع تعديات اهل الشرق عن هذه الجهة وحفظا عن فساد الزحف
منهم وعلى كل حال بهذه الواسطة حصلت الراحة والامنية نوعا ما
ومرادي في الاجتماع بكم ويكون انشاء الله في ابرك الساعات
نسأل الله تعالى ان يرقي البلاد ويصلح العباد وينصر دولتنا العلية على
اعدائها آمين هذا وبلاوصول الى طافتة . فقائم الكرام ومن عندنا
مقام ابنكم الحاج ادريس افندي بن يونس ومحمد بك بهذا ولكم كثير السعاده
ودمتم بعز وشرف والسلام ١٤ نيسان ٢٦

عبد النبي

ان حامل هذا الفتى زينب لمدة عشرين يوما والفتاة من فخذ غريان ولما صار البحث عنها
والتوجه في اثرها الا وجدت مسبوقة بنفس فخذ غريان والان هي تحت يد القائمقام الحاج
بك لغيابها استراها من الناهب ولدى طلب تسليمها لاصحابها امتنع عن ذلك ولم نفهم ما
لاسباب فعليه لاهو وجهنا لسعادتكم صاحب الفتى لاجل [illegible] الكيفية شفاها اقدم

المخلص
عبد النبي

رسالة من عبد النبي للشيخ سليمان الباروني .

استقرارنا بمحلنا يوما واحدا من مدة الى اليوم ، وبهذه الاسباب الشاغلة تأخرت وتعطلت منا المكاتبة لسعادتكم ، ولاكن أملي وطيد أن محبتنا القديمة الراسخة في القلوب لا يمحها (؟) بعد ولا جفاء ، بل لازالت باقية كالعادة .

هذه المدة قد جعلنا ورتبنا عدة نقط متركبة من عسكر ومجاهدين لمنع تعديات اهل الشرق على هذه الجهة وحفظا على (؟) فساد الزراعة منهم ، وعلى كل حال بهذه الواسطة حصلت الراحة والامنية نوعا ما ، ومرادي في الاجتماع وسيكون ان شاء الله في أبــرك الساعات ، نسأل الله تعالى أن يهني البلاد ويصلح العباد بنصر دولتنا العلية علــى أعدائها آمين ، هذا وسلامي الى كافة رفقاكم (؟) الكرام ومن عندنا مقام ابنكم الهادي (...) بن يونس ومحسن بك يهدوكم (؟) كثير السلام ودمتم بعز وشرف والسلام
14 نسيان ــ 34 المخلص : عبد النبي

وفي آخر الرسالة هذا الهامش (انظر الصورة الآتية) .

ان حامل هذا له غنم نهبت لمــدة عشرين يــوما والفاعل من قضاء غريان ، ولما صار البحث عليها والتوجه فــي اثرها انوجدت (؟) مبيوعة بنفس قضاء غريان والبعض منها تحت يــد القائمقام الهــادي بك كعبار اشتراها من الناهب ولدى طلب تسليمها لاصحابها امتنع عن ذلك ولم فهمنا ما (كذا) لاسباب فعله ، ها هو وجهنا لسعادتكم صاحب الغنم لاجل عرض الكيفية شفاها ، افندم .

المخلص ! عبد النبي بلخير

رسائل الباروني لعبد النبــي :

1 ــ رسالة موجهة لعبد النبي في قضية الخلاف بين الزعماء الغربيين منقولة عن مذكرات الباروني ج 2 ص 431 ــ 432 ونصها :

9 جمادى الثانية 1339 (18 فبراير 1921)

المحترم الاخ عبد النبي بك حفظه الله

السلام عليك وعلى من معك مــن الافاضل ، اني الان في يفرن بقصد التقدم بمن معي الى ظاهر الاصابعة ربما اتوفق الى اطفاء فتنة غريان بالصلح

فان قسم الشيخ نافع قد خرج من دياره تاركا اهله واموالـه ، وقد بلغني ان مصادرة الاموال ودخول البيوت في غريان لا زال مستمرا والاصابعة تنقلت للدخول في الحرب لاعانة الشيخ نافع ، وهذا شيء اذا سرى وخيم العاقبة وقد كتبت الـ ى الهادي بك وعبد الله بك تمسكت على الكف عن التعدي ودخول البيوت الى ان نصل ظاهر الاصابعة ومنتظر جوابه اليوم ومعي السيد احمد البصير البوسيفي .

الاحوال من الاصابعة الى حدود تونس في غاية الراحة والحاج فكيني ـــ حسب القول ـــ بقي وحده في جهة مزدة وافكار اكثر الزنتان طيبة ميالة الى السلم والراحة ، وربنا يقدر الخير ، كدرني ما بلغني من تحشيدكم انتم ومصراتة وترهونة وهذا والله هو عين الخراب الذي يسعي لاجله كل من يريد هلاك هذه البلاد وتشتيتها ، اصلح الله احوال رجال الوطن ووفقهم الى صالح العمل ، اذا امكن قدوم الهادي افندي بن يونس الى طرفنا فلا باس وسلامي اليه والى من معه .

من طرفنا اخي يحيى بك والجماعة تهديكم السلام .

اخوكم : سليمان

2 ـــ رسالة موجهة لعبد النبي منقولة عن مذكرات الباروني ج 2 ص 27 ونصهـــا :

مصراطة 25 ذي الحجة 1334 (23 اكتوبر 1916)

الوطني الغيور المقدام قائمقام ورفلة عبد النبي بك

السلام عليكم ، وصلنا جوابكم وسرنا ما حواه ، ها هي جوابات تصلكم لترسلوها الى اربابها ، الآن جاءتنا بوستة سرت من الايطيوش يذكر انه مسرور بقدومنا وممتثل أمر الدولة وانه عثماني وما اتى الا بامر السيد ادريس بناء على انه عثماني ، وجواب من عائلة الآغا ومن معهم على هذا النمط ايضا ويطلبون ان نعطي لهم تامينات ليلتحقوا بنا لانهم موجودون مع الايطيوش اما الجيش فسيلحقه السيد حسن اليوم ليوقفه قبل الوصول الى القصر

حتى ننظر ما نجيبهم بـه وبما نحسم المسالة ان شاء الله بدون حدوث ما يكدر ، والسلام .

سليمان

3 ـ رسالة موجهة لعبد النبي منقولة من مذكرات الباروني ج 1 ص 248 ونصها :

من سليمان الى عبد النبي 25 ذي القعدة تشرين اول 23 من الرابطة .

قائمقام ورفلة عبد النبي بك من الرابطة اليها .

السلام عليكم ، جئتكم الى القيطون وقت الفرجة ولم نجدكم ، وبما انه لم يبق معي الا فرسان قليلون لم يمكني الانتظار ، وقد ذكر لي رفقاؤكم ان قصدكم الوصول الى الرابطة مع المجاهدين ، فانتظرتكم امس واليوم ولم تصلوا ، ولانقطاعي عن الاخبار من عدم وجود التلغراف هنا، وخوفا من حصول شيء في جهة الجبل نظرا للاشاعات التي تاتيكم من الشط عجلت بالتوجه حسب طلب جماعة اللواء . ولا بد للمذاكـرة مع الاعيـان واعطاء القرار الاخير .

4 ـ رسالة موجهة لعبد النبي نقلناها عن مذكرات الباروني ج 1 ص 410 ونصها :

من سليمان الى عبد النبي

30 ذي القعدة 1330 (10 نوفمبر 1912)

سلام عليكم ، ورد الينا جوابكم بعد أن كنا في انتظاركم في مـركز الجبل ، وشكرت صنيعكم في ابقاء 200 مجاهد وها هو ارسلنا مامورا الى بن كردان لسوق الارزاق اللازمة ، وقد قدرنا ابـقاء المامورين الاولين في وظائفهم وكذا الزاندرمة فليزمكم ان تباشروا وضعيتكم حسـب العادة مع زيادة الاعتناء بتعميم الامن ، وقد وصل قسم من جبخانة التي نزلت في الجهة الغربية الى حدود نالوت حسب تلغراف اليوم ، وسيصير سوقها الى طرفنا وسيصل باقيها تدريجيا ، والامور مستقيمة ولله الحمد ، حسب المكاتبات

الواردة من بعض ورشفانة والزاوية والعجيلات انهم تابعون لفكرنا ، وفعلا كل حفظة يوزعون على العسات ارزاقها ، والنقود بواسطة قومسيون شكوه ، وكلهم غير راضين بعمل الذين دخلوا المدينة ، وهم الى الآن لم يات منهم خبر ، ها هو جواب القومندان لتستلموا به جبخانة الشرق مع جبخانة الغرب مع ما استلمناه هنا ، فلا نعود نحتاج لشيء اما من جهة الارزاق فبعد 20 يوما فقط لا نجد محلات لوضعها ان شاء الله ، سلامي الى الاخوان الكرام بطرفكم كافة .

سليمان

عائلته : ذكرنا في الفصل الثالث نسب عبد النبي ، واسماء والديه واخوته ، ونذكر فيما يلي نبذة عن اولاده وامهاتهم .

تزوج المرحوم عبد النبي بلخير ثلاث زوجات في فترات مختلفة .

الزوجة الاولى : وهي ابنة خاله : حليمة بنت سعد بن عطية تزوج بها سنة 1905 م وانجبت له ابنيه :

— مصباح

— ومحمد بو عزوم

الزوجة الثانية : من قبيلة النقارطة (قسم الجماملة) وهي سعدة بنت محمد النقراط تزوجها سنة 1913 وأنجبت له ابنيه :

— يوسف

— ومحمد النقراط

الزوجة الثالثة : من قبيلة السرارة (قسم الفلادنة) ، وهي خدوجة بنت مصطفى بن يونس ، تزوجها بطرابلس سنة 1915 عندما كان تحت الاقامة الجبرية بالعاصمة وانجبت له ابنه :

— يونس

مصباح عبد النبي : ولد سنة 1907 وتعلم بمدرسة بني وليد على اساتذة خصوصيين وعاش بين ابناء بلده وساعد والده على كثير من

المسؤوليات ، واصبح بعد وفاة والده بصحراء الجزائر سنة 1932 هو عميد الاسرة ، وتوفي سنة 1958 اثر عودته من الهجرة وذلك ببلدة ترهونة في منزل اخيه يونس الذي كان ـ حينذاك ـ يشغل وظيفة (متصرف) بالمنطقة .

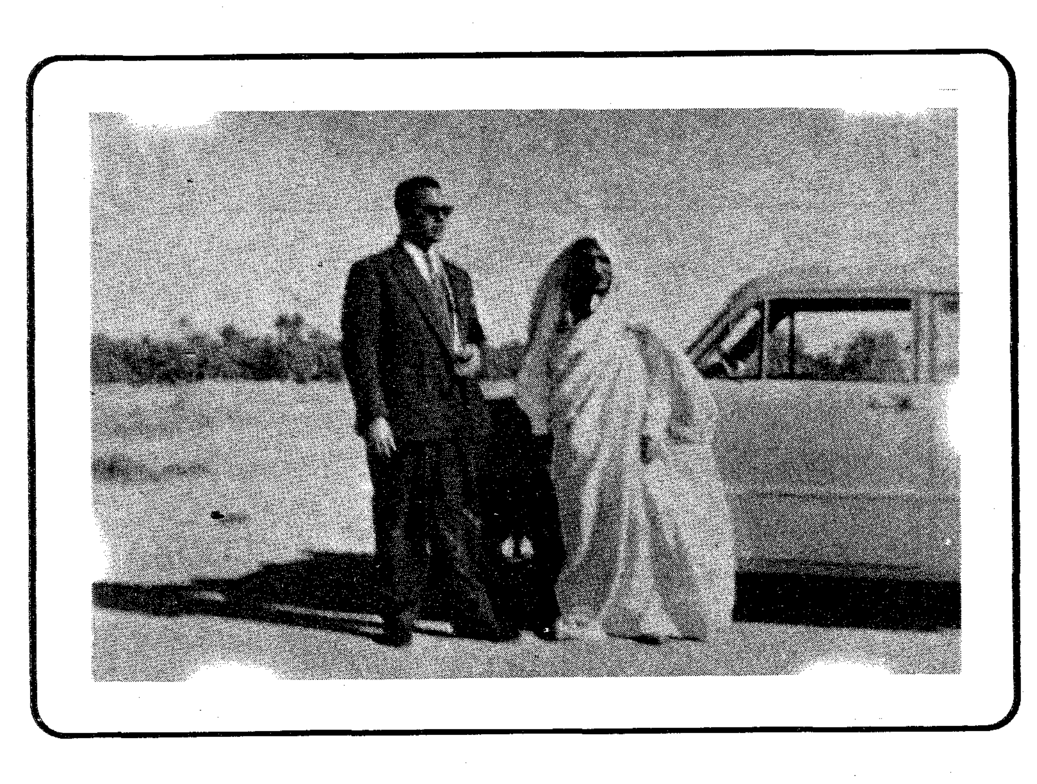
وهكذا اراد الله لمصباح ان يموت بنوبة قلبية قبل ان يصل الى بلدة بني وليد ، ولم يبق بينه وبينها الا مسافة نحو 90 كم بعد هجرة استغرقت 34 عاما قضاها غريب من بلاده بين فزان ، والجزائر ، وتونس ، ولم يخلف أولادا .

محمد ابو عزوم عبد النبي : ولد سنة 1908 وتعلم مع شقيقه مصباح في نفس المدرسة ، وعاش في كنف والده وساهم مع اخيه مصباح في الاشراف على شؤون الاسرة وغيرها من المهام ، وهاجر مع أسرته الى الجزائر فتونس وعاد الى بلده سنة 1962 ، وهو يعيش الآن مع اسرته في بلده الحر بني وليد ، وله من الاولاد الذكور اثنان : حمد وعبد النبي .

يوسف عبد النبي : ولد سنة 1918 ببني وليد ، وهاجر مع اسرته وعاد من تونس الى بلده سنة 1946 اثر طرد الايطاليين ، وحلول الانكليز محلهم ، وهو يقيم الان في بني وليد ، وله ولد ، هو صالح .

محمد النقراط عبد النبي : ولد سنة 1921 ببني وليد ، وهاجر مع اسرته ورجع الى بلده صحبة شقيقه يوسف سنة 1946 ، وله من الاولاد الذكور ثلاثة : فتح الله ، وعبد المنعم ، وصلاح الدين .

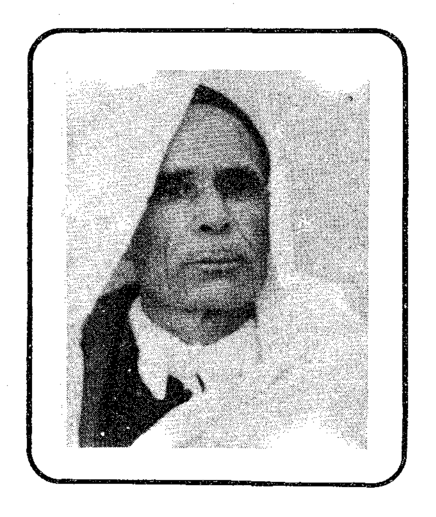
يونس عبد النبي : ولد بوادي عتبة بفزان سنة 1930 ، وعاش تحت رعاية اخيه الاكبر (مصباح عبد النبي) عميد الاسرة ، وتعلم بالمدارس الابتدائية بتونس ، وعاد من تونس الى طرابلس سنة 1950 وفيها اتم تعليمه ثم عين في وظيف قائمقام بمدينة يفرن سنة 1955 ، ثم عين (متصرفا) بمنطقة زليطن سنة 1957 ، وانتقل بنفس الوظيفة الى ترهونة أواخر السنة المذكورة .



مصباح عبد النبي والى يمينه اخوه يونس ، اخذت لهما هذه الصورة في وذرف (قابس) في 1958/1/4 .



محمد ابو عزوم عبد النبي .



يوسف عبد النبـي .



محمد النقـراط عبد النبي .



يونس عبد النبـي .

وبالحاح من مواطنيه سكان بني وليد استقال من الوظيف في بداية سنة 1960 ودخل الحياة السياسية كمترشح لانتخابات مجلس النواب فتم انتخابه عضوا به .

وفي سنة 1961 عين وزيرا للدفاع حيث بقي في الوزارة الى سنة 1963 .

وفي اواخر سنة 1964 أعيد انتخابه لمجلس النواب في الهيئة النيابية الثالثة ، وتزعم في هذه الدورة حركة المعارضة في المجلس ، وطلب مع زملائه الحكومة بالدخول في مفاوضات مع بريطانيا والولايات المتحدة لانهاء وجودهما متمثلا في القواعد العسكرية واجلاء قواتهما عن تراب الوطن ، كما تقدم مع طائفة من زملائه بمذكرة مطالبين فيها بوضع حد للنفوذ الايطالي المتغلغل في البلاد ، والمتمثل في بقايا من الفاشيست من الجالية الايطالية التي كانت تسيطر على اهم اقتصاديات البلاد .

وكانت نتيجة حملة المعارضة هذه التي قادها يونس عبد النبي ان اقترحت الحكومة حل مجلس النواب فوافق الملك على ذلك وحل المجلس ولم يمض على مدة انتخابه غير اربعة اشهر تقريبا ، ومنع يونس عبد النبي من الترشح لانتخابات 1965 نتيجة لموقفه الصارم في الدورة الماضية ، وارغم بذلك على اعتزال السياسة وسلك طريقا آخر في الحياة ، وهو الآن يعيش بمدينة طرابلس ، مشتغلا بمزرعته في منطقة (سواني بنيادم) .

ليونس من الاولاد الذكور اربعة : مصطفى ، واحمد ، وعز الدين ، وعبد الرحمان رزقهم الله ووالدهم بالحياة الطيبة ، ووفق الجميع الى ما فيه خير البلاد والعباد انه سميع مجيب .



ملاحــق

حصلت بين ايدينا نصوص رسائل تسلمــنا بعضها مــن أصحابها ممنونين ، ونقلنا بعضها عن مذكرات الباروني ، رأينا ان نثبتها في آخر الكتاب متبوعة بمناشير كانت تلقيها الطائرات الايطالية على الشعب الليبي في عهد المقاومة لما في جميعها من فائدة تاريخية وأثرية ينتفع بها القارىء والباحث في التاريخ .

1 ـــ رسالة من قومندان منطقة ورفلة موجهة الـــى سليمان باشا الباروني منقولة من مذكرات الباروني ج 2 ص 228 و 229 واسم القومندان غير كامل وذكرت ناشرة المذكرات المرحومة زعيمة الباروني ان بقية اسمه غير مفهومة ، ونص الرسالة :

الى حضرة ذي السعادة والي طرابلس الغرب

المجاهد المحترم سليمان بك الباروني دام عزه وشرفه

أما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، السؤال عنكم وعن عافيتكم جعلها الله على وفاق ، أحوال طرفنا في هذا الوقت طيبة جدا وان شـــاء الله بعد تمام حصاد الزرع حسب مذاكرتنا مع عبد النبي بك سنجد تدبيرا وواسطة حسنة لتأمين الراحة العمومية ، خصوصا جهة سوكنة وحواليها والله الموفق المعين ، ان الاستاسيون للتلغراف الهوائي قد تم انشاؤه وفي

كل يوم نأخذ في الاخبار من الاستانة وبرلين وجميع المحلات . وبعد خمسة أيام في كل مرة . واليوم معنـا بمركز القضاء ثلاثة مأمورين المان واثنان عثمانيون مخصوصين (كذا) للانشاآت والمخابرة . فبريقة البارود حضرت قسما عظيما من البارود العال جدا هذا ومن عندنا يهدي لكم السلام القائمقام عبد النبي بك ومقام ابنكم الهادي افندي بن يونس . ودمتم محترمين والسلام
20 شبات (شباط) 1334 (1916)

قومندان منطقة اورفلة

محمد ...

*****

2 ــ رسالة من الشيخ احمد الشريف السنوسي موجهة الى المرحوم عبد الصمد النعاس من زعماء ترهونة يخبره فيها أنه فـي طريقه الى مزدة راغبا من الزعماء الالتحاق به الى هناك لمحاولة اطـفاء الفتنة بين القبائل المتناحرة . وقد تسلمنا الرسالة من الشيخ ابراهيم عبد الصمد نجل المرسل اليه ، ونصها متلو بصورتها :

« انه من عبد ربه ومملوك استاذه ونـائب أمير المؤمنين في القارة الافريقية احمد الشريف السنوسي .

الى ذوي المآثر الحميدة ، والاراء السديدة ، سليل المعالي ، حسنة الايام والليالي ، اخينا الشيخ عبد الصمد بيك النعاس حفظه الله ورعاه آمين ، السلام الاتم تتوالى عليكم نفحاته ، وتعمـكم رحمته وبركاته ، وان سألتم عنافا (نا) وكافة المجاهدين ، ولله الحمد ، نزلنا على أولاد خريص ومتوجهين الى سوكنة . وقصدنا الاجتماع بكم في مزدة وبكافة رؤساء العمالة الطرابلسية لامرين : أحدهما السعي في اطفاء الفتن واصلاح ذات البين ، قال تعالى (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقـة أو معروف أو اصلاح بين الناس) وقال : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وقال عليه السلام : (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قلنا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : كان حريصا على قتل صاحبه) ، وثانيا : اتحاد الكلمة وجمع شتات الامة ، حيث

مولانا امين المؤمنين ايده الله ، أقامني نائبا عنه في القارة الافريقية ، ووزيرا لذاته الشاهانية . وقدومي على حسب العهود السابقة واللاحقة بيننا وبينكم ، وجئت نزيلا عليكم بين أهلكم وعيالكم تحمون ظهري لاعلاء كلمة الله ، والذب عن شريعة رسول الله ، ولم نزل (كذا) انكم أنتم أهل النجدة الاسلامية والغيرة والحمية ، وليس لـي قصد في ملك ولا غيره والله ثم والله ، القصد الوحيد هو اعلاء كلمة الله واحياء شريعة رسول الله ، ولولا ذلك ما تحملت هذه المشاق وقطع الفيافي والقفار ، وآثرت ذلك على الراحة وهجرت الاهل والعيال ، كل ذلك رجاء أن يجعلنا الله ممن قال فيهم صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وهاهما قادمان عليكم ولدنا السيد محمد بن عبد العاطي البوسيفي ، وولدنا الشيخ محفوظ الحجازي يخبروكم (كذا) عن جميع ما غمض عنه (كذا) في هذا الجواب شفاها ، وفقنا الله واياكم لصالح العمل ، وحفظنا واياكم من الزيغ والـزلل ، ولا زلتم محفوظين ، وبعين العناية ملحوظين ، ودمتم سالمين والسلام 22 رجب 133 !! »

3 ــ رسالة موجهة الى الشيخ سوف مـن الهادي كعبار منقولة عن مذكرات الباروني ج 2 ص 92 بتاريخ 1 حجة 1335 (18 سبتمبر 1916) .

ونصها :

الارزاق تأتـي من الشـرق وأورفلة شعير وتمـر وزيت ، وكذلك السلاح والجبخانة ، وقد أرسلنا سابقا لجهة الشرق مائة جمل حملوهم تمرا ووصلوا لجهة بن غشير ثم قبل يومين أرسلنا مائة اخرى الى ظليتن لجلب التمر ايضا ، وسنرسل مائة أخرى الى أورفلة لجلب الشعير من هناك ، متقرر الهجوم على زنزور واستحكام سيدي عبد الجليل وغيره ، ندعو الله ان ينصر الاسلام والمسلمين ويوفق الجميع لما يحب ويرضاه ..

*****

4 ــ منشور مما كانت تنشره ايطاليا بواسطة طائراتها على الشعب الليبي نقلناه من مذكرات الباروني ج 2 ص 77 ــ 78 وهو بتاريخ 22 كانون اول (ديسمبر) .





وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[illegible] احمد الشريف السنوسي

الى [illegible] الشيخ عبد الصمد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ١٣٣٣

رسالة السيد احمد الشريف للشيخ عبد الصمد النعاس .

الى كافة أهالي القطر الطرابلسي والى كل من أراد معرفة الحقيقة .

بينما في هذا الوقت يطلكم بعض المفسدين برجوع تركيا الى هذه الديار واذا بها قد اضطرت بما أصابها من بطش المتحالفين الشديد الى ترك أهم ولاياتها وأغناها فان العراق العربي أي ولايتي بغداد والبصرة ، قد فتحتها سابقا الجنود الانكليزية وكذلك الجنود الروسية التي انحدرت من جبال القفقاس الصعبة قد نجحت في الاستيلاء على الولايات الارمنية (مثل وان وبتايس ، وطربزون ، وأرض الروم) وقد طرد حليفنا الماجد جلالة ملك الحجاز الشريف حسين الاتراك من مكةالمكرمة وهو الان بصفته محاميا لحقوق العرب يحكم على تلك البقاع المقدسة بتمام الاستقلال ، والمصيبة العظمى التي حلت بتركيا في هذه الايام هي استيلاء جيوش المتحالفين : الايطاليين والانكليز والفرنسيين ، على أرض الفلسطين التي اتخذتها تركيا مركزا لتموين جيوشها في بلاد العرب ولم تستطع الاتراك في فرارهم السريع المقاومة في القدس الشريف التي دخلتها الجنود الايطالية والانكليزية والفرنسية عنوة في اليوم 10 من الشهر الجاري واستولت فيها على مقادير عظيمة من المدافع والبنادق والمهمات الحربية ، والآن سيستعد المتحالفون للزحف نحو ولاية دمشق الشام لقطع علائق الاتراك بصورة نهائية من بلاد العرب .

وهل تظنون انتم ان تركيا التي وصلت الى آخر رمق من حياتها وصارت مجبورة على ترك فكرة التحكم على بلاد العرب وبلاد الشام تقدر الآن على اعانتكم في قيامكم هذا ضد حكومة ايطاليا العظيمة .

انتم تبيعون دماءكم الآن في سبيل ليس فيه مصلحتكم ولا تجدون أحدا يكافئكم غدا على ما تكبدتم فيه من الشدائد والاهوال ، ولا تلقون أحدا يفتكر بالمستقبل في ما تكبدته نساؤكم وأولادكم من الجوع والضنك الشديد .

ان الوسائط القليلة التي يمكن وصولها لكم من البحر والمواعيد المبهمة التي يمنيكم بها مفسدو الاتراك غير كافية لكم في محاربتكم ومقاومتكم الآن ضد حكومة ايطاليا .

يا معشر أهالي القطر الطرابلسي

اعترفوا بخطئكم واتركوا من يعللكم بالاماني الكاذبة واذا علمتم هذا تكونوا قد سلكتم طريق الهداية والـرشاد ان حكومـة ايطاليا ذات قـوة ومرحمة وما تريد الا الخير لكم .

*****

6 ــ منشور ثان من المنشورات الايطالية التهديدية فيه تعليق بخط الزعيم سليمان الباروني وهو موجه منه الى المرحوم أميـن سعيد صاحب كتاب الثورة العربية وهذه صورة المنشور ..

*****

6 ــ منشور ثالث كانت القته الطائرات الايطالية على المجاهدين من ورفلة النازحين الى الجنوب اثر احتلال بني وليد ، وهذه صورة المنشور .

فليكون معلوما ان الاهالي الذين سيقبلون بينهم سليمان الباروني سيصير ضربهم بقنابل الطيارات

حـ المنشورات الايطالية التي كانت تلقيها **الطائرات على** المواطنين

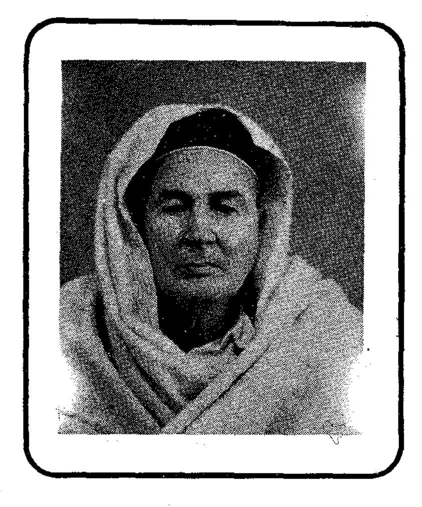
الى اهالي ورفله

ان الحكومة **الايطالية** اجرت كثيراً من المساعدات **لاهالى** ورفله وخاطبت
عبد النبي بالخير مراراً وتكراراً واعطته التامينات اللازمة ومع هذا كله صار
يتلاعب ويراوغ ولم يخلص في قوله وكلامه وتهاون كثيراً باوامر الحكومة
ولما رأت الحكومة ذلك التلاعب امرت قواها بالزحف على ورفله وقبل الاستيلاء
امرت باعلان النصائح اللازمة لعبد النبي بالخير وذلك بواسطة الاعلانات وغيرها
فما ازداد الا خيانة وتقلباً واخيرا تقدمت القوى نحو بني وليد ودخلتها واجرت
المساعدة اللازمة لاهالي ورفله الذين القوا السلاح وخضعوا للحكومة فالواجب

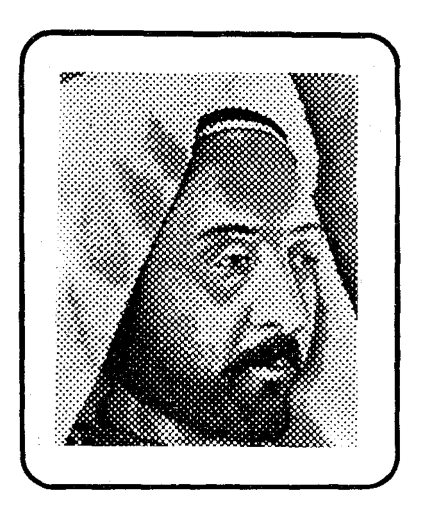
منشور **ايطالي موجه الى** اهالي ورفله ألقته **الطائرات اثر احتلال بني** وليد

عبد النبي بلخيـر (على يمين الناظر) ومعه رمضان السويحلي والامير عثمان فؤاد والشيخ سليمان الباروني واحمد المريض والضابط المصري ابراهيم عوض (في اقصى اليسار) ويظهر من الخلف عبد الرحمان عـزام .

عبد النبي بلخير (على يمين الناظر) ومعه ضيوف من الاعيان .



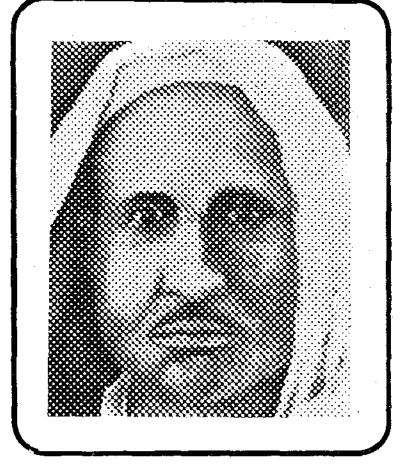
الشيخ العيساوي بوخنجر .



السيد أحمد الشريف .



الزعيم رمضان السويحلي .



السيد احمد السويحلي .



الشيخ محمد سوف المحمودي .



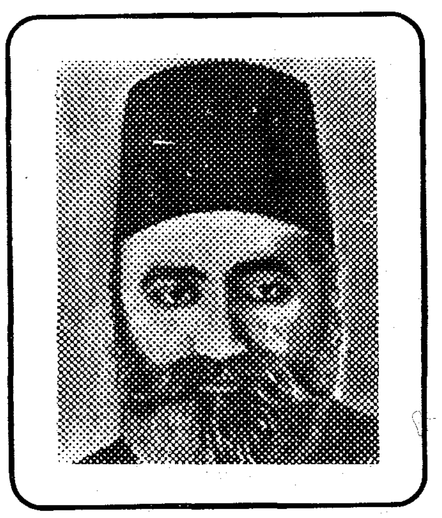
الشيخ عون سوف المحمودي .



الشيخ فرحات الزاوي .



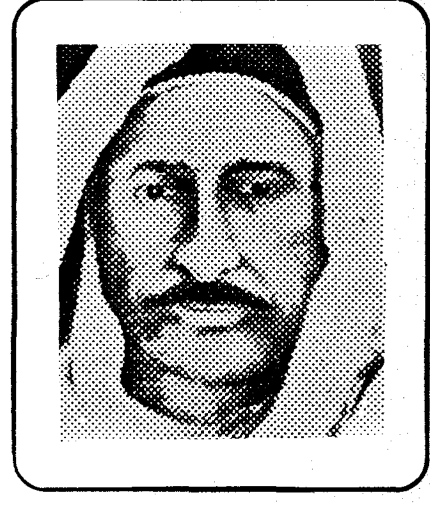
الزعيم احمد المـريض .



الزعيم الشيخ سليمان الباروني .



السيد المختار كعبـــار .



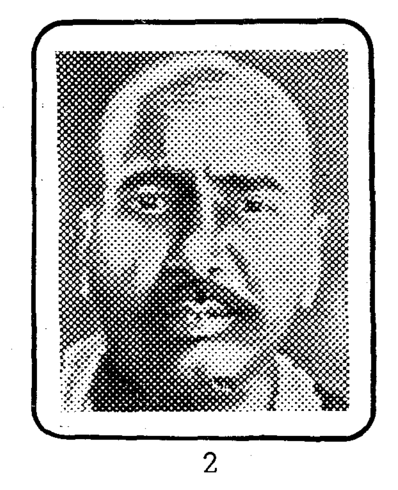
السيد الهادي كعبـــار .



الحاج محمد فكينـــي .



1



2

1 الشيخ محمد حسن المشاي .

2 الشيخ عبد الرحمان زبيدة .

3 السيد خليفة بن عسكر .

4 الشيخ الصويعي الخيتوني .

5 الشيخ محمد حلمي الجحاوي .

3



4

5

جانب من منزل عبد النبي بلخير تظهر به آثار القنابل الايطالية في معركة ديسمبر 1923

منظر من الهدم الذي اصاب منزل عبد النبي بلخير في معركة ديسمبر 1923

قصر بني وليد يظهر على ضفة الوادي اليمنى .

منظر من وادي بني وليـد

منظر ثان من الوادي الذى تغطيه الزياتين .

منظر من وادي دينار حيث وقعت المعركة .



الفهـــارس

1 ــ الاعــلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ن)

2 ـ القبائل والفرق

(أ)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ي)

3 ـ البلدان والمعالم

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ش)

(ص)

(ض)

(ي)

4 ـ الكتب

5 ـ الـــرواة

الشيخ ابراهيم عبد الصمد النعاس

الحاج حسن الطبولي

الشيخ سالم عبد السلام الشاملي

الحاج عبد الحميد عبد الله الغطاس

الشيخ عبد الله طلبيـــة

الشيخ عبد الله معتوق الدعيكي

الحاج علي الاميـــن

الحاج علي البـــراني

الشيخ علي بوبكر النعـــاس

الشيخ علي ثامــــــر

الشيخ علي محمد الجـــدي

الحاج الكاسح زبيـــدة

الضابط محمد شرف الدين هويدي الرياني

الحاج مفتاح بشابش

الشيخ المهاجر خليفة قريرة

الحاج يوسف عبد النبي بلخير

« اثبتنا أرقام الصحائف المذكورين فيها أمام اسمائهم في فهرس الاعلام »

6 ـ الصــور والوثائــق والخــرائط

مرتبة حسب ورودها في الكتاب

محتوى الكتاب

الفصـــل الثـــالث

الفصـــــل الــــرابع

جهـــاد عبد النبـــي قبل الصلـــح

الفصــل الخــامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصـل الثامـن

الفصـــل التـاســـع

نهايــة عبــد النبـــي ــ 193

الفصـــل العاشـــر

اخــلاق عبد النبـــي وأقوال الناس فيه ــ 207

ملاحق

الفهارس



انتهى طبع هذا الكتاب

في جمادى الثانية 1398/جوان 1978

بمطبعة القلم

تونس

عدد الناشر : 78 . 12 . 400

يستعرض هذا الكتاب سيرة رجل قاوم الاستعمار الايطالي من 1911 الى 1930 بدهائه وسلاحه ، ثم شرد في صحراء الجزائر حيث قضى نحبه عطشا ودفنته رمالها الى الابد . وهو مجاهد لم يكتب عنه المؤرخون الا فقرات مقتضبة في كتب التراجم الليبية .

ويحلل هذا الكتاب حياة هذا الرجل ومواقفه السياسية والبطولية ، جامعا للوثائق التي لها اتصال بشخصيته .

الدار العربية للكتاب

المقر الرئيسي : عمارة « وفاء » شارع عومة المحمودي ص.ب : 3185 . طرابلس الجمهورية العربية الليبية . هـ : 47،287 . الفرع الرئيسي : 23 نهج ليبيا ، تونس العاصمة . ص.ب 1104 ـ الجمهورية التونسية هـ : 288،688 .

الثمن 2،500 د ل . 3،500 د.ت .